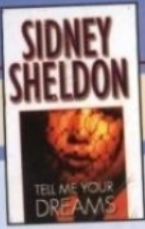
سيدني شيلدون



حدثني عن أحلامك

رائد كتابة الرواية في العالم
أكثر من ٣٠٠ مليون نسخة مطبوعة



سيدني شيلدون

حدثني عن أحلامك

آشلي فتاة أنيقة ولكن تنتابها الوساوس.. توني فتاة مثيرة وتحب الحياة.. آليتا فتاة ظريفة وغير مغرورة.. ثلاث فتيات جميلات ولكن مشتبه فيهن لارتكاب سلسلة من جرائم القتل المروعة. إنها إحدى أغرب محاكمات جرائم القتل لهذا القرن التي ستبدأ الآن وتظهر حقيقة طبية مذهلة كدليل براءة من الصعب تصديقه. تدور أحداث الرواية في لندن وروما وكيبك في كندا وسان فرانسيسكو في أمريكا. لذا تعد هذه الرواية التي كتبها رائد كتابة الروايات في العالم أكثر من مجرد لغز: فهي رواية مليئة بالبحث والإثارة والتشويق، وفي النهاية تعد اقتحاماً لأعماق النفس الإنسانية المظلمة.

«عندما تريد رواية لا يمكنك تركها أبداً، وتريد مواصلة قراءتها بلا انقطاع، إقرأ لـ «سيدني شيلدون» - جريدة «نيويورك ديلي نيوز».

«إنه محترف في لعبة تأليف الروايات» - جريدة «بيبول».

«فيما يخص الحبكات الروائية المثيرة، نجد أن شيلدون لا يشق له غبار في هذا الشأن» - وكالة «أسوشييتد برس».

6 281072 050719
282203986

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE

سيدني شيلدون

حدثني عن أحلامك

مكتبة جرير
JARIR BOOKSTORE
... not just a Bookstore ...ليست مجرد مكتبة

SIDNEY SHELDON

TELL ME YOUR DREAMS

الفصل الأول

كــان هنــاك شــخص مــا يتعقبهــا ، لقــد قــرأتْ مــن قبــل عن " المطاردين " ولكنها تعتقد أنهـم ينتمـون لعـالم آخـر مختلـف وعنيف . إنها لا تعرف مطلقاً من عساه يكون هذا الشخص ، ومن يود أن يسبب لها الأذى . كانت تحاول جاهـدة ألا تسمح للرهبة أن تتملكها ، ولكن كانت تراودها الأحلام المزعجة مؤخراً ، وكانت تستيقظ كل صباح مفعمة بمشاعر الخوف من الهلاك الوشيك ، فقالت آشلي باترسون محدثة نفسها : " ربما يكون مجمل ذلك مجرد محض خيال ، إنني أبذل جهداً مضنياً في العمل ، وأحتاج إلى إجازة " .

اتجهت نحو مرآة حجرة نومها لتلقى نظرة على نفسها ، كانت امرأة في أواخر العشرينيات من عمرها ، مهندمة الملبس ، ذات ملامح أرستقراطية ، وقوام رشيق ، ولها عيون بنية اللون يطل منها الذكاء ، كانت تتمتع بجمال هادئ وجاذبية شديدة وكان

شعرها الأسمر الناعم متسدلاً على كتفيها ، فحدثت نفسها قائلة : " إننى أكره هيئتى وما عليها ، إننى نحيفة للغاية ، إذن ينبغى أن أبدأ بتناول المزيد من الطعام " . دلفت إلى المطبخ ، وبدأت تعد وجبة الإفطار ، محاولة أن ترغم عقلها على أن ينسى هذا الأمر المخيف الذى يحدث لها ، وبدأت تركز انتباهها فى إعداد طبق الأومليت اللذيذ ، كما أدارت ماكينة صنع القهوة ، ووضعت شريحة من الخبز فى محمصة الخبز ، وبعد عشر دقائق كان كل شىء قد تم إعداده . وضعت الصحون على المائدة وجلست قبالتها وشرعت تمسك بالملعقة ، فنظرت إلى الطعام للحظة ، ثم هزت رأسها فى يأس ، فقد تملكها الخوف مرة أخرى وأفقدها شهيتها .

تحدثت إلى نفسها غاضبة : " لا يمكن أن يستمر الأمر على هذا المنوال ، ومهما يكن هذا الشخص فإننى لن أدعه يفعل ذلك معى ، لن أدعه مطلقاً " .

نظرت آشلى إلى ساعة يدها ، فقد حان وقت مغادرتها إلى العمل . نظرت متفحصة شقتها المألوفة كما لو كانت تبحث عن بعض الطمأنينة . كانت شقتها التى تقع فى الطابق الثالث ذات أثاث أنيق جذاب تطل على ساحة " فياكامينو " ، وبها حجرة نوم ، وحجرة معيشة ، ومكتب ، وحمام ، ومطبخ ، وحجرة أنيقة للضيوف . إنها تحيا هنا فى كوبرتينو ، فى كاليفورنيا منذ ثلاث سنوات . منذ أسبوعين فقط ، كانت آشلى تعتقد أن هذه الشقة ليست إلا عشاً هادئاً ، وملاذاً ، ومأوى . أما الآن فقد أصبح هذا المكان قلعة حصينة ، حيث لا يكون بمقدور أى شخص أن ينفذ إليها أو يسبب لها أى ضرر . سارت آشلى نحو الباب الأمامى ، وفحصت قفل الباب قائلة : " سأقوم بتغيير هذا القفل بآخر شديد

الإحكام ، غداً " . ثم أطفأت جميع الأنوار ، وتأكدت أن الباب مغلق بإحكام خلفها ، ثم دلفت إلى المصعد ونزلت إلى الطابق الأرضى ، حيث ساحة انتظار السيارات .

كانت هذه الساحة خالية ، معزولة ، وكانت سيارتها تبعد عن المصعد بنحو عشرين قدماً . نظرت حولها ، ثم سارت مسرعة نحو السيارة ، ودلفت داخلها ، وأحكمت غلق الأبواب بينما كان قلبها ينبض بشدة . اتجهت بالسيارة نحو وسط المدينة ، وكانت السماء فوقها مظلمة ، قاتمة ، فقد أذاع تقرير الطقس احتمال سقوط الأمطار ، ولكن آشلى تحدثت إلى نفسها قائلة : " ولكنها لن تمطر ، والشمس سوف تبزغ مشرقة ، إننى أتوكل عليك يا إلهى ، وأنا أنتظر إشارة لكى أطمئن ، فإذا لم تمطر السماء ، فإن الأمور سوف تصبح على ما يرام ، وسيكون كل ما حدث هو محض خيال ليس أكثر " .

مرت عشر دقائق كانت آشلى تقود خلالها سيارتها عبر مدينة كوبرتينو . كانت الدهشة لا تزال تسيطر عليها بشأن وادى سانتا كلارا ، وما آل إليه حال هذا الوادى الهادئ الصغير الذى يقع على بعد خمسين ميلاً من جنوب سان فرانسيسكو ، وهو المكان الذى بدأت فيه الثورة المعلوماتية ، ويسمى الآن باسم وادى السيليكون .

لقد عملت آشلى فى مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، وهى مؤسسة ناجحة ، سريعة النمو ، صغيرة ، يعمل بها مائتا موظف .

عندما اتجهت آشلى بالسيارة نحو شارع سيلفرادو ، راودها هذا الشعور الثقيل بأنه خلفها ، يتتبعها ، ولكن من هو ؟ ولماذا يتتبعنى ؟ نظرت إلى المرآة العاكسة أمامها وبدا كل شىء طبيعياً .

ولكن كان يعكس ذلك حدسها بخيرها .

كان أمام آشلي المبنى الضخم المقام على الطراز الحديث والذى تقع به شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، اتجهت نحو ساحة انتظار السيارات ، وأبرزت بطاقة هويتها لحارس الأمن ، ثم أودعت السيارة في الساحة المخصصة لانتظار سيارتها ، كانت تشعر بالأمان هنا .

وعندما غادرت سيارتها بدأت الأمطار تتساقط .

في التاسعة صباحاً ، كانت شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس تعج بالنشاط ، حيث يوجد ثمانون مكتباً يشغلها ثمانون عبقرياً في مجال الكمبيوتر ، جميعهم صغار السن ، ومنهمكون في إنشاء المواقع الإلكترونية على شبكة الإنترنت أو ابتكار الشعارات الخاصة بالشركات الجديدة ، ويقومون بتنفيذ الأعمال الفنية والتسجيلات الموسيقية الخاصة بشركات النشر ، كما يقومون أيضاً بإعداد الرسومات الخاصة بالمجلات . كان الطابع الخاص بالعمل مقسّماً إلى عدد من الأقسام : الإدارة ، والمبيعات ، والتسويق ، والدعم الفني . لم يكن الجو العام للشركة رسمياً ، فالموظفون يجوبون أرجاء الشركة مرتدين الجينز ، وتي شيرتات بلا أكمام ، وسترات العاملين .

بينما اتجهت آشلي نحو مكتبها ، اقترب منها المشرف على عملها شان ميللر قائلاً : " طاب صباحك " .

كان شان ميللر في أوائل الثلاثينيات من عمره ، قوى البنية ، جاداً ، وذا شخصية ودودة . في البداية ، حاول شان أن يقنع

آشلي أن ترتبط به ، ولكنه توقف عن ذلك أخيراً وأصبحا صديقين .

أعطى لآشلي نسخة من آخر عدد من مجلة تايم قائلاً لها : " هل رأيت هذا العدد من مجلة تايم ؟ " .

نظرت آشلي إلى غلاف المجلة ، حيث رأت صورة لرجل في الخمسينيات من عمره ، ذى مظهر متميز جذاب وشعر فضى اللون ، وكان مع هذه الصورة تعليق يقول : " دكتور ستيفن باترسون ، رائد جراحات القلب " .

" بالطبع رأيتها " .

" ما شعورك وأنت ابنة لهذا الأب المشهور ؟ " .

ابتسمت آشلي قائلة : " أشعر بالفخر " .

" يا له من رجل عظيم ! " .

" سأخبره بقولك هذا ، فنحن سنتناول الغداء معاً اليوم " .

" رائع ، بالمناسبة ... " ، وهنا قام شان ميللر بإطلاع آشلي على صورة لنجمة سينمائية سوف تشارك في عمل إعلان خاص بأحد العملاء ، وقال لها : " إننا نواجه مشكلة بسيطة هنا . فقد زاد وزن ديزريه ـ النجمة السينمائية ـ عشرة أرطال كما هو واضح ، انظرى إلى تلك الهالات الداكنة أسفل عينيها . حتى بعد وضع مساحيق التجميل مازالت البقع تظهر في بشرتها ، هل تعتقدين أن بإمكانك إجراء أى تعديل حيال ذلك ؟ " .

تفحصت آشلي الصورة ، ثم قالت : " بإمكاني تجميل عينيها بأداة التعتيم حتى تختفي هذه الهالات السوداء ، كما يمكنني محاولة تصغير وجهها عن طريق استخدام أداة التعديل ، ولكن ـ لا . ربما يؤدى ذلك في النهاية إلى أن يبدو شكلها غريباً " ، ثم

تفحصت الصورة مرة أخرى مستطردة : " يمكننى استخدام فرشاة الطلاء ، أو استخدام أداة استنساخ الخلايا فى بعض المناطق " .

" شكراً جزيلاً ، هل موعدنا مساء السبت مازال قائماً ؟ " .

" نعم " .

أومأ ميللر برأسه نحو الصورة قائلاً : " حاولى أن تنتهى من أمر هذه الصورة بأسرع وقت لأنهم يتعجلون تسلمها " .

ذهبت إلى مكتبها ، فقد كانت آشلى خبيرة فى تصميم الرسومات والإعلانات ، والتصميم المبدئى للإعلانات بالنصوص والصور .

وبعد مرور نصف ساعة ، وبينما كانت آشلى عاكفة على تعديل الصورة ، شعرت بشخص ما يراقبها ، فرفعت نظرها ، ورأت دنيس تيبل .

" صباح الخير يا عزيزتى " .

تسبب صوته فى إزعاجها ، فقد كان تيبل عبقرى الكمبيوتر فى الشركة ، وعرف عنه بين جميع أرجاء الشركة بأنه " المنقذ " ، فحينما يتعطل أى جهاز ، يتولى تيبل أمره . لقد كان فى أوائل الثلاثينيات من عمره ، نحيفاً ، أصلع ، ذا سلوك متعال وغير ودود . كانت شخصيته تميل إلى الاستحواذ والتملك ، وعرف عنه بين جميع أفراد الشركة بأنه مهتم بآشلى .

" هل يمكننى تقديم أية مساعدة ؟ " .

" لا ، أشكرك " .

" إذن ، ما قولك فى تناول عشاء متواضع معاً مساء السبت ؟ " .

" أشكرك ، سأكون مشغولة فى ذلك الوقت " .

" هل ستخرجين مع المشرف مجدداً ؟ " .

استدارت آشلى ونظرت إليه فى غضب قائلة : " إن هذا الأمر لا يعنيك فى شىء " .

غمز إليها بطرف عينيه قائلاً : " على أية حال ، لا أعرف ما الذى يثير إعجابك فيه ، إنه شخص أبله ، متعجرف . يمكنك أن تقضى وقتاً أفضل معى " .

حاولت آشلى أن تسيطر على أعصابها ، وقالت : " لدىّ الكثير من المهام لأقوم بإنجازها الآن يا دنيس " .

انحنى تيبل ودنا منها هامساً : " هناك شىء سوف تعرفينه عنى يا عزيزتى ، وهو أننى لا أيأس أبداً ، أبداً " .

ثم ابتعد عنها فرمقته متعجبة متسائلة : " هل يحتمل أن يكون هو هذا الشخص الذى يتتبعها ؟ " .

فى الثانية عشرة والنصف ظهراً ، أغلقت آشلى جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، واتجهت نحو مارجريتا دى روما حيث موعد تناولها الغداء مع أبيها .

جلست أمام طاولة فى أحد أركان المطعم المزدحم ، تشاهد أباها وهو يقترب منها . إنها تدرك مدى وسامته ، فالناس جميعاً كانوا يحدقون إليه وهو متجه نحو طاولة آشلى ، التى تذكرت مقولة شان ميللر : " ما شعورك وأنت ابنة لهذا الأب المشهور ؟ " .

منذ سنوات بعيدة ، كان الدكتور ستيفن باترسون رائداً لإنجاز عظيم فى جراحة القلب المفتوح . لقد كان يتلقى باستمرار دعوات ليلقى بمحاضراته فى المستشفيات الكبيرة حول العالم . لقد توفيت

والدة آشلي عندما كانت آشلي في الثانية عشرة من عمرها ، ولم يكن هناك سوى والدها .

انحنى والدها نحوها ، ولثم خدها قائلاً : " أعتذر يا آشلي للتأخير " .

" حسناً ، لقد حضرت لتوي " .

جلس والدها وقال : " هل رأيت مجلة تايم ؟ " .

" نعم ، أراني شان إياها " .

قطب والدها جبينه قائلاً : " شان ؟ رئيسك في العمل ؟ " .

" إنه ليس رئيسي ، إنه ... إنه فقط أحد المشرفين " .

" ليس من الصواب الخلط بين العمل ، والمتعة ، يا آشلي ، إنك تريشه خارج إطار العمل ، أليس كذلك ؟ ويعد هذا خطأ منك " .

" أبي ، إننا فقط مجرد ... " .

وهنا حضر النادل إلى الطاولة قائلاً : " هل ترغبان في الاطلاع على قائمة الطعام ؟ " .

التفت نحوه الدكتور باترسون متحدثاً إليه بكلمات لاذعة : " ألا ترى أننا في أوج حديثنا ؟ اذهب الآن حتى نستدعيك " .

" إنني ... إنني آسف يا سيدي " ، ثم استدار النادل مبتعداً سريعاً .

انكمشت آشلي في خجل . نسيت كم كان والدها عصبي المزاج . فقد لكم أحد الأطباء حديثي التخرج من قبل في أثناء إجراء عملية جراحية وذلك لأنه أخطأ في التشخيص . تذكرت آشلي الجدال الذي يشوبه الصراخ والذي كان يدور بين أمها وأبيها عندما كانت فتاة صغيرة ، لقد كان شجارهما يثير فيها مشاعر

الرهبة والخوف ، وقد كان والداها دائماً يتشاجران حول نفس الشيء ، ولكن لم تستطع آشلي تذكر هذا الشيء الذي كانا يتشاجران بشأنه ، فهي قد أبعدت ذلك الأمر عن ذهنها تماماً .

واصل والدها الحديث ، كما لو لم تحدث هذه المقاطعة لحديثهما : " أين توقف حديثنا ؟ أوه ، نعم ، إن خروجك مع شان ميللر يعد خطأ كبيراً ، نعم هو خطأ كبير " .

واستدعت هذه الكلمات أيضاً ذكرى أليمة لدى آشلي .

إنها مازالت تتذكر صوت أبيها وهو يقول : " إن خروجك مع جيم كلبري يعد خطأ كبيراً ، نعم هو خطأ كبير ... " .

كانت آشلي قد أتمت عامها الثامن عشر ، وكانت تحيا في بيدفورد ، في بنسلفانيا ، حيث ولدت هناك . كان جيم كلبري أكثر الصبية شهرة في المدرسة الثانوية لمنطقة بيدفورد ، وقد كان لاعباً في فريق كرة القدم ، وكان وسيماً ، وذا حضور قوي ، وابتسامة جذابة ، وكان يبدو لآشلي أن كل فتاة في المدرسة تتمنى معرفة هذا الصبي ، ففكرت آشلي وقتها : بل إن معظم الفتيات تعرف هذا الصبي بالفعل ، وعلى علاقة به كذلك . وعندما بدأ جيم كلبري يطلب من آشلي الخروج معه ، قررت ألا تتجاوز علاقتها به أية حدود أخلاقية . لقد كانت على يقين من أن اهتمامه بها وراءه غرض ما ، ولكن مع الوقت تغير رأيها وأصبحت تحب أن تقضي معه كل وقتها ، وبدا أنه كذلك كان يستمتع بصحبتها .

في ذلك الشتاء ، ذهب طلاب الفصل إلى رحلة تزلج في المنطقة الجبلية ، وكان جيم كلبري يحب التزلج .

كان يؤكد لآشلي قائلا : " سنقضي وقتاً ممتعاً " .

" إنني لن أصحبك في هذه الرحلة " .

نظر إليها في دهشة قائلاً : " لماذا ؟ " .

" إنني أكره الطقس البارد ، حتى مع ارتدائي القفاز ، تصاب أصابعي بالخدر " .

" ولكن سيكون من الممتع أن ... " .

" لن أذهب " .

ومكث في بيدفورد ليبقى معها .

كانا لهما نفس الاهتمامات والمبادئ ، وكانا يقضيان معاً أفضل أوقاتهما .

وعندما قال جيم كليرى لآشلي : " إذا سألني شخص ما هذا الصباح عما إذا كانت تجمعنا علاقة حب أم لا ، فبماذا أجيبه ؟ " . ابتسمت آشلي قائلة : " قل له : نعم " .

كان الدكتور باترسون قلقاً ، فقال : " إنك تقابلين هذا الولد الذي يدعى كليرى ، كثيراً " .

" أبي ، إنه ذو خلق ، وأنا أحبه " .

" كيف يمكنك أن تحبيه ، وهو مجرد لاعب كرة قدم وضيع ؟ إنني لن أسمح لك أبداً بأن تتزوجي من لاعب كرة قدم ، إنه لا يليق بك يا آشلي " .

لقد قال نفس الكلمات مراراً عن كل شاب تعرفت عليه آشلي .

ظل أبوها يكرر نفس الملاحظات المهينة عن جيم كليرى ، ولكن حدث ما هو غير متوقع ليلة التخرج في المدرسة الثانوية . كان جيم سيصطحب آشلي إلى حفلة التخرج ، وعندما حضر ليصطحبها معه ، كانت آشلي تبكي .

" ما الخطب ؟ ماذا حدث ؟ " .

" لقد أخبرني أبي أنه سيأخذني معه إلى لندن ـ لقد قام بتسجيل اسمي والحاقي بإحدى الكليات هناك " .

نظر إليها جيم في ذهول قائلاً : " إنه يفعل ذلك ليقف حائلاً في سبيلنا ، أليس كذلك ؟ " .

أومأت آشلي برأسها في تعاسة بالغة .

" ومتى ستغادرين ؟ " .

" في الغد " .

" لا ، آشلي ، أستحلفك بالله ألا تسمحي له أن يفعل ذلك بنا . أنصتي إلىّ جيداً ، إنني أريد الزواج منك ، ولقد عرض علىّ أحد أقاربي وظيفة ممتازة في شيكاغو ، في وكالة الإعلان التي يمتلكها . سنهرب معاً ، فلنتقابل صباح غد ، عند محطة القطار ، فسوف يغادر القطار المتجه إلى شيكاغو في السابعة صباحاً . هل ستأتين معي ؟ " .

أطالت النظر إليه للحظة ثم قالت بهدوء : " نعم " .

لم تتمكن آشلي من تذكر أي شيء بخصوص حفلة التخرج التي حضراها ، فقد قضيا الليلة بأكملها يناقشان خططهما بحماس .

سألته آشلي : " لماذا لا تسافر إلى شيكاغو بالطائرة ؟ " .

" لأننا حينئذٍ سنضطر لأن نملي أسماءنا للخطوط الجوية ، أما إذا ذهبنا بالقطار ، فلن يعرف أي شخص مكاننا " .

وبينما كانا يغادران الحفلة ، سألها جيم كليرى قائلاً : " هل من رغبة لديك لأن ننزل ببيتنا ؟ فالأسرة جميعاً تقضي عطلة نهاية الأسبوع خارج المنزل " .

ترددت آشلي وقالت : " جيم ... لا أظن أن ذلك مناسب " .

ابتسم قائلاً : " أنت على حق ، سأكون أسعد شخص على وجه الأرض لأني سأتزوجك " .

عندما وصلا إلى منزل آشلي حيث اصطحبها جيم عائدين من الحفلة ، كان دكتور باترسون في ثورة عارمة : " ألا تعرفان كم الوقت الآن ؟ " .

" أعتذر يا سيدى ، فالحفلة ... " .

" لا تلقى إلىّ بأعذارك اللعينة ، يا كليرى . هل تعتقد أنه بإمكانك أن تخدعني ؟ " .

" إنني لا ... " .

" من الآن فصاعداً ، لا شأن لك بابنتي ، هل فهمت ما قلته لك ؟ " .

" أبي ... " .

كان في قمة غضبه وهو يقول : " لا شأن لك بهذا " .

" كليرى ، أريدك أن تغرب عن وجهي الآن " .

" سيدى ، إنني وابنتك ... " .

" جيم ... " .

" اصعدى إلى غرفتك " .

" سيدى ... " .

" إذا تصادف ورأيتك هنا ثانية ، فسأحطم كل عظمة في جسدك " .

لم تر آشلي والدها في مثل هذه الثورة من قبل ، وعندما انتهى النقاش ، ذهب جيم وانخرطت آشلي في البكاء .

فكرت آشلي ، وقالت لنفسها بعزم وتصميم : " لن أسمح لأبي بأن يفعل ذلك بي . إنه يحاول تدمير حياتي " . جلست على فراشها لوقت طويل . جيم هو مستقبلي وأريد أن أبقى بجواره ، إنني لن أنتمى لهذا المكان بعد ذلك .

نهضت آشلي وبدأت تحزم حقيبتها ، وبعد ثلاثين دقيقة خرجت من الباب الخلفي ، وانطلقت نحو منزل جيم كليرى الذى يبعد عن بيتها بمسافة اثنى عشر بيتاً . سأقضى معه الليلة ، وسوف نستقل القطار في الصباح إلى شيكاغو ، ولكنها عندما اقتربت من منزله ، حدثت نفسها : إنني أرتكب خطأ ، إنني لا أريد إفساد كل شيء ، سألتقى به في محطة القطار .

ثم عادت إلى بيتها مرة أخرى .

ظلت آشلي مستيقظة طوال هذه الليلة تفكر في حياتها مع جيم ، وكم ستكون رائعة . في تمام الخامسة والنصف ، حملت حقيبتها وتحركت بهدوء ومرت بجوار باب حجرة أبيها المغلق ، وتسللت خارج المنزل ، واستقلت الحافلة إلى محطة القطار . عندما وصلت إلى هناك لم يكن جيم قد وصل بعد ، فلقد وصلت مبكراً ، ولا تزال هناك ساعة على وصول القطار . جلست آشلي على أحد المقاعد تنتظر في قلق . فكرت في حال أبيها عندما يستيقظ ويجدها وقد رحلت ، فسوف تنتابه موجة من الغضب العارم .

لا ، لن أدع أبي يتدخل في شئون حياتي الخاصة ، فسوف يأتي اليوم الذى يعرف فيه جيم على حقيقته ويعرف كم أنا محظوظة . إنها الآن السادسة والنصف ، ... أصبحت السادسة وأربعين دقيقة ... ، السادسة وخمساً وأربعين دقيقة ، ... السادسة وخمسين دقيقة .... لم يظهر جيم

حتى الآن . بدأ القلق يساور آشلى ، فما الذى حدث ؟ قررت أن تحادثه هاتفياً ، ولكن ما من إجابة . أصبحت السادسة وخمساً وخمسين دقيقة ... سيأتى فى أية لحظة . سمعت صوت القطار يقترب من مسافة بعيدة ، فنظرت إلى ساعة يدها ، فرأتا بها السادسة وتسع وخمسون دقيقة . دخل القطار إلى رصيف المحطة ، فنهضت وتلفتت حولها فى لهفة وقلق ، لقد حدث له مكروه ، شيء ما خطير قد حدث له ، ربما وقعت له حادثة ، إنه فى المستشفى الآن . بعد دقائق قليلة ، غادر القطار رصيف المحطة ، مبدداً كل أحلامها . انتظرت لمدة نصف ساعة أخرى وحاولت مجدداً الاتصال به هاتفياً ، وعندما لم تتلق أية إجابة ، اتجهت إلى منزلها يائسة تجر أذيال الخيبة .

وفى الظهيرة ، كانت آشلى ووالدها على متن الطائرة المتجهة إلى لندن ...

لقد التحقت بإحدى الكليات فى لندن لمدة عامين ، وعندما أرادت آشلى العمل فى مجال الكمبيوتر ، تقدمت للحصول على منحة دراسية لدراسة الهندسة والتى تمولها مؤسسة إم . إى . آى واتج فى جامعة كاليفورنيا فى سانتاكروز ، لقد تم قبولها ، وبعد ثلاث سنوات التحقت بالعمل فى مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس .

فى البداية ، كتبت آشلى حوالى ستة خطابات إلى جيم كليرى ، ولكنها مزقتها جميعاً قبل إرسالها ، فإن ردود أفعاله ، وصمته كشفا لها بوضوح عن مدى شعوره نحوها .

جعلها صوت والدها العالى تعود إلى أرض الواقع : " إنك تبعدين عن هنا مليون ميل ، فيم تفكرين ؟ " .

تفرست آشلى والدها عبر الطاولة قائلة : " لا شيء " .

أشار الدكتور باترسون إلى النادل ، وهو يبتسم له فى عذوبة وقال : " يمكننا الآن الاطلاع على القائمة " .

* * *

عندما كانت آشلى فى طريقها إلى مكتبها ، تذكرت أنها نسيت تهنئة والدها على ما نشر عنه فى مجلة تايم .

وعندما صعدت آشلى إلى مكتبها ، كان دنيس تيبل فى انتظارها .

" علمت أنك تناولت الغداء مع والدك " .

إنه شخص متطفل يسترق السمع أحياناً ، ويهتم كثيراً بمعرفة كل ما يحدث لآشلى .

" نعم هذا صحيح " .

أخفض تيبل صوته قائلاً : " لا أعتقد أنه كان فى ذلك متعة كبيرة لك ، لماذا لا تقبلين دعوتى لتناول الغداء معى ؟!" .

" دنيس ... لقد أخبرتك من قبل ، أن ذلك الأمر لا يروق لى إطلاقاً " .

أجابها مبتسماً : " سيروق لك ، فقط سأنتظر " .

كان هناك شيء غامض فى شخصية هذا الرجل ، بل مخيف . تساءلت آشلى مجدداً عما إذا كان من المحتمل أن يكون هو الشخص الذى ... هزت رأسها نافية . كلا . عليها أن تتناسى هذا الأمر ، وتواصل مسيرتها .

في طريقها إلى المنزل ، توقفت آشلي بسيارتها أمام دار آبل ترى للكتب ، وقبل أن تدخل إلى المكتبة ، تفحصت النافذة الأمامية لتتأكد مما إذا كان هناك أى شخص خلفها ربما تتعرف عليه ، ولكنها لم تجد أحداً ، فدلفت إلى المكتبة .

اتجه موظف شاب نحوها قائلاً : " هل يمكنني مساعدتك سيدتي ؟ " .

" نعم ، إنني ... هل لديكم كتاب عن الطاردين ؟ " .

فنظر إليها مستغرباً : " الطاردين ؟! " .

شعرت آشلي بسخف ما قالته ، فاستطردت بسرعة : " نعم ، إنني كذلك أريد كتاباً عن ... الـ ... أعمال البستنة ، والحيوانات في إفريقيا " .

" الطاردين ، والبستنة ، والحيوانات في إفريقيا ؟!" .

ردت بحسم : " نعم ، هكذا تماماً " .

من يدري ؟ ربما في يوم من الأيام يكون لدىّ حديقة خاصة ، أو ربما سأخرج في رحلة إلى إفريقيا .

عندما عادت آشلي إلى سيارتها بدأت تمطر ثانية ، وبينما كانت تقود السيارة ، اصطدمت قطرات المطر بنافذة السيارة محدثة ما يشبه الشقوق ، وحولت الشارع إلى لوحة سريالية . أدارت آشلي مسّاحات زجاج السيارة ، فبدأت تمسح المياه من فوق الزجاج محدثة صوتاً خافتاً وكأنها تقول : " سوف ينال منك ... ينال منك ... ينال منك ... " ، فأوقفتها آشلي بسرعة ، محدثة نفسها : لا إنها تقول : " ما من أحد هناك ، ما من أحد هناك ، ما من أحد هناك " .

أدارت المسّاحات مرة أخرى . " سوف ينال منك ... ينال منك ... ينال منك ... " .

ركنت آشلي سيارتها في المرآب ، وضغطت زر استدعاء المصعد ، وبعد دقيقتين كانت متجهة نحو شقتها . وصلت إلى باب الشقة الرئيسي ، ووضعت المفتاح في القفل وفتحت ، ثم تسمرت مكانها .

لقد كانت جميع أنوار الشقة مضاءة !

الفصل الثانى

" بين أشجار التوت النضرة ،
القرد يطارد سنجاباً .
يظن القرد فى ذلك متعة ،
لكن يهرب منه السنجاب " .

كانت تونى بريسكوت تعرف تماماً سبب حبها للتغنى بهذه الأغنية السخيفة ، وكانت أمها تكرهها ، وتقول لها : " كفى عن التغنى بهذه الأغنية السخيفة . هل تسمعيننى ؟ فليس فى صوتك ما يدعو للغناء إطلاقاً " .

" نعم ، يا أمى " ، وتظل تونى تردد الأغنية مرة بعد أخرى ولكن دون أن تصدر بها صوتاً . كان ذلك منذ وقت بعيد ولكنها مازالت تشعر بالسرور والرضا عندما تتذكر تحديها لأمها .

كانت تونى بريسكوت تكره العمل فى مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس . كانت تبلغ من العمر اثنين وعشرين عاماً ، وكانت تتسم بالنشاط ، والحيوية ، والجرأة ، كانت تستطيع أحياناً أن تكتم مشاعر غضبها ، وأحياناً أخرى تظهر ثورتها . كانت تظهر على وجهها علامات الخبث ، وكانت عيناها العسليتان تكشفان عن مكر دفين ، وفى قوامها الفتنة والجاذبية . لقد ولدت فى لندن ، وتتحدث بلكنة بريطانية رائعة . كانت فتاة رياضية وتعشق الرياضة . خاصة رياضات الشتاء كالتزلج ، والانزلاق ، والتزحلق على الجليد .

عندما التحقت بالجامعة فى لندن ، كانت ترتدى نهاراً ملابس محتشمة ، ولكن ليلاً كانت ترتدى الملابس الفاضحة ، وتقضى ليالى صاخبة ، فقد كانت تقضى أمسياتها فى صالات الرقص بشارع كامدن هاى وفى سابتراينا وفى ليوبارد لونج . كان لها صوت جميل ، مفعم بالحيوية ، والأحاسيس ، وفى بعض الملاهى ، كانت تقصد البيانو ، لتعزف وتطرب ، فيبتهج الجميع بحيويتها وثروة نشاطها .

وكانت عادة ما تنتهى أمسيتها فى هذه الملاهى الليلية نفس النهاية :

" هل تعلمين أنك مطربة رائعة ، يا تونى ؟!" .

" أوه ! " .

" هل تقبلين دعوتى لتناول مشروب ؟ " .

تبتسم قائلة : " بكل حب " .

" بالسعادتى " .

ويتنهي السيناريو بنفس النهاية ، حيث تتلقى همسات في أذنيها : " لماذا لا نبتعد عن هذا الصخب لنقضي بعض الوقت على انفراد ؟! ".

" انصرف عني ! " ، وتنصرف توني مبتعدة عن المكان ، وفي المساء ، كانت توني ترقد في فراشها ، تفكر بشأن الرجال الأغبياء ، وكم من السهل التحكم فيهم . إنهم ـ الرجال ـ لا يعرفون ذلك ، ولكنهم يرغبون في فرض سيطرة النساء عليهم .

* * *

ثم حانت لحظة الانتقال من لندن إلى كوبرتينو . في البداية كان ذلك يمثل كارثة بالنسبة لها ، فقد كانت توني تكره كوبرتينو ، وكانت كذلك تمقت العمل في مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس . كانت دائماً ما تمل السماع عن الوصلات الكهربائية ، والأدوات الرسومات الإلكترونية ، والشبكات الرسومية . لقد كانت تتوق بشدة للأمسيات التي كانت تقضيها في لندن . كان هناك قليل من الملاهي الليلية في منطقة كوبرتينو ، وكانت توني تتردد عليها ومن بين هذه الملاهي : سان جوس لايف ، بي . جيه مولجانز ، هوليود جانكشن . كانت ترتدي تنورات قصيرة ضيقة للغاية ، وأحذية رفيعة طويلة تخرج منها أصابع القدم ، وذات كعوب طويلة تصل حتى إلى خمس بوصات ، أو كانت ترتدي أحذية مسطحة ذات نعال سميكة . كانت تستخدم الكثير من مساحيق التجميل . تحديد عيون داكن غليظ ، وماسكرا ، وظل جفون ، وطلاء شفاه فاقع اللون . كانت تبدو كما لو أنها تحاول إخفاء جمالها .

في بعض العطلات الأسبوعية ، كانت توني تقود سيارتها إلى سان فرانسيسكو ، حيث الحركة والحيوية . كانت ترتاد المطاعم والملاهي التي تقيم الحفلات الموسيقية . كانت تزور مطاعم هاري دنتونز ، ووان ماركت ، ومطعم كاليفورنيا . وفي أثناء الليل ، وبينما يحصل الموسيقيون على أوقات راحاتهم ، كانت توني تجلس أمام البيانو ، تعزف وتغني ، فيثني الحضور على أدائها ، وعندما كانت تحاول دفع فواتير عشائها ، يقول لها أصحاب المطاعم : " لا ، الحساب مدفوع ، ورجاءً كرري الزيارة ، فأنت حقاً رائعة ".

هل سمعت هذا يا أمي ؟ " رجاء كرري الزيارة ، فأنت حقاً رائعة ".

وفي مساء أحد أيام السبت ، كانت توني تتناول العشاء في المطعم الفرنسي في فندق كليف ، وقد انتهى الموسيقيون من عزف مقطوعاتهم ، وغادروا منصة العزف . أشار إليها رئيس النُّدُل برأسه داعياً إياها للتوجه إلى العزف .

نهضت توني ، وسارت عبر المكان قاصدة البيانو ، فجلست ، وبدأت العزف والغناء ، وعندما انتهت ، كانت هناك عاصفة من التصفيق . فأنشدت أغنيتين أخريين ثم عادت إلى طاولتها .

اقترب منها رجل أصلع الرأس يبدو في منتصف عمره ، وقال لها : " عفواً . هل يمكنني التحدث إليك للحظة ؟ ".

عندما همت توني بالرفض ، استطرد الرجل قائلاً : " إنني نورمان زيمرمان ، إنني منتج لشركة فنية ذا كينج أند أي " الملك وأنا " ، وإنني أريد التحدث معك بشأنها ".

كانت تونى قد قرأت بالفعل أحد المقالات المثيرة بشأن هذا الرجل ، إنه رجل عبقرى فى فنون المسرح .

جلس قبالتها قائلاً : " إنك تمتلكين موهبة فذة أيتها الشابة ، وأنت تضيعين وقتك سدى فى أماكن كهذه ، ومن المفترض أن تكونى فى مسارح برودواى " .

برودواى . هل سمعت ذلك يا أمى ؟

" أريد أن تخوضى تدريبات الصوت بشأن ... " .

" أعتذر لا يمكنني ذلك " .

نظر إليها الرجل فى دهشة قائلاً : " هذا من شأنه أن يفتح أمامك العديد من الأبواب ، وإننى جاد فى قولى هذا ، ولا أعتقد أنك تعرفين كم أنت موهوبة " .

" للأسف ، فلدى عملى " .

" هل لى أن أسأل ماذا تعملين ؟ " .

" إننى أعمل فى شركة كمبيوتر " .

" مبدئياً ، سأدفع لك ضعف أى مبلغ تتقاضينه الآن كم ... " .

قالت تونى : " إننى أقدر قولك هذا ، لكننى ... لا أستطيع " .

اعتدل زيمرمان فى جلسته قائلاً : " ألا تهتمين بالأعمال الفنية ؟! " .

" بل مهتمة للغاية " .

" إذن ، ما المشكلة ؟!" .

ترددت تونى ، ثم قالت بحذر : " إننى قد أضطر للمغادرة فى منتصف الرحلة " .

" هل بسبب زوجك ؟ أم ... ؟ " .

" إننى لست متزوجة " .

" إننى لا أفهم شيئاً ، تقولين إنك تهتمين بالأعمال الفنية ، وهذا هو أفضل عرض تتلقينه من أجل ... " .

" للأسف لا أستطيع أن أفسر الأسباب " .

تحدثت تونى إلى نفسها بائسة : " إن أوضحت له الأسباب ، فلن يفهمنى ، بل لا يستطيع أى شخص أن يفهمنى . إنها اللعنة المروعة التى تطاردنى وعلىّ أن أتعايش معها للأبد " .

بعد شهور قليلة من بداية عمل تونى فى شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، تعلمت الإنترنت ، تلك النافذة العالمية المفتوحة للتعرف على بعض الأصدقاء .

فقد كانت تتناول العشاء فى ديبوك فى إيدنبرج مع كاثى هيلى ، وهو صديق يعمل فى شركة كمبيوتر منافسة . كان المطعم فى الأصل مطعماً صغيراً فى إنجلترا ، وقد تحطم كل ما فيه ، فتم نقله فى حاويات ضخمة وشحنه إلى كاليفورنيا . كانت تونى تذهب إلى هذا المطعم لتتناول سمك كوكنى ، وشرائح البطاطس المقلية ، والبودنج ، والكعك اللذيذ ، كانت تونى تقول : " عندما تطأ قدمى الأرض ، ينبغى أن أتذكر جذورى " .

رفعت تونى نظرها إلى كاثى قائلة له : " أريد منك أن تسدى لى معروفاً " .

" على الرحب والسعة ! " .

" أريد منك يا عزيزى أن تساعدنى على معرفة الإنترنت ، أخبرنى كيف يمكننى استخدامه " .

" تونى ، إن جهاز الكمبيوتر الوحيد الذى يحق لى استخدامه يوجد فى العمل ، وإن ما يخالف سياسة الشركة أن .... " .

" لا تقل سياسة الشركة ، فأنت تعرف جيداً كيف تستخدم الإنترنت ، أليس كذلك ؟؟ " .

" نعم " .

ربتت تونى على يد كاثى هيلى وابتسمت قائلة : " عظيم " .

وفى المساء التالى ، ذهبت تونى إلى مكتب كاثى هيلى ، وهنا قام كاثى بتقديم تونى لعالم الإنترنت ، بعد الضغط على أيقونة الإنترنت ، أدخل كاثى كلمة المرور الخاصة به وانتظر لحظة ، حتى يتم الاتصال ، ثم ضغط على أيقونة أخرى ضغطاً مزدوجاً ثم دخل غرفة الدردشة . جلست تونى فى دهشة ، تشاهد الحوار المكتوب السريع الذى يدور بين أناس فى جميع أنحاء العالم .

قالت تونى : " سأحصل على هذا ، سأحضر كمبيوتر فى منزلى ، هل تتكرم وتعلمنى الإنترنت ؟ " .

" بكل تأكيد ، فيا له من أمر بسيط ! فكل ما يتطلبه الأمر أن تضغطى بالفأرة على الموقع المقصود ، ثم محدد المصدر ، ثم ... " .

" كما يقال ، لا تخبرنى ، بل أرنى " .

فى الليلة التالية ، كانت تونى سابحة فى عالم الإنترنت ، ومنذ ذلك الحين ، تغيرت حياتها ، فلم تعد تشعر بالملل مجدداً ، حيث أصبح الإنترنت بساط الريح الذى يطير بها فى كل أنحاء العالم ، فعندما كانت تونى تصل إلى المنزل عائدة من عملها تقوم على الفور بتشغيل جهاز الكمبيوتر ثم تدخل شبكة الإنترنت ، وتدخل غرف الدردشة المختلفة ، والمتاحة أمامها

كان الأمر بسيطاً للغاية ، حيث تدخل شبكة الإنترنت ، ثم تضغط على مفتاح من لوحة المفاتيح ، فتنفتح صفحة أمامها على الشاشة ، فتنقسم هذه الصفحة إلى قسم علوى ، وآخر سفلى .

تكتب تونى : " مرحباً ، هل من مجيب ؟! " .

تظهر الكلمات فى القسم السفلى

" إننى هنا ، فى انتظارك " .

لقد كانت مستعدة لمقابلة العالم .

وكان هانز من هولندا يجرى معها حواراً عبر غرفة الدردشة .

" أخبرنى عن نفسك يا هانز " .

" إننى مشغل أسطوانات فى إحدى الملاهى الليلية الكبيرة فى أمستردام ، وأقوم بتشغيل موسيقى هيب هوب ، والورلد بيت وريف ، وكل ما يخطر ببالك من أنواع الموسيقى " .

كتبت تونى مجيبة عليه : " يبدو هذا عظيماً ، إننى أعشق الرقص ، ويمكننى قضاء الليل بأكمله فى الرقص ، إننى أحيا فى مدينة صغيرة مملة ، لا شىء بها إلا بعض الملاهى الليلية القليلة " .

" هذا يدعو للأسف ! " .

" بل يدعو للحسرة ! " .

" هل تسمحين أن أحاول تغيير الأمر ؟ ما فرص مقابلتنا ؟! " .

وهنا أغلقت تونى حجرة الدردشة .

وهناك شخص آخر يدعى باول ، من جنوب إفريقيا :

" لكم انتظرت عودتك يا تونى " .

" إننى هنا ، مشتاقة لمعرفة أخبارك يا باول " .

" إننى فى الثانية والثلاثين من عمرى ، أعمل طبيباً فى مستشفى فى جوهانسبرج ، كما أننى ..... " .

أغلقت تونى بغضب نافذة الدردشة مع هذا الرجل . طبيب ! وهنا راودتها ذكريات كثيرة مؤلمة ، أغمضت عينيها لحظة ، وأحست بنبضات قلبها تتسارع ، استنشقت أنفاساً عديدة عميقة ، وحدثت نفسها قائلة وهى تشعر بالتعب : هكذا يكفى الليلة . ثم ذهبت إلى فراشها .

فى المساء التالى ، دخلت تونى إلى شبكة الإنترنت ، وكان هناك أيضاً سيان من دبلن :

" تونى ... ياله من اسم جميل " .

" أشكرك ، سيان " .

" هل ذهبت إلى أيرلندا من قبل ؟ " .

" لا " .

" ستثير إعجابك كثيراً ، فهى بلد أساطير الجن . أخبرينى عن شكلك ، وكيف تبدين ؟ أراهن أنك جميلة " .

" نعم أنت على حق . إننى جميلة ، مثيرة ، غير متزوجة . ماذا تعمل يا سيان ؟ " .

" إننى نديم فى حانة ، كما أننى .... " .

أغلقت تونى غرفة الدردشة مسرعة .

كانت كل ليلة تختلف عن سابقتها . كان هناك لاعب بولو من الأرجنتين ، وتاجر سيارات من اليابان ، وموظف فى أحد المجمعات التجارية من شيكاغو ، وفنى أجهزة تليفزيونات من

نيويورك . كان الإنترنت لعبة رائعة ، وقد استمتعت بها تونى استمتاعاً فائقاً . كان بإمكانها أن تذهب إلى أقصى ما تتمناه وترغبه حيث تعرف أنها فى مأمن مادامت شخصيتها مجهولة .

وفى إحدى الليالى ، فى إحدى حجرات الدردشة على الإنترنت ، قابلت جون كلودبارنت .

" طاب مساؤك ، إننى سعيد لمقابلتك يا تونى " .

" وأنا أيضاً يا جون كلود . أين أنت ؟ " .

" فى كيوبك سيتى " .

" إننى لم أذهب أبداً إلى كيوبك سيتى ، هل ستروق لك ؟ " .

وتوقعت تونى أن ترى كلمة " نعم " أمامها على الشاشة ، ولكن بدلاً من ذلك كتب جون كلود : " لا أعرف . إن ذلك يعتمد على نمط شخصيتك " .

وجدت تونى أن إجابته غامضة فقالت : " حقاً ؟ ما الشخصية التى يجب أن أتمتع بها حتى يمكننى زيارة مدينة كيوبك ؟ " .

" كيوبك تشبه المدن القديمة المتاخمة لحدود أمريكا الشمالية ، إنها فرنسية خالصة ، وسكانها مستقلون ، ولا نحب أن يملى علينا أحد أوامره أو تعليماته " .

كانت تونى مجيبة إياه : " وكذلك أنا " .

" إذن فسوف تستمتعين بها ، إنها مدينة جميلة ، تحيطها الجبال والبحيرات الجبلية ، كما أنها تعد جنة لصيد الحيوانات والأسماك " .

وعندما كانت تونى تستشعر حماس جون كلود من خلال الكلمات المكتوبة أمامها على الشاشة ، قالت له : " يبدو هذا رائعاً . أخبرنى عن نفسك " .

" أنا ؟! ليس هناك الكثير لأخبرك به . إننى فى الثامنة والثلاثين من عمرى ، غير متزوج ، فقط أنهيت لتوى علاقة حب ، وإننى أبغى الاستقرار الآن مع المرأة المناسبة . وماذا عنك ؟ هل أنت متزوجة ؟ ".

كتبت تونى مجيبة إياه : " لا .. وأبحث عن الشخص المناسب أيضاً ، ولكن ما عملك ؟!".

" إننى أمتلك متجراً صغيراً لبيع المجوهرات . أتمنى أن تسنح لك فرصة زيارته فى يوم ما ".

" هل هذه بمثابة دعوة ؟".

" نعم ".

كتبت تونى : " يبدو هذا شيقاً للغاية " . وكانت تعنى ذلك بالفعل ، فقد حدثت نفسها قائلة : " ربما سأجد طريقاً للذهاب إلى هناك ، ربما هو الشخص الذى يستطيع إنقاذى ".

كانت تونى تتحادث مع جون كلود بارشت كل ليلة تقريباً وقد أرسل لها صورة له ، ووجدت تونى نفسها تنظر إلى صورة رجل وسيم جذاب .

وعندما رأى جون كلود صورة تونى التى أرسلتها له ، كتب لها : " إنك تبدين رائعة يا عزيزتى ، أرجو أن تنوى بزيارتى يوماً ما ".

" سأفعل ".

" قريباً ".

وهنا أغلقت تونى صفحة الإنترنت .

* * *

وفى صباح اليوم التالى وأثناء وجودها فى العمل ، سمعت تونى حديث شان ميللر إلى آشلى باترسون ، محدثة نفسها : " ما الذى يجذبه فيها ؟ إنها مجرد امرأة متبلدة المشاعر ، فبالنسبة لتونى ، كانت آشلى امرأة مرتبكة ، عانساً : إنها لا تعرف مطلقاً كيف تستمتع بوقتها . لم تكن تونى تستحسن أى شىء بخصوص آشلى . كانت آشلى تحب ملازمة البيت فى المساء ، تقرأ الكتب ، أو تشاهد قنوات " هيستورى " أو " سى إن إن " ، ولم يكن لديها اهتمامات رياضية . معلنة ! إنها لم تدخل أبداً إلى حجرات دردشة الإنترنت ، كما أنها أبداً لم تقابل غرباء عبر الإنترنت . تحدثت تونى إلى نفسها قائلة : " امرأة عديمة الأحاسيس ، متبلدة المشاعر ، ولا تعرف ما ينقصها ، فلولا حجرة دردشة الإنترنت ، ما كنت أبداً لأقابل جون كلود ".

فكرت تونى فى أمها وكم كانت ستكره الإنترنت ، فقد كانت أمها تكره كل شىء . كانت لديها وسيلتان فقط للتواصل : الصراخ ، والتحبيب ، ولم تكن تونى أبداً تسعدها . " ألا يمكنك أن تفعلى أبداً أى شىء على أكمل وجه ، أيتها الفتاة الغبية ؟ " . نعم لقد كانت أمها تصيح فى وجهها بين الحين والآخر . فكرت تونى فى الحادث المروع الذى ماتت فيه أمها ، ومازالت تونى تسمع صرخاتها وهى تستجدى المساعدة ، وجعلتها هذه الذكرى تبتسم .

" بقرش تبتاع بكرة خيط
وبقرش تبتاع الإبرة
وبذلك مال المرء يضيع
لكن يهرب ذلك السنجاب ".

الفصل الثالث

في مكان مختلف ، وفي زمان مختلف ، كان يمكن أن ... أليت بيترز فتاة ناجحة ، وبقدر ما كانت تتذكر ، كانت ... ترتبط بدرجات الألوان المختلفة ، فقد كانت تستطيع رؤية ... وكانت تشمها وتسمعها .

كان صوت أبيها أزرق ، وأحياناً أحمر .

كان صوت أمها بنياً داكناً .

وصوت مدرسها أصفر .

وصوت البقال بنفسجياً .

وصوت الرياح بين الأشجار أخضر .

وصوت المياه الجارية رمادياً .

كانت أليت بيترز تبلغ من العمر عشرين عاماً ، وكانت أحياناً تبدو متواضعة الجمال أو جذابة أو فائقة الجمال ، وذلك حسب حالتها المزاجية ، أو شعورها تجاه نفسها ، ولكنها أبداً لم تكن جميلة بالمعنى المفهوم للجمال . وكان جزء من جاذبيتها يتمثل في أنها غير مدركة تماما لما تبدو عليه هيئتها . كانت خجولة تتحدث في عذوبة ، ولطف ، ولباقة .

ولدت أليت في روما ، ولها لكنة إيطالية موسيقية . كانت تعشق كل شيء في روما ، فكانت تقف فوق المرتفعات الأسبانية تنظر إلى المدينة أمامها ، فتشعر بأنها تمتلكها . وعندما كانت تنظر إلى المعابد القديمة ، أو مبنى الكولوزيوم الضخم كان ينتابها الإحساس بأنها تنتمي لهذه الحقبة العظيمة من الزمان . كانت تتجول في ميدان نافونا ، وتستمع لموسيقى مياه النافورة في " فور ريفرز " وتذهب إلى ميدان " فينيسيا " تشاهد تمثال كعكة الزفاف لفيكتور إيمانويل الثاني . لقد قضت ساعات كثيرة في " سانت سيترز باسيليكا " ، و" متحف الفاتيكان " ، و" جاليري بورجيز " ، مستمتعة بالأعمال الخالدة لـ " رفائيل " و " فرا بارتولوميو " ، و " أندريا ديل سارتو " ، و " بونتورمو " ، وكانت موهبتهم تؤثر فيها تأثيراً بالغاً . وكم تمنت لو أنها كانت قد ولدت في القرن السادس عشر ، وعرفت هؤلاء العظام . كانوا بالنسبة لأليت أكثر واقعية من المارة في الشوارع ، وكم تمنت بشدة أن تكون فنانة !

كان بإمكانها أن تسمع صوت أمها البني الداكن يقول لها : " إنك تضيعين الورق والألوان هباء ، أنت لست موهوبة على الإطلاق " .

كان انتقال أليت إلى كاليفورنيا يتصف بعدم الاستقرار في البداية ، فقد كان كل تركيزها منصباً على كيفية تكيفها ... الأحوال المحيطة ، ولكن كوبرتينو كانت مفاجأة جميلة لها ... تمتعت أليت بالخصوصية التي وفرتها لها هذه المدينة الصغ... وأحبت العمل في مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس . ثم ... هناك معارض فنية كثيرة في كوبرتينو ، ولكن في عطلات نها... الأسبوع ، كانت أليت تقود سيارتها قاصدة سان فرانسيسكو ... المعارض الفنية هناك .

وكانت تونى بريسكوت تسألها : " لماذا تهتمين بهذا ؟ ... أصطحبك إلى موليجانز لنقضى وقتاً جميلاً " .

" ألا تحبين الفن ؟ " .

ضحكت تونى قائلة : " طبعاً ، ولكن أى فن تتحد... عنه ؟ " .

كانت هناك سحابة واحدة تعكر صفو حياة أليت بيترز... كانت مصابة بنوبات من التقلب الانفعالى بين السعادة والاكتئ... وكانت كذلك تفتقر إلى الأخلاقيات الاجتماعية ، وكذلك ... تشعر بالعزلة عن الآخرين . كانت حالتها المزاجية المتأججة ... ما تجعلها غير مدركة للأمور فى لحظتها ، فقد تنتقل من ... النشاط والسعادة القصوى إلى حالة من البؤس الشديد . إنها ... أية سيطرة على مشاعرها .

كانت تونى هى الوحيدة التى تتحدث معها أليت عن ش... الخاصة ، وكان لدى تونى حلول لكل شىء ، وكانت عادة ... لها : " هيا نذهب لنختلس السعادة من أوقاتنا " .

كانت مادة الحديث المفضلة لتونى هى آشلى باترسون . كانت قد رأت شان ميللر يتحدث إلى آشلى ، فقالت تونى بازدراء : " انظرى إلى هذه الغبية ، إنها ملكة الثلج " .

أومأت أليت برأسها قائلة : " إنها حقاً جادة للغاية ، يجب أن تتعلم كيف تضحك " .

زفرت تونى بشدة وقالت : " بل يجب أن تتعلم الرذيلة " .

كانت أليت تذهب كل أسبوع فى مهمة خيرية من أجل المشردين فى سان فرانسيسكو ، وتساعد فى تقديم وجبة العشاء . كانت هناك امرأة عجوز على وجه الخصوص تتوق فى كل مرة لرؤية أليت ، وكانت هذه المرأة العجوز جالسة على كرسى متحرك ، وكانت أليت تدفعها إلى الطاولة ، وتحضر لها الطعام الطازج الساخن .

قالت هذه العجوز بنبرة امتنان : " عزيزتى ، لو كانت لدىّ ابنة ، لتمنيت أن تكون مثلك تماماً " .

ربتت أليت يد المرأة العجوز ، وقالت : " إنها مجاملة بالغة رقيقة ، أشكرك " ، ولكن صوتها الداخلى كان يقول : إن كانت لديك ابنة ، لكانت تشبه الخنزير ، مثلك تماماً ، وأفزعتها تلك الأفكار التى كانت تراودها ، فكما لو أن شخصاً ما داخلها هو من يقول مثل تلك الكلمات . كان هذا دائماً ما يحدث !

خرجت للتسوق مع بيتى هارد ، وهى عضو فى جماعة أليت الفنية ، ووقفتا أمام أحد المتاجر ، وأعجبت بيتى بفستان فى نافذة المتجر ، وقالت : " أليس هذا جميلاً ؟ " .

كان انتقال أليت إلى كاليفورنيا يتصف بعدم الاستقرا
البداية ، فقد كان كل تركيزها منصباً على كيفية تكيفه
الأحوال المحيطة ، ولكن كوبرتينو كانت مفاجأة جميلة لها
تمتعت أليت بالخصوصية التي وفرتها لها هذه المدينة الصغ
وأحبت العمل في مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس . لم
هناك معارض فنية كثيرة في كوبرتينو ، ولكن في عطلات نه
الأسبوع ، كانت أليت تقود سيارتها قاصدة سان فرانسيسكو
المعارض الفنية هناك .

وكانت تونى بريسكوت تسألها : " لماذا تهتمين بهذا ؟
أصطحبك إلى موليجانز لنقضى وقتاً جميلاً " .

" ألا تحبين الفن ؟ " .

ضحكت تونى قائلة : " طبعاً ، ولكن أى فن تتح
عنه ؟ " .

كانت هناك سحابة واحدة تعكر صفو حياة أليت بيتر
كانت مصابة بنوبات من التقلب الانفعالي بين السعادة والاكتئ
وكانت كذلك تفتقر إلى الأخلاقيات الاجتماعية ، وكذلك
تشعر بالعزلة عن الآخرين . كانت حالتها المزاجية المتأرجحة
ما تجعلها غير مدركة للأمور في لحظتها ، فقد تنتقل من
النشاط والسعادة القصوى إلى حالة من البؤس الشديد . إنها لا
أية سيطرة على مشاعرها .

كانت تونى هي الوحيدة التي تتحدث معها أليت عن ش
الخاصة ، وكان لدى تونى حلول لكل شيء ، وكانت عادة
لها : " هيا نذهب لنختلس السعادة من أوقاتنا " .

كانت مادة الحديث المفضلة لتونى هي آشلي باترسون . كانت قد رأت شان ميللر يتحدث إلى آشلي ، فقالت تونى بازدراء : " انظرى إلى هذه الغبية ، إنها ملكة الثلج " .

أومأت أليت برأسها قائلة : " إنها حقاً جادة للغاية ، يجب أن تتعلم كيف تضحك " .

زفرت تونى بشدة وقالت : " بل يجب أن تتعلم الرذيلة " .

كانت أليت تذهب كل أسبوع في مهمة خيرية من أجل المشردين في سان فرانسيسكو ، وتساعد في تقديم وجبة العشاء . كانت هناك امرأة عجوز على وجه الخصوص تتوق في كل مرة لرؤية أليت ، وكانت هذه المرأة العجوز جالسة على كرسي متحرك ، وكانت أليت تدفعها إلى الطاولة ، وتحضر لها الطعام الطازج الساخن .

قالت هذه العجوز بنبرة امتنان : " عزيزتي ، لو كانت لديّ ابنة ، لتمنيت أن تكون مثلك تماماً " .

ربتت أليت يد المرأة العجوز ، وقالت : " إنها مجاملة بالغة رقيقة ، أشكرك " ، ولكن صوتها الداخلي كان يقول : إن كانت لديك ابنة ، لكانت تشبه الخنزير ، مثلك تماماً ، وأفزعتها تلك الأفكار التي كانت تراودها ، فكما لو أن شخصاً ما داخلها هو من يقول مثل تلك الكلمات . كان هذا دائماً ما يحدث !

خرجت للتسوق مع بيتي هارد ، وهي عضو في جماعة أليت المهنية ، ووقفتا أمام أحد المتاجر ، وأعجبت بيتي بفستان في نافذة المتجر ، وقالت : " أليس هذا جميلاً ؟ " .

قالت أليت : " جميل " . إنه أقبح فستان رأيته فى حياتى ، وهو يناسبك تماماً .

وفى ذات مساء ، تناولت أليت العشاء مع رونالد ، وهو يعمل فى دار العبادة التى تتردد عليها أليت ، فقال لها : " إننى مستمتع لكونك معى يا أليت ، دعينا نكرر ذلك ثانية " .

ابتسمت فى خجل وقالت : " إننى أحب ذلك " ، وفكرت قائلة لنفسها : ربما فى وقت آخر ، بل حياة أخرى ، أيها الوغد ، ثم أصابها الهلع مرة أخرى لما يتردد داخلها ، ولكنها لم تعثر على أية إجابة لما يساورها من مخاوف .

وكانت الحوادث البسيطة ، سواء المقصودة أو غير المقصودة ، تصيب أليت بغضب شديد ، فبينما كانت تقود سيارتها متجهة إلى عملها ذات صباح ، قطع أحد الأشخاص الطريق أمامها بسيارته فصر على أسنانها ، وحدثت نفسها قائلة : سأقتلك ، أيها الوغد . أشار إليها الرجل إشارة اعتذار ، وابتسمت له أليت بمودة ، بينما ثورة الغضب داخلها ، مازالت فى أوجها .

وعندما اشتدت بها الأفكار السوداء والهواجس ، تخيلت أليت أن الناس فى الطرقات قد أصيبوا بأزمات قلبية ، أو سكتات دماغية ، أو داهمتهم السيارات ، وربما يتشوهون ، أو يموتون . كانت تتخيل المشاهد فى عقلها ، ثم تراها حقيقة ، وبعد لحظات ، يملؤها الخجل .

* * *

أما فى أيامها الجميلة ، فإن أليت تكون شخصاً مختلفاً تماماً ، حيث تكون عطوفة للغاية ، رقيقة المشاعر ، تستمتع بمساعدة

الآخرين . إن الشىء الوحيد الذى يفسد لحظات سعادتها عندئذٍ هو علمها بأن الظلام سيحل عليها ثانية ، وأنها ستغرق فى غياهبه .

كانت أليت تذهب إلى دار العبادة صباحاً ، حيث يوجد برنامج للمتطوعين لإطعام المشردين ، وإلقاء دروس فى الأدب والفنون بعد انتهاء ساعات الدراسة . كانت أليت هى من يقوم بقيادة فصول الدار المدرسية ، وتساعد كذلك فى رياض الأطفال . لقد تطوعت فى جميع الأنشطة الخيرية ، وكرّست من وقتها قدر استطاعتها ، وكانت تستمتع على وجه الخصوص بتدريس الرسم والتلوين للصغار .

فى ذات يوم ، كان فى دار العبادة معرض لزيادة الموارد المالية ، فأحضرت أليت بعضاً من رسوماتها الخاصة حتى تبيعها الدار . نظر إليها فرانك سيلفاجيو ـ خادم الدار ـ فى انبهار !

" يالها من صور رائعة ، يجدر بك أن تبيعيها فى معرض لوحات " .

ردت أليت فى استحياء : " كلا ، ليس الأمر فى الحقيقة هكذا ، إننى فقط أقوم برسمها من أجل المتعة والتسلية " .

كان المعرض مزدحماً ، وقد أحضر أعضاء الدار أصدقاءهم وأسرهم ، وقد صُمِّمت أكشاك للألعاب ، وأكشاك للفنون والمصنوعات اليدوية ، وذلك ليستمتع الجميع . كانت هناك كعكات مزينة بشكل خلاب ، ومفروشات يدوية الصنع ، وبرطمانات مربى منزلية الصنع ، ودمى خشبية منحوتة ، وجميعها جذاب إلى أقصى حد ، وكان الجميع ينتقل من كشك إلى آخر ، وهم يتذوقون

الحلوى ، ويبتاعون الأشياء التي لن يصبح لها فائدة في اليوم التالي .

سمعت أليت امرأة تتحدث إلى زوجها : " لكن كل هذا يحدث من منطلق الأعمال الخيرية " .

نظرت أليت إلى الرسومات التي وضعتها حول الكشك ، وكان معظمها براقاً بألوان زاهية يشع جمالها من اللوحة . فساورتها الهواجس ، محدثة نفسها : " إنك تضيعين نقودك سدى على الرسم ، أيتها الطفلة " .

وهنا وصل رجل إلى الكشك قائلاً : " مرحباً ، هل أنت من رسمت هذه اللوحات ؟ " .

وكان صوته أزرق داكناً .

لا أيها الوقح ، لقد سقط مايكل أنجلو من السماء ورسمها .

" إنك موهوبة للغاية " .

" أشكرك " . ماذا تعرف أنت عن الموهبة ؟

وقف زوجان في مقتبل عمرهما أمام كشك أليت ، فقال الرجل لامرأته : " انظري إلى هذه الألوان الجميلة ؟ يجب أن أقتني إحدى هذه اللوحات . إنها حقاً رائعة " .

وكل من حضر في فترة ما بعد الظهر إلى الكشك ليبتاع لوحات أليت ، كان يخبرها بأنها موهوبة للغاية . وكانت أليت تود تصديقهم ، ولكن في كل مرة تنسدل الستارة السوداء ، فتحدث نفسها قائلة : إنهم جميعاً مخدوعون .

حضر أحد تجار القطع الفنية وقال : " هذه اللوحات حقاً رائعة ، يجب عليك أن تستغلي موهبتك في جلب الربح " .

قالت أليت في إصرار : " إنني فقط هاوية " ، ورفضت أن تواصل المناقشة في هذا الأمر .

وفي نهاية اليوم ، كانت أليت قد باعت كل لوحاتها الفنية ، ووضعت كل النقود التي دفعها الأشخاص في مقابل لوحاتها في مظروف وسلمته إلى خادم الدار فرانك سيلفاجيو .

أخذ فرانك المظروف قائلاً : " شكراً يا أليت ، إنك موهوبة حقاً ، وتبعثين في حياة الآخرين مسحة من الجمال " .

هل سمعت هذا يا أمي ؟

وعندما كانت أليت في سان فرانسيسكو ، قضت عدة ساعات في زيارة " متحف الفن الحديث " وأكثرت من التردد على متحف " دويانج " ، لتتفحص مجموعة الفن الأمريكي هناك .

وكان بعض الفنانين صغار السن ينسخون بعض الرسومات الموجودة على حوائط المتحف ، وجذبت أحد هؤلاء الرجال على وجه الخصوص . كان في نهاية العشرينيات من عمره ، نحيفاً ، أشقر له وجه يطل منه الذكاء ، كان ينسخ لوحة بيتونياس للفنانة جورجيا أوكيفي ، وكان عمله رائعاً بحق . لاحظ هذا الرجل أن أليت قد أطالت النظر إليه فقال لها : " مرحباً " .

وكان صوته أصفر دافئاً .

قالت أليت بنبرة خجل : " مرحباً " .

فأشار الرجل برأسه إلى اللوحة التي يغمس فيها ريشته ، وقال لها : " ما رأيك في هذا ؟ " .

" أعتقد أنه رائع " . وانتظرت أن يرد عليها صوته الداخل[ي] قائلاً : رائع بالنسبة لهاوية غبية ، ولكن هذا لم يحدث . اندهش[ت] كثيراً وقالت : " إنها حقاً رائعة " .

ابتسم لها الرجل قائلاً : " أشكرك ، إنني رينشارد ، اسم[ي] رينشارد ميلتون " .

" أليت بيترز " .

" هل تعتادين المجيء إلى هنا ؟ " .

" كلما سنحت لي الفرصة ، فأنا لا أعيش في سا[ن] فرانسيسكو " .

" أين تعيشين إذن ؟ " .

" في كوبرتينو " لا ... هذا ليس من شأنك أيها الوقح . أو ألا تود[ ] تعرف ؟ لكن في كوبرتينو ماذا يحدث لي ؟

" إنها مدينة صغيرة وجميلة " .

" إنني أحبها " . لا ... ما الذي يجعلك تعتقد أيها الوغد أنها مدين[ة] صغيرة وجميلة ؟ أو ماذا تعرف عن المدن الصغيرة الجميلة ؟ لكن ... إنن[ي] أحبها .

وعندما فرغ من لوحته ، قال لها : " إنني أتضور جوعاً ، هل تسمحين وتقبلين دعوتي على الغداء ؟ إن مطعم دي يونج يقدم طعا[ماً] لذيذاً للغاية " .

ترددت أليت للحظة ، ولكنها قالت : " بكل سرور ، إنني أحب ذلك " . لا ... أنت تبدو غبياً . أو إنني لا أتناول الغداء مع الغرباء ... لكن ... إنني أحب ذلك " . إنها فقط تجربة جديدة مبهجة بالنسبة لأليت .

كان الغداء حقاً ممتعاً ، ولم تراود أليت أية أفكار سلبية ، فقد تحدثا عن بعض الفنانين العظام ، وتحدثت أليت مع رينشارد عن نشأتها في روما .

قال لها : " إنني لم أذهب قط إلى روما ، ربما يحدث ذلك في يوم ما " .

ففكرت أليت محدثة نفسها : من الممتع أن أذهب إلى روما معك .

وعندما كانا على وشك الانتهاء من تناول الغداء ، رأى رينشارد زميله يمر أمامه ، فاستدعاه إلى الطاولة قائلاً له : " جاري ، إنني لم أعرف أنك ستأتي إلى هنا . يسعدني أن أقدم لك شخصاً ما . هذه أليت بيترز ، هذا جاري كينج " .

كان جاري في نهاية العشرينيات من عمره ، وله عينان زرقاوان لامعتان ، وشعره متدل على كتفيه .

" سعدت بلقائك ، يا جاري " .

" جاري هو أقرب أصدقائي منذ كنا في التعليم الثانوي ، يا أليت " .

" نعم لقد قضيت عشر سنوات مع رينشارد ، فإذا كنت تبحثين عن قصص شيقة ، ... " .

" جاري ، ألست في طريقك إلى مكان ما ؟ " .

" حسناً " ، ثم استدار إلى أليت : " لكن لا تنسي العرض الذي قدمته الآن . أراكما لاحقاً " .

شاهدا جاري وهو يغادر المكان ، وقال رينشارد : " أليت ! " .

" نعم ؟ " .

" هل يمكنني رؤيتك مرة أخرى ؟ " .

" بكل سرور " . أتمنى ذلك .

في صباح الاثنين ، أخبرت أليت صديقتها تونى عن اليوم الذى قضته مع ريتشارد ، فحذرتها تونى قائلة : " لا تختلطى أبداً بأحد الفنانين ، فسوف يحصل من جراء إبداعاته على الفتيات . هل ستريته مرة أخرى ؟ " .

ابتسمت أليت : " نعم ، أعتقد أنه معجب بى ، وأنا كذلك معجبة به للغاية " .

بدأ الأمر مجرد معارضة صغيرة ، وانتهى بجدال عنيف . تقاعد فراتك بعد أربعين سنة قضاها كخادم للدار ، وقد كان خادماً جيداً ، وقد شعر الجميع بالأسى لرحيله . وقد عُقدت اجتماعات سرية لتحديد نوع الهدية التى سيمنحونها إياه ، وهل تكون ساعة يد ... نقوداً ... إجازة ... لوحة ... إنه يحب الفن .

" لماذا لا يقوم أحد منا بعمل صورة له ، على أن تكون دار العبادة فى خلفية الصورة ؟ " . ثم اتجه الحديث إلى أليت : " هل تقومين بذلك يا أليت ؟ " .

قالت فى سعادة : " بكل تأكيد " .

كان والتر مانيتج أحد أعضاء الدار المرموقين ، وأحد المساعدين العظام . كان رجل أعمال ناجحاً ، ولكن يبدو أنه كان يكره نجاح أى شخص آخر ، فقال : " إن ابنتى رسامة ممتازة ، وبإمكانها رسم هذه اللوحة " .

فقدم أحدهم اقتراحاً قائلاً : " لماذا لا تقوم كل منهما برسم اللوحة ، ثم نختار أفضلها ونعطيها إلى السيد فراتك ؟ " .

ذهبت أليت إلى العمل ، وقد استغرقت منها اللوحة خمسة أيام ، وكانت تحفة رائعة ، تشع بالجمال والسحر ، وفى الأسبوع التالى ، اجتمع الأعضاء مرة أخرى لمشاهدة اللوحتين ، وكان هناك إعجاب شديد بلوحة أليت .

" بالروعة ، كأنه سيخرج من اللوحة ماشياً ... " .

" أوه ، سيعجب بها كثيراً ... " .

" يجدر أن تكون هذه اللوحة فى متحف ، يا أليت ... " .

قام والتر مانيتج بعرض اللوحة التى رسمتها ابنته ، وكانت لوحة رائعة أيضاً ، ولكنها افتقدت الإثارة والحيوية التى تحلت بها لوحة أليت .

" لا بأس ... " .

" لوحة أليت هى الأفضل ... " .

قال والتر : " يجب أن يكون القرار بالإجماع ، إن ابنتى فنانة محترفة " . ثم نظر إلى أليت وأردف قائلاً : " إنها ليست هاوية ، وقد رسمت اللوحة كهدية بدون مقابل ، فلا يمكن لنا أن نخذلها " .

" ولكن ، والتر ... " .

" عفواً سيدى ، يجب أن يكون القرار بالإجماع ، فإما أن نعطيه لوحة ابنتى ، أو لا نعطيه شيئاً على الإطلاق " .

قالت أليت : " لقد أعجبتنى لوحتها كثيراً ، فلنعطها للسيد فراتك " .

ابتسم والتر مانينج فى ثقة وغرور وقال : " إنه سيسعدها كثيراً " ، وبينما كان والتر مانينج فى طريقه إلى المنزل فى تلك الليلة ، صدمته سيارة وفر قائدها مسرعاً ، مما أسفر عن مقتل والتر .

عندما سمعت أليت بهذه الأخبار ، ذهلت وفقدت صوابها .

الفصل الرابع

كانت آشلى باترسون تأخذ حماماً سريعاً ، فقد كانت متأخرة عن العمل ، عندما سمعت صوتاً . هل هو صوت الباب يفتح أم يغلق ؟ أسكتت صوت الدش ، وأنصتت ، فساد السكون ، وتوقفت للحظة ، وكانت دقات قلبها متسارعة ، وقطرات المياه بارقة فوق جسدها ، فجففت نفسها مسرعة ، وخرجت من الحمام واتجهت نحو حجرة النوم بحذر . بدا كل شىء بشكله الطبيعى . إنها هواجسى الغبية مرة أخرى ، يجب أن أرتدى ملابسى . سارت نحو دولاب ملابسها الداخلية وفتحته ، ثم نظرت فيه غير مصدقة لما حدث . لقد قام شخص ما ببعثرة الملابس ، فهى دائماً ما تجعلها مرتبة بشكل أنيق .

شعرت آشلى فجأة بألم فى معدتها ، لماذا يفعل شخص ما مثل هذه الأمور ؟ هل يتخيل أحدهم اغتصابى ؟ بل قتلى ؟ لقد وجدت

صعوبة فى التنفس . يجب أن أذهب إلى الشرطة ، ولكنهم سيسخرون منى .

هل تريدين أن نحقق فى ذلك ، لأنك تعتقدين أن شخصاً ما بعثر محتويات دولاب ملابسك الداخلية ؟

هناك شخص ما يتتبعنى .

هل تحققت من هويته أو شكله ؟

لا

هل هددك أى شخص ؟

لا

هل تعرفين لماذا يريد هذا الشخص أن يؤذيك ؟

لا

حدثت آشلى نفسها قائلة فى يأس : " لا فائدة ، لا يمكننى الذهاب إلى الشرطة ، فتلك هى الأسئلة التى سوف يطرحونها علىّ ، وسوف أبدو حينها ساذجة حمقاء " .

أكملت ارتداء ملابسها بأسرع ما يمكنها ، فقد كانت تريد أن تهرب من هذه الشقة بأية طريقة . يجب أن أرحل الآن ، يجب أن أذهب إلى أى مكان لا يمكنه أن يجدنى فيه .

حتى وهى تفكر فى ذلك ، شعرت بأن هذا التفكير مستحيل ويعد ضرباً من الجنون . إنه يعرف أين أعيش ، وأين أعمل ؟ ولكن ما الذى أعرفه أنا عنه ؟ لا شىء .

رفضت أن تحتفظ بمسدس فى شقتها ، لأنها تكره العنف . حدثت نفسها قائلة : " لكننى بحاجة لأية حماية الآن" . دلفت إلى المطبخ وأمسكت بسكينة من الصلب وحملتها إلى حجرة نومها ، ووضعتها فى درج الدولاب بجوار فراشها .

من الممكن أن أكون أنا من بعثرت ملابسى الداخلية بنفسى ، ربما يكون هذا ما حدث ، أو هل هذا هو ما أتمناه ؟

* * *

كان هناك خطاب فى صندوق بريدها فى مدخل العمارة التى تقطن بها ، كان عنوان المرسل هو : " منطقة بيدفورد ، المدرسة الثانوية ، بيدفورد ، بنسلفانيا " .

قرأت آشلى الدعوة مرتين .

احتفال جمع شمل طلاب المدرسة الثانوية بعد عشر سنوات !

أيها الثرى ، الفقير ، الشحاذ ، الحرامى . هل تساءلت أبداً كيف صار حال زملائك خلال السنوات العشر الأخيرة ؟ هذه هى فرصتك لمعرفة ذلك . فى عطلة نهاية الأسبوع الموافقة الخامس عشر من شهر يونية ، سوف نعقد اجتماعاً مثيراً . سيتضمن الاجتماع : أغذية ، مشروبات ، فرقة موسيقية عظيمة ، هيا شاركنا .

فقط قم بإرسال بطاقة القبول المرفقة ، لنعلم بقدومك ، فالجميع يتطلع لرؤيتك .

وبينما كانت آشلى تقود سيارتها قاصدة محل عملها ، فكرت فى هذه الدعوة ، فتحدثت إلى نفسها وهى شاعرة بالمرارة : " الجميع يتطلع إلى رؤيتك " . الجميع ماعدا جيم كليرى .

" أريد الزواج منك ، وقد عرض عمى علىّ وظيفة مرموقة فى شيكاغو ، فى إحدى وكالات الإعلان التى يمتلكها ... هناك قطار سيغادر إلى شيكاغو فى تمام السابعة صباحاً ، هل ستأتين معى ؟ " .

وتذكرت آلام الانتظار الذى شابه اليأس والتعاسة فى محطة القطار ، وكانت حينئذٍ مؤمنة به ، وواثقة فيه إلى أقصى حد ،

ولكنه غير رأيه ، ولم تكن لديه من النخوة ما يجعله يأتي ليتحدث إليها . وبدلاً من ذلك ، تركها جالسة في محطة القطار ، بمفردها سأنسى أمر هذه الدعوة ، لن أذهب .

تناولت آشلي الغداء مع شان ميللر في جمعية أصدقاء يوم الجمعة ، وقد جلسا في أحد الأماكن المخصصة لتناول الطعام ، وتناول كل منهما طعامه في صمت .

قال شان : " يبدو أنك مشغولة للغاية " .

ترددت آشلي للحظة قبل أن تقول : " أعتذر " . كانت تود إخباره بشأن الملابس الداخلية ، ولكن سوف يبدو ذلك سلوكاً غبياً منها . شخص ما وصل إلى أدراج ملابسها ؟ ولكنها قالت بدلاً من ذلك :

" تلقيت دعوة لم شمل أصدقاء المدرسة الثانوية " .

" هل ستذهبين ؟ " .

" بالطبع لا . " . وقد صدر هذا الرد من آشلي بقوة تفوق ما كانت تقصدها .

رمقها شان ميللر بنظرة غريبة وقال : " لم لا ؟ فمثل هذه اللقاءات تكون ممتعة " .

هل سيكون جيم كليري هناك ؟ هل أصبح لديه زوجة وأولاد ؟ ماذا سيقول لها ؟ " آسف لم يكن بمقدوري مقابلتك في محطة القطار . آسف لأنني كذبت عليك عندما وعدتك بالزواج ؟ " .

" لن أذهب " .

لكن آشلي لم تستطع أن تصرف تفكيرها عن هذه الدعوة . سيكون من الجميل أن أرى بعضاً من أصدقائي القدامى . كان هناك القليل

ممن كانوا مقربين إليها ، وكانت إحداهنّ على وجه الخصوص هي صديقتها فلورانس شيفر ، إنني أتساءل : كيف أصبحت ؟ وتساءلت آشلي أيضاً : هل تغيرت مدينة بيدفورد يا ترى ؟

لقد تربت آشلي ونشأت في بيدفورد ، بنسلفانيا . في مدينة صغيرة تبعد ساعتين عن شرق بيتسبيرج عند جبال آليجني . كان أبوها مديراً بأحد المستشفيات في بيدفورد : مستشفى ميموريال أحد أفضل مائة مستشفى في المدينة .

كانت بيدفورد مدينة رائعة حيث نشأت فيها آشلي ، فقد كانت هناك حدائق للتنزه ، وأنهار للصيد ، وأحداث اجتماعية على مدار العام . استمتعت آشلي بزيارة الوادي الكبير ، حيث كانت توجد مستعمرة رائعة وكان من الطبيعي أن تُرى جياد تجر عربات مختلفة الألوان ، مما يدل على اختلاف عقائد مالكيها .

كانت هناك أمسيات " في القرية الغامضة " وعروض مسرحية ، ومهرجان " اليقطين الهائل " . ابتسمت آشلي عندما تداعى إلى ذاكرتها الأوقات الجميلة التي قضتها هناك ، فتحدثت إلى نفسها : ربما سأذهب وأستعيد تلك الذكريات ، فلن يجرؤ جيم كليري على حضور هذا اللقاء .

أخبرت آشلي شان ميللر بقرارها ، فقالت له : " مازال هناك أسبوع قبل حلول يوم الجمعة . سأعود مساء الأحد " .

" حسنا ، أخبريني بموعد رجوعك حتى أستقبلك في المطار " .

" أشكرك يا شان " .

عندما عادت آشلى من راحة الغداء ، اتجهت نحو مكتبها ، وقامت بتشغيل الكمبيوتر الخاص بها . ولدهشتها ، بدأ وابل من النقاط يظهر أمامها على شاشة الكمبيوتر ، مكوناً صورة ما . نظرت إلى الصورة بإمعان ... واندهاش . كانت هذه النقاط تشكل صورة لها . وبينما كانت آشلى تشاهد ذلك ، وهى تشعر بالفزع رأت يداً تمسك بساطور ، قد ظهرت على الشاشة ، وكانت اليد متجهة نحو صورتها ، على وشك أن تغمد الساطور فى صدرها .

صرخت آشلى : " لا " .

أغلقت آشلى الشاشة ، ونهضت مسرعة ، فأسرع إليها شان ميللر ، وقال لها : " آشلى ، ماذا حدث ؟ " .

فردت وهى ترتعش : " هناك ... على ... الشاشة ... " .

قام شان بفتح جهاز الكمبيوتر ، فظهرت صورة قطة صغيرة تطارد كرة من الصوف عبر خلفية خضراء .

اتجه شان نحو آشلى ونظر إليها فى حيرة ودهشة ، وقال : " ماذا ... ؟ " .

فردت بهمس : " لقد ... اختفت " .

" ما الذى اختفى ؟ " .

فهزت رأسها : " لا شىء ، إننى ... إننى أتعرض لكثير من الضغوط مؤخراً ، إننى أعتذر لك يا شان " .

" لماذا لا تستشيرى الدكتور سبيكمان ، فهو يجيد التعامل مع هذه الأمور " .

رأت آشلى الدكتور سبيكمان من قبل ، إنه الإخصائى النفسانى فى الشركة ، وقد تم تعيينه حتى يستشيره متخصصو الكمبيوتر الذين يتعرضون للضغوط . إنه ليس طبيباً علاجياً (عيادياً) إنه فقط

يتمتع بقدر كافٍ من الفطنة والذكاء ، مما جعله ذلك أهلاً للتحدث مع أى شخص .

قالت آشلى : " سأذهب إليه " .

كان الدكتور سبيكمان فى الخمسينيات من عمره ، وكان مكتبه واحة هادئة فى نهاية المبنى ، وهو مكان يبعث على الراحة ، والاسترخاء .

قالت له آشلى : " لقد انتابنى حلم مزعج ليلة أمس " ، ثم أغمضت عينيها ، واسترخت قائلة : " كنت أعدو ، وكنت فى حديقة كبيرة مليئة بالورود ... وكانت هناك وجوه قبيحة غريبة ... كانت هذه الوجوه تصرخ فى ... لم أستطع سماع ما كانت تردده هذه الوجوه فيما بينها من أحاديث . فقط ظللت أعدو نحو شىء ما ... لم أكن أعرف ما هذا الشىء ... " ، ثم توقفت آشلى وفتحت عينيها .

" هل تسرعين العدو ، مبتعدة عن شىء ما ؟ هل كان هناك شىء يطاردك ؟ " .

" لا أعرف . إننى ... أعتقد أن هناك شخصاً ما يتتبعنى ، يا دكتور سبيكمان . يبدو الأمر غريباً لكنى ... أعتقد دائماً أن شخصاً ما يريد قتلى " .

تفرسها للحظة ثم قال : " من الذى يريد قتلك ؟ " .

" إننى ... ليس لدىّ أية فكرة " .

" هل رأيت أى شخص يتتبعك ؟ " .

" لا " .

" إنك تعيشين بمفردك ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" هل تقابلين أى شخص ؟ أقصد مرتبطة عاطفياً بأى شخص ؟ " .

" لا ، حتى الآن لا " .

" إذن ، فقد مرت فترة من الوقت منذ أن كنت ... أقصد أحياناً عندما لا يكون فى حياة المرأة أى رجل ... ربما يؤدى ذلك إلى وجود حالة من القلق والتوتر ... " .

إن ما يحاول الدكتور سبيكمان أن يقوله لى إننى بحاجة لأن يكون فى حياتى ... لم تستطع أن تتفوه بالكلمة ، فقد تذكرت أباها عندما كان يصيح فيها قائلاً : " لا تذكرى هذه الكلمات أبداً مرة أخرى ، فقد يعتقد فيك الناس السوء ، فليس من الصواب أن تتفوهى بمثل هذه الألفاظ ، أين تعلمت مثل هذه اللغة ؟ " .

" أعتقد أنك تجهدين نفسك فى العمل كثيراً يا آشلى . لا أعتقد أنك مصابة بأى شىء يدعو للقلق ، إن الأمر مجرد توتر وضغوط ، فقط عليك أن تتعاملى مع الأمور بسلاسة ، ويجب كذلك أن تحصلى على قدر كبير من الراحة " .

" سأحاول " .

كان شان ميلر فى انتظارها ، وعندما خرجت قال لها : " ماذا أخبرك الدكتور سبيكمان ؟ " .

ابتسمت قائلة : " يقول إننى بخير ، فقط أجهدت نفسى فى العمل كثيراً " .

قال شان : " حسناً ، يجب أن نفعل شيئاً حيال هذا الأمر . بداية ، لماذا لا تحصلين على قسط من الراحة وتحصلين على بقية اليوم إجازة ؟ " ، وقد بدا على صوته الاهتمام .

نظرت إليه آشلى وابتسمت قائلة : " أشكرك " . إنه صديق عزيز .

حدثت آشلى نفسها قائلة : " لا يمكن أن يكون هو الشخص ، لا يمكن أن يكون " .

وخلال الأسبوع التالى ، لم تستطع آشلى أن تفكر فى أى شىء إلا الاجتماع الذى سوف يجمع الأصدقاء القدامى . هل من الخطأ أن أذهب ؟ إننى فى حيرة . ماذا لو ظهر جيم كليرى ؟ هل لديه أية فكرة عن الضرر الذى ألحقه بى ؟ هل هذا الأمر يعنى له شيئاً ؟ هل سيتذكرنى ؟ " .

فى الليلة التى سبقت رحيل آشلى إلى بيدفورد ، لم تستطع أن تنام للحظة ، وكانت تفكر جدياً فى إلغاء الرحلة الجوية ، ولكنها حدثت نفسها قائلة : " إننى سخيفة ، فقد ولّى الماضى وراح " .

عندما التقطت آشلى التذكرة فى المطار ، تفحصتها وقالت :

" أخشى أن يكون هناك خطأ ما ، فقد حجزت تذكرة سياحية ، أما هذه فهى تذكرة درجة أولى " .

" نعم ، لقد قمت بتغييرها ، بنفسك " .

أمعنت النظر فى الموظف قائلة : " أنا ؟ ماذا ؟ " .

" لقد اتصلت هاتفياً ، وطلبت تغيير التذكرة إلى الدرجة الأولى " . ثم أظهر إلى آشلى صحيفة ورقية ، واستطرد قائلاً :

" هل هذا هو رقم بطاقة الائتمان الخاصة بك ؟ " .

نظرت إليها وقالت ببطء : " نعم ... " .

إنها لم تجر هذه المكالمة الهاتفية .

وصلت آشلى إلى بيدفورد مبكراً ، ثم وصلت إلى " منتجع بيدفورد " . لم تكن فعاليات المهرجان ستبدأ حتى السادسة فى هذا المساء ، فقررت أن تستطلع المدينة ، فأشارت إلى تاكسى أمام الفندق .

" أين وجهتك . سيدتى ؟ " .

" أريد أن أرتاد المكان تجوالاً " .

من المفترض أن يبدو الوطن الأصلى صغيراً عندما يعود إليه المرء بعد كل هذه السنوات ، ولكن بالنسبة لآشلى ، بدت بيدفورد أكبر مما تتخيل . جال بها التاكسى هنا وهناك ، فى شوارع مألوفة لها ، ومرت على مكاتب جريدة " بدفورد جازيت " ومبنى التليفزيون وكثير من المطاعم ، والمعارض الفنية المعروفة ، ومازال هناك مخبز بيد فورد وقصر كلارا ومتحف فورت بيد فورد ، وقرية بيدفورد القديمة ، ومر التاكسى أيضاً على مستشفى ميموريال وهو مبنى جميل مكون من ثلاثة طوابق ورواق معمّد ، فهناك نال أبوها شهرته الواسعة .

تذكرت مرة أخرى المعارك الضارية والصراعات التى كانت تنشب بين أمها وأبيها ، وكانا دائماً ما يتشاجران بخصوص شئ ما . ولكن أى شئ ؟ لم تستطع أن تتذكر .

فى الخامسة عادت آشلى إلى غرفتها فى الفندق ، ثم بدلت ملابسها ثلاث مرات قبل أن تقرر ما سوف ترتديه ، لكن استقر بها الحال فى النهاية على ارتداء فستان أسود جميل وبسيط .

عندما وصلت إلى صالة ألعاب المدرسة الثانوية بمنطقة بيد فورد ، كانت الصالة مزينة ، ووجدت نفسها بين ١٢٠ شخصاً

غرباء وكانوا ذوى أشكال وهيئات مألوفة . كان بعض زملائها القدامى قد تغيروا كلية ، والبعض الآخر لم يتغير كثيراً . كانت آشلى تبحث عن شخص واحد فقط : جيم كليرى . هل تغير كثيراً ؟ هل سيصطحب معه زوجته ؟ وهنا بدأ يقترب الآخرون من آشلى .

" آشلى ، إننى تريشت واترسون . إنك تبدين رائعة " .

" شكراً ، وأنت كذلك يا تريشت " .

" يسعدنى أن أقدم لك زوجتى ... " .

* * *

" آشلى ، أنت آشلى ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، إر ... " .

" آرت ، آرت دافيز ، هل تتذكريننى ؟ " .

" بالطبع " . كان غير مهندم على الإطلاق .

" كيف تسير أمورك يا آرت ؟ " .

" على خير ما يرام ، إنك تعرفين كم كنت أود أن أصبح مهندساً ، لكننى لم أستطع تحقيق ذلك " .

" إننى آسفة لذلك " .

" على أية حال ، إننى الآن ميكانيكى " .

" آشلى ! إننى لينى هولاند . إنك تبدين جميلة للغاية " .

" أشكرك يا لينى " . لقد ازداد وزنه أرطالاً ، وكان يرتدى خاتماً من الألماس فى إصبعه الصغير .

" إننى فى حالة ميسورة الآن ، هل تزوجت يا آشلى ؟ " .

ترددت آشلى قبل أن تقول : " لا " .

" هل تذكرين نيكى براندت ؟ لقد تزوجتها ، وأنجبنا توءماً " .

" تهنئتى لكما " .

من المدهش حقاً أن يتغير الأشخاص خلال عشر سنوات . منهم من أصبح أكثر نحافة أو بدانة ... أكثر ثراء ، أو فقراً ... منهم من تزوج ، وانفصل . منهم من أنجب ، ومن لم ينجب .

وعندما حلّ المساء ، بدأت حفلات العشاء مع الموسيقى تحدثت آشلي مع زملائها القدامى ، ولكن عقلها كان مشغولاً بجيم كليرى ، فلم يظهر حتى الآن ، فحدثت نفسها قائلة : " لن يأتي ، فهو يعرف أنه من الممكن أن أحضر ، وهو يخشى مواجهتي " .

اقتربت امرأة جذابة المظهر من آشلي قائلة لها : " آشلي ! كنت أتوق لرؤيتك كثيراً " . كانت هذه المرأة هي فلورانس شيفر ، وكانت آشلي سعيدة للغاية لرؤيتها . كانت فلورانس إحدى صديقاتها المقربات ، واتجها إلى منضدة في جانب منعزل ، حتى تستطيعا التحدث بحرية .

قالت آشلي : " كم تبدين رائعة يا فلورانس ! " .

" وأنت كذلك . إنني أعتذر لتأخرى عن الحضور ، فلم يكن طفلي الرضيع على خير ما يرام ، فمنذ أن رأيتك آخر مرة ، تزوجت ثم انفصلت ، ولكن سوف أتزوج من شخص رائع ، وماذا عنك ؟ لقد اختفيت بعد حفل التخرج ، وحاولت العثور عليك ولكنني لم أجدك أبداً " .

قالت آشلي : " لقد ذهبت إلى لندن ، وقد ألحقني والدي بإحدى الكليات هناك ، وقد غادرنا هذه البلدة في صباح اليوم التالي للتخرج " .

" لقد خضت كل السبل التي يمكنني تخيلها للعثور عليك ، فقد كان المحققون يعتقدون أنني ربما أعرف مكانك ، لقد كانوا يبحثون عنك لأنك كنت على علاقة بجيم كليرى " .

قالت آشلي بنبرة بطيئة : " المحققون ؟ " .

" نعم ، المحققون الذين كانوا يباشرون جريمة القتل " .

شعرت آشلي بالدماء تتصاعد إلى وجهها : " أي ... جريمة قتل ؟ " .

نظرت إليها فلورانس بإمعان : " يا إلهي . ألا تعرفين ؟ " .

" أعرف ماذا ؟ " . استجدت آشلي الإجابة بقسوة : " عم تتحدثين ؟ " .

" في اليوم التالي لحفلة التخرج ، عاد والدا جيم ليجدا جثته ، لقد طعن حتى الموت ... وتشوه " .

بدأت الحجرة تدور بآشلي ، فأمسكت بحافة المنضدة ، فأمسكت فلورانس بذراعها .

" إنني ... أعتذر جداً يا آشلي ، اعتقدت أنك قرأت عن هذا الحادث ، لكنك بالطبع ... كنت قد غادرت إلى لندن " .

أغلقت آشلي عينيها بشدة ، تذكرت خروجها خلسة من منزلها ليلاً ، قاصدة منزل جيم كليرى ، لكنها عادت لتنتظره في الصباح ، فقالت لنفسها بائسة : " ليتني ذهبت إليه وقتها ، فكان سيظل على قيد الحياة ، إنني كرهته طوال هذه السنوات ، يا إلهي ، من قتله ؟ من ؟ " .

تذكرت صوت أبيها : " أنت ، ابتعد تماماً عن ابنتي ، هل تعي ما أقوله ؟ ... إن تصادف مرة ، ورأيتك هنا مجدداً ، سأحطم كل عظمة في جسدك " .

وقفت على قدميها ، وقالت : " يجب أن تسامحيني يا فلورانس ، إنني ... إنني أشعر بأني لست على ما يرام " .

المحققون ، بالتأكيد اتصلوا بوالدها . لماذا لم يخبرني ؟

عادت إلى كاليفورنيا فى أول طائرة . كان الوقت فى اس
الباكر قبل أن تغط فى النوم ، ولكن راودها حلم مزعج ، فلقد
شخصاً واقفاً فى الظلام يطعن جسم ويصرخ فيه ، ثم ظهر
الشخص فى النور .

لقد كان والدها !

الفصل الخامس

كانت الشهور القليلة التالية باعثة على البؤس والكآبة بالنسبة لآشلى ، فقد كانت صورة جثة جيم كليرى المشوهة والغارقة فى الدماء ، مازالت عالقة فى ذهنها . فكرت فى زيارة الدكتور سبكمان مرة أخرى ، ولكنها تعرف أنها لن تجرؤ على مناقشة هذا الأمر مع أى شخص . إنها تشعر بالذنب حتى لمجرد اعتقادها فى أن يكون أبوها هو الذى ارتكب هذه الجريمة البشعة . لقد حاولت جاهدة أن تصرف ذهنها عن هذه الأفكار ، وتركز فى عملها ، ولكن ذلك كان مستحيلاً . نظرت فى جزع إلى الشعار الذى قد قامت بصنعه لتوها .

كان شان ميللر يراقبها باهتمام : " هل أنت بخير يا آشلى ؟ " .

تصنعت ابتسامة وقالت : " إننى بخير " .

" إننى حقاً آسف بشأن صديقك " . لقد كانت قد أخبـ بالفعل عن جيم .

" إننى ... إننى سوف أتناسى ذلك " .

" هل تقبلين دعوتى على العشاء الليلة ؟ " .

" شكراً يا شان . إننى ... إننى غير مستعدة لذلك ، فلـ الأسبوع القادم " .

" حسناً ، هل من شىء أو خدمة يمكننى تقديمها لك ؟ " .

" إننى أقدر لك ذلك . ليس هناك شىء يمكن لأى شخص أ يفعله " .

قالت تونى لأليت : " إن الآنسة المتحذلقة تعانى مشكلة ، إنها الآن فى حيرة وضغوط " .

" إننى أشعر بالأسى نحوها ... إنها حقاً تعانى مشكلة " .

" إننا جميعاً نواجه مشكلات ، أليس كذلك ؟ " .

وبينما كانت آشلى تغادر عملها فى ظهيرة يوم الجمعة ، وقبل عطلة نهاية الأسبوع ، أوقفها دنيس تيبل ، قائلاً : " أهلاً حبيبتى ، أريدك أن تسدى إلىّ معروفاً " .

" أعتذر دنيس ، إننى ... " .

فأمسك بذراعها ثم استطرد : " إننى بحاجة لنصيحة ما تعطينى إياها امرأة " .

" دنيس ، إننى لست ... " .

" لقد دق الحب باب قلبى ، وأريد الزواج ممن أحبّ ، ولكن هناك بعض المشكلات . هل يمكنك مساعدتى ؟ " .

ترددت آشلى . إنها لا تحب دنيس تيبل ، ولكنها لا ترى ضرراً فى مساعدته ، فقالت له : " هل يمكنك تأجيل هذا الأمر حتى الغد ؟ " .

" إننى أريد الحديث إليك الآن ، فالأمر عاجل للغاية " .

قالت آشلى بعد أن أخذت نفساً عميقاً : " حسناً " .

" هل يمكننا الذهاب إلى شقتك ؟ " .

فهزت رأسها : " لا " . فلن يكون بمقدورها حينئذ أن تجعله يغادر .

" هل يمكننا إذن الذهاب إلى شقتى ؟ " .

ترددت آشلى قبل أن تقول : " حسناً ، وهو كذلك " .

بهذه الطريقة يمكننى أن أغادره وقتما أريد ، وإذا أمكننى مساعدته فى الوصول للمرأة التى يحبها ، ربما يتركنى وشأنى .

* * *

قالت تونى لأليت : " يا إلهى سوف تذهب هذه المرأة القبيحة إلى شقة هذا الغفل . هل تصدقين أن تكون بمثل هذا الغباء ؟ أين عقلها ؟ " .

" إنها فقط تحاول مساعدته ، ولا أرى خطأ فى ... " .

" أوه ، يا أليت . متى ستكبرين ؟ هذا الرجل يريد خداعها والتغرير بها " .

كانت شقة دنيس تيبل مؤثثة بأسلوب يبعث على الخوف ، فقد كانت هناك لوحات لأفلام الرعب معلقة على الحوائط ، وكذلك لوحات لحيوانات مفترسة ، وكانت هناك مفروشات ذات صور إباحية على جميع النواحى !

حدثت آشلي نفسها قائلة : " إنه منزل لرجل مجنون ". إنها لا تطيق الانتظار حتى تخرج من هذا المكان.

" إنني سعيد لمجيئك ، يا حبيبتي . إنني أقدر ذلك لو... ".

فحذرته آشلي : " لا يمكنني المكوث طويلاً يا دنيس . أخبرني سريعاً عن المرأة التي وقعت في حبها ".

" يا لها من قصة ، وهي امرأة رائعة " ، ثم أخرج سيجارة.

" أتدخنين سيجارة ؟ ".

" لا أدخن " ، وراقبته يشعل سيجارته..

" هل ترغبين في كوب من العصير ؟ ".

" لا ، أشكرك ".

ابتسم قائلاً : " أنت لا تدخنين ، ولا تريدين تناول شيء ". ثم سار نحو أحد أركان المنزل وصب له مشروباً . " هل تتناولين القليل ؟ فلن يضرك ".

ثم أعطاها كوباً.

ارتشفت المشروب وقالت : " أخبرني عن المرأة التي وقعت في حبها ".

جلس دنيس تيبل على الأريكة ، بجوار آشلي.

" إنني لم أقابل مثلها أبداً . إنها مفعمة بالأنوثة مثلك ... ".

" توقف عن ذلك وإلا غادرتك الآن ".

" إنها مجرد مجاملة . على أية حال ، إنها مولعة بحبي ولكن والديها يكرهانني .. ".

لم تعلق على ما قاله.

" ولكنني إذا ألححت عليها فستتزوجني ، وعندئذ ستهجر أهلها ، وهي بالفعل متعلقة بهم ، وإذا تزوجتها ، فسوف ينكروننا

بكل تأكيد ثم في يوم ما ، سوف تلومني . هل رأيت المشكلة التي تواجهني ؟ ".

ارتشفت آشلي المشروب ثانياً ثم قالت : " نعم ، إنني ... ".

بعد ذلك بدأت ترى ضباباً وغيوماً.

استيقظت آشلي ببطء ، وهي تعتقد أن شيئاً فظيعاً قد حدث. شعرت كما لو كانت واقعة تحت تأثير مخدر . لقد بذلت جهداً كبيراً فقط لتفتح عينيها . نظرت آشلي حولها وتفحصت أرجاء الغرفة ، وبدأت تشعر بالفزع . فقد كانت راقدة فوق فراش ، وهي عارية ، في حجرة تبدو أنها في فندق رخيص . تمكنت من الجلوس ، وبدأ رأسها يؤلمها . إنها لا تعرف مطلقاً أين هي الآن ، وكيف وصلت إلى هذا المكان . كانت توجد قائمة خدمات الغرف على الطاولة ، فالتقطتها ، فقرأت عليها " فندق شيكاغو لوب " . قرأت ذلك مرة أخرى ، وقد اعترتها الدهشة . ماذا أفعل في شيكاغو ؟ كم من الوقت مكثت هنا ؟ لقد كانت زيارتي لمنزل دنيس تيبل في يوم الجمعة ، ففي أي يوم نحن الآن ؟ وبفزع متزايد أمسكت بسماعة الهاتف.

" هل يمكنني مساعدتك ؟ ".

كان من الصعب على آشلي أن تتحدث فقالت : " أي ... أي يوم نحن الآن ؟ ".

" اليوم هو السابع من .... ".

" لا . أقصد أي يوم من أيام الأسبوع ؟ ".

" أوه ، اليوم هو الاثنين . هل يمكنني ... ".

وضعت آشلي سماعة الهاتف وهي تشعر بالدوار . الانهيار . لقد فقدت يومين وليلتين . جلست على حافة السرير ، محاولة أن تتذكر . لقد ذهبت إلى منزل دنيس تيبل ... ثم تناولت مشروباً . بعد ذلك ، أصبح كل شيء معتماً .

لقد وضع شيئاً ما في مشروبها مما جعلها تفقد ذاكرتها مؤقتاً . لقد قرأت عن حوادث استخدمت فيها عقاقير مثل هذه . إنها تسمى " عقاقير الاغتصاب " . بالتأكيد هذا هو ما وضعه لها في مشروبها ، والحديث عن رغبته في الحصول على نصيحتها لم يكن إلا خدعة ، ولغبائي انطلت عليّ هذه الخدعة . لم تتذكر ذهابها للمطار ، سفرها إلى شيكاغو ، أو وصولها إلى هذا الفندق مع تيبل ، والأسوأ من ذلك أنها لا تتذكر ما حدث في هذه الغرفة .

يجب أن أغادر هذا المكان فوراً ، شعرت آشلي باليأس وشعرت كذلك بقذارة بدنها ، وكأن كل جزء في بدنها قد تعرض للعنف . ماذا حدث لها ؟ حاولت ألا تفكر في ذلك فنهضت من فوق السرير ، ثم دلفت إلى الحمام الصغير ، وأخذت حماماً ، لقد تركت المياه الساخنة تنساب فوق جسدها ، محاولة أن تغسل بدنها من كل ما أصابه في هذه الليلة . ماذا لو أصبحت الآن حاملاً ؟ إن فكرة أن يكون معها طفل من هذا الرجل ، لهي فكرة مقززة . خرجت آشلي من الحمام ، ثم جففت نفسها ، وسارت نحو الدولاب . لم تكن ملابسها موجودة ، لم يكن في الدولاب إلا تنورة قصيرة مصنوعة من الجلد الأسود ، وقميص رخيص بدون أكمام ، وزوج من الأحذية ذات الكعب العالي ، لقد كرهت فكرة ارتدائها لهذه الملابس ، ولكن ليس أمامها اختيار آخر . لقد ارتدت الملابس سريعاً ، ثم نظرت في المرآة فوجدت منظرها غريباً وشاذاً .

فحصت آشلي محفظة نقودها ، فلم تجد إلا أربعين دولاراً ، كما أن بطاقة الائتمان ودفتر الشيكات مازالا موجودين .

خرجت إلى الرواق ، كان خالياً ، استقلت المصعد لتهبط إلى ردهة الفندق واتجهت نحو الخزانة ، ثم أعطت الموظف بطاقة الائتمان .

فنظر إليها شزراً ، وقال : " أتغادريننا الآن ؟ حسناً ، لقد قضيت وقتاً ممتعاً ، أليس كذلك ؟ " .

نظرت آشلي إليه متعجبة مما يقصده ، وخشيت أن يكتشف حقيقة الأمر . كانت ترغب في سؤاله عن دنيس تيبل ومتى غادر الفندق ، ولكنها قررت أنه من الأفضل ألا تذكر ذلك .

وضع الموظف بطاقة الائتمان في الماكينة ، فتجهم ثم وضعها مرة أخرى ، وأخيراً قال لها : " أعتذر لك يا سيدتي ، هذه البطاقة غير صالحة ، لقد تخطيت حدود المسموح به في هذه البطاقة " .

فغرت آشلي فاها ، وقالت : " هذا مستحيل . بالتأكيد هناك خطأ ما " .

هز الموظف كتفيه وقال : " هل لديك بطاقة أخرى ؟ " .

" لا ، إنني ليس لديّ . هل تأخذون شيكات ؟ " .

نظر إليها بعدم اطمئنان ، " أعتقد أنه من الممكن ذلك إذا كان هناك ما يثبت هويتك " .

" إنني بحاجة لإجراء مكالمة هاتفية ... " .

" كشك الهاتف هناك " .

" مستشفى سان فرانسيسكو ميموريال ... " .

" أريد التحدث إلى الدكتور ستيفن باترسون " .

" لحظة واحدة من فضلك ... " .

" مكتب الدكتور باترسون " .

" سارا ؟ إننى آشلى ، أريد التحدث إلى والدى " .

" للأسف يا آنسة باترسون ، إنه الآن فى غرفة العمليات و ... " .

أحكمت آشلى قبضتها على الهاتف وقالت : " أتعرفين كم من الوقت سيستغرق فى غرفة العمليات ؟ " .

" من الصعب تحديد ذلك ، كما أنه سيجرى عملية أخرى بعد ... " .

وجدت آشلى نفسها تصارع حالة من الهيستريا ، وقالت : " إننى أريد التحدث إليه ، فالأمر عاجل لا يحتمل التأجيل هل يمكنك أن تخبريه بشىء واحد فقط ؟ أن يحدثنى على الفور بمجرد أن تسنح له الفرصة " ، ثم نظرت آشلى إلى رقم الهاتف الذى بالكشك وأعطته إلى موظفة الاستقبال وقالت : " سأنتظر حتى يحدثنى " .

" أؤكد لك أننى سأخبره " .

•

جلست آشلى فى الصالة لمدة ساعة تقريباً ، فى انتظار أن يدق جرس الهاتف وكان الناس يمرون بجوارها وهم ينظرون إليها نظرات تحمل معانى خبيثة ، وشعرت بغرابة الملابس التى ترتديها وعندما رن جرس الهاتف أخيراً ، شعرت بالروعة والخوف .

عادت مسرعة إلى كشك الهاتف وقالت : " هالو ... " .

" آشلى ؟ " ، وكان المتحدث أباها .

" أبى ... إننى ... " .

" ما الخطب يا آشلى ؟ " .

" إننى فى شيكاغو ، و ... " .

" ماذا تفعلين فى شيكاغو ؟ " .

" لا يمكننى أن أخبرك بالتفاصيل الآن . إننى بحاجة إلى تذكرة طيران إلى سان جوزيه ، وليس لدى أى نقود على الإطلاق ، هل يمكنك مساعدتى ؟ " .

" بالطبع ، انتظرى " ، وبعد ثلاث دقائق عاود الوالد التحدث إليها عبر الهاتف " . هناك طائرة تابعة للخطوط الأمريكية سوف تغادر أوهير فى العاشرة والأربعين دقيقة صباحاً ، ورقم الرحلة ٤٠٧ . سوف يكون بانتظارك تذكرة فى مكتب التسجيل بالمطار . وسوف أنتظرك فى المطار فى سان جوزيه ، و ... " .

" لا " . لم ترد أن تجعله يراها بهذه الصورة . " سأذهب إلى منزلى لتغيير ملابسى " .

" حسناً ، سأقابلك على العشاء ، ويمكنك حينها أن تحكى لى كل شىء " .

" أشكرك يا أبى ، أشكرك " .

على متن الطائرة ، وبينما كانت آشلى متجهة إلى منزلها ، فكرت فى الأمر الفظيع الذى لا يمكن غفرانه والذى فعله دنيس تيبل معها ، فقررت قائلة : " ينبغى علىّ أن أبلغ الشرطة . لا يمكن أن أدعه يفلت بفعلته . كم امرأة أخرى فعل بها ذلك ؟ " .

عندما عادت آشلى إلى منزلها ، شعرت كما لو أنها عادت إلى ملاذها وملجئها . لم تستطع الانتظار حتى تخلع عن جسدها هذا

الرداء القبيح الذى ترتديه ، فخلعته بأسرع ما يمكنها ، وشعرت بأنها تريد أن تأخذ حماماً آخر قبل أن تقابل والدها ، وبدأت تسير نحو خزانة ملابسها وتوقفت حيث رأت أمامها ، فوق طاولة الزينة ومساحيق التجميل ، عقب سيجارة مشتعلة .

* * *

جلسا على منضدة معزولة فى أحد أركان مطعم فى أواكس وكان والد آشلى يتفحصها باهتمام .

ثم قال لها : " ماذا كنت تفعلين فى شيكاغو ؟ " .

" أنا .. لا أعرف " .

فنظر إليها بحيرة ، " أنت لا تعرفين ؟ " .

ترددت آشلى محاولة أن تحدد وتقرر فى ذهنها ما إذا كانت ستخبره بما حدث أم لا . ربما يمكنه أن يسديها النصيحة .

قالت بحرص : " طلب منى دنيس تيبل أن أساعده فى مشكلة ما قد واجهته ... " .

" دنيس تيبل ؟ هذا الثعبان ؟ " ، كانت آشلى قد قدمت أباها للعاملين معها منذ فترة طويلة .

" كيف يمكنك مساعدة هذا الشخص ؟ " .

أدركت آشلى على الفور أنها ارتكبت خطأ ، فدائماً ما يتعامل أبوها بشدة مع أية مشكلات تواجهها ، خاصة إذا كانت هذه المشكلات تتضمن رجالاً .

" إذا صادف ورأيتك هنا مرة أخرى يا كليرى ، سوف أحطم كل عظمة فى جسمك " .

قالت آشلى : " ليس هذا هو المهم فى الأمر " .

" أريد أن أسمع كل شئ " .

ظلت آشلى صامتة للحظة ، وهى تشعر بالعواقب الوخيمة تقترب .

" حسناً ، لقد تناولت مشروباً فى منزل دنيس ، ثم ... " .

بينما كانت تتحدث رأت وجه أبيها يتجهم ، وتعلوه نظرة مخيفة ، فحاولت اختصار القصة .

قال لها أبوها بإصرار : " لا ، أريدك أن تحكى لى كل شئ بالتفصيل " .

رقدت آشلى فوق السرير فى هذه الليلة ، منهكة تماماً ، وكانت أفكارها مشوشة . سوف يكون الأمر مخزياً ، إذا ما علم الجميع بما فعله بى دنيس ، ولكنى لن أسمح له أن يفعل ذلك مع أى شخص آخر . يجدر بى أن أبلغ الشرطة .

حاول الكثيرون أن يحذروها من دنيس ، ومن أنه يريد أن يغرر بها ، ولكنها تجاهلت كل ذلك . والآن ، عندما تتذكر كل الأحداث السابقة ، استطاعت أن تستوعب كل شئ ، كان دنيس يكره رؤية أى شخص آخر يحادثها ، وكان دائماً ما يرجو مقابلتها ، يسترق السمع إليها ...

حدثت آشلى نفسها قائلة : " على الأقل ، عرفت من الذى كان يتعقبنى " .

فى الثامنة والنصف صباحاً ، وبينما كانت آشلى تستعد للذهاب إلى العمل ، دق جرس الهاتف . التقطت سماعة الهاتف وقالت : " أهلاً ، من يتحدث ؟ " .

" آشلى ، إنه أنا شان ميلر ، هل سمعت آخر الأخبار ؟ " .

" أية أخبار ؟ " .

" إنها مذاعة فى التلفاز . لقد تم العثور حالاً على جثة س... تيبل " .

شعرت للحظة بأن الأرض تدور بها ، " يا إلهى ، ما... حدث ؟ " .

" طبقاً لما أعلنه مكتب عمدة البلدة ، فإن شخصاً ما طعن... حتى الموت ثم مثل بجثته " .

الفصل السادس

حصل النائب سام بليك على منصبه فى مكتب مأمور بلدة كوبرتيلو بعد رحلة شاقة ومضنية ، فقد تزوج أخت المأمور ، سيرينا داولينج ، وهى امرأة مشاكسة ، سليطة اللسان ، وكان سام بليك هو الشخص الوحيد الذى قابل سيرينا واستطاع أن يروضها . كان سام رجلاً دمث الأخلاق ، قصيراً ، ويتحلى بصبر شديد ، وعندما تكون سيرينا فى أوج ثورتها وقمة غضبها ، كان ينتظر حتى تهدأ تماماً ، ثم يتحدث معها بهدوء ولطف .

التحق بليك بالعمل بمكتب المأمور ، لأنه كان أقرب الأصدقاء للمأمور مات داولينج ، فقد كانا يذهبان للمدرسة معاً ، وكان بليك يستمتع بالعمل فى الشرطة ، وكان ماهراً للغاية . كان يتمتع بذكاء حاد ، وإصرار وعناد شديدين ، وهذا ما جعله أفضل محقق فى مجال عمله .

* * *

في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم ، كان سام بليك ، والمأمور داولينج يتناولان القهوة معاً .

قال السيد داولينج : " سمعت أن أختى قد سببت لك بعض المشاكل فى الليلة السابقة ، فلقد وصلنا العديد من المكالمات الهاتفية من الجيران ، فقد كانوا يشكون من الإزعاج والضوضاء ، فقد كانت سيريتا عالية الصراخ " .

ابتسم سام قائلا : " جعلتها فى النهاية تهدأ يا مات " .

" أحمد الله أنها لا تعيش معى يا سام . إننى لا أعرف ما الذى أصابها ، فقد أصبحت عصبية المزاج ... " .

وهنا توقف حديثهما . " حضرة المأمور ، لقد تلقينا مكالمة استغاثة ، هناك جريمة قتل فى شارع سانى فيل أفينو " .

نظر المأمور داولينج إلى سام بليك .

أومأ سام قائلا : " سأذهب إلى هناك " .

بعد خمس عشرة دقيقة ، كان النائب بليك يتجه نحو شقة دنيس تيبل . كان أحد أفراد الشرطة يتحدث مع حارس البناية وذلك فى حجرة المعيشة .

الشرطى : " أين الجثة ؟ " .

أشار بليك برأسه نحو غرفة النوم وبدا شاحب الوجه وقال : " هناك يا سيدى " .

سار بليك نحو غرفة النوم ، وتوقف مذهولاً ، فقد كانت جثة الرجل العارية منبسطة على السرير ، وكان الانطباع الأول لبليك أن الغرفة كانت غارقة فى الدماء ، وعندما اقترب من السرير أدرك مصدر الدماء ، فقد اخترقت حافة زجاجة مكسورة ظهر المجنى

عليه عدة مرات ، وكانت شظايا وقطع الزجاج منتشرة فى جسم الضحية .

وعندما نظر بليك إلى هذا المنظر شعر بالألم يسرى فى قدميه ، فقال بصوت عال : " كيف يمكن لأى إنسان أن يرتكب جرماً شنيعاً مثل هذا ؟ " ، ولم يكن هناك أى أثر للسلاح المستخدم فى الجريمة ، ولكنهم سوف يجرون عملية بحث شاملة ودقيقة فى كل مكان .

عاد النائب بليك إلى غرفة المعيشة ليتحدث إلى حارس المبنى وسأله : " هل تعرف المجنى عليه ؟ " .

" نعم يا سيدى ، إنه صاحب هذه الشقة ؟ " .

" ما اسمه ؟ " .

" تيبل ، دنيس تيبل " .

قام النائب بليك بتدوين ملاحظاته ، ثم طرح سؤالاً آخر على الحارس قائلاً : " كم المدة التى عاشها هنا ؟ " .

" ثلاث سنوات تقريباً " .

" ما الذى يمكنك أن تخبرنا به من معلومات ؟ " .

" ليس الكثير يا سيدى ، فقد كان تيبل يحتفظ بالكثير لنفسه ، وكان دائماً ما يدفع قيمة الإيجار فى الميعاد المحدد ... وكان بين الحين والآخر يحضر معه امرأة إلى الشقة ، وأعتقد أنهن فى الغالب كن عاهرات " .

" هل تعرف أين كان يعمل ؟ " .

" أوه ، نعم يا سيدى ، فى مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، كان أحد عباقرة الكمبيوتر " .

دون النائب بليك ملاحظة أخرى : " من عثر على الجثة ؟ " .

إحدى الخادمات ، وتدعى ماريا ، وكان أمس هو يوم إجازتها ، لذا لم تأت إلا صباح اليوم ... " .

" أريد التحدث إليها " .

" بالطبع يا سيدى ، سأحضرها لك " .

كانت ماريا امرأة برازيلية داكنة البشرة فى الأربعينات من عمرها ، وكانت عصبية وخائفة .

" أنت من عثرت على الجثة يا ماريا ؟ " .

" إننى لم أفعل شيئاً ، ولم أرتكب هذه الجريمة ، أقسم لك " . وكانت على وشك الانهيار : " هل أحضر محامياً ؟ " .

" لا ، أنت لست بحاجة إلى محام . فقط أخبرينى بما حدث " .

" لم يحدث شىء . أقصد ... لقد جئت إلى هنا فى الصباح حتى أقوم بأعمال النظافة ، كعادتى كل يوم ، ثم ... اعتقدت أن قد ذهب ؛ فهو عادة ما يذهب إلى عمله فى السابعة من صباح كل يوم . قمت عندئذ بترتيب حجرة المعيشة ، ثم ... " .

يا للحظ السيئ ، " ماريا . هل تتذكرين حال الحجرة وشكلها قبل أن تقومى بترتيبها ؟ " .

" ماذا تقصد ؟ " .

" هل حركت أى شىء أو نقلته من مكانه ؟ هل أخذت أى شىء خارج الغرفة ؟ " .

" حسناً ، نعم . كانت هناك زجاجة مياه غازية مكسورة على أرضية الغرفة ، وكانت لزجة ، إننى ... " .

سألها باهتمام : " ماذا فعلت بها ؟ " .

" وضعتها فى مكبس القمامة حتى تتكسر " .

" ماذا فعلت أيضاً ؟ " .

" ثم قمت بتنظيف مطفأة السجائر ، و ... " .

" هل كانت هناك أعقاب سجائر فى المطفأة ؟ " .

توقفت لحظة لتتذكر ، " نعم ، عقب واحد ، وقد وضعته فى سلة المهملات فى المطبخ " .

" هيا إذن لنلقى عليه نظرة " . تبعها إلى المطبخ ثم أشارت إلى سلة المخلفات ، وكان داخلها عقب السيجارة وعليه أحمر شفاه ، فحمله النائب بليك بحرص مستخدماً مغرفة الطعام ، ثم وضعه فى مظروف .

قادها مرة أخرى إلى غرفة المعيشة : " ماريا ، هل تعرفين ما إن فقدت أى أشياء من الشقة ؟ هل يبدو أن أى أشياء ثمينة قد فقدت ؟ " .

نظرت حولها وقالت : " لا أعتقد ذلك . كان السيد تيبل يحب هذه التماثيل الصغيرة ، وكان ينفق عليها الكثير من المال . ويبدو أنها جميعاً موجودة ، ولم يفقد منها شىء " .

إذن لم يكن الدافع للجريمة هو السرقة . ربما المخدرات ؟ الثأر ؟ قصة حب لم تكتمل ؟

" ماذا فعلت بعد ترتيب الحجرة يا ماريا ؟ " .

" قمت كالعادة باستخدام المكنسة الكهربائية لتنظيف المكان هنا يا سيدى ، وبعدها ... " ، وهنا تلعثم صوتها ، ثم استطردت : " بعدها ... دخلت إلى غرفة النوم ، ثم ... رأيته " ، ثم نظرت إلى النائب بليك ، وقالت : " أقسم لك إننى لم أرتكب هذه الجريمة " .

وصل المحقق ومعه مساعدوه في سيارة المحقق ومعهم من حمل الموتى .

بعد ثلاث ساعات ، كان النائب سام بليك قد عاد إلى مكتب المأمور .

" ما الذى حصلت عليه يا سام ؟ " .

" جلس النائب بليك أمام المأمور داولينج وقال : " ليس كثيراً فقد كان دنيس تيبل يعمل في شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ويتمتع بقدر من الذكاء والعبقرية " .

" لكنه ليس لديه من الذكاء ما يكفي لحماية نفسه من القتل " .

" إنه لم يقتل فقط يا مات ، لكنه ذبح . يجدر بك أن ترى ما فعله به القاتل ، وما فعله في جثته ، إنه بالتأكيد مجنون " .

" أليس هناك أدلة ؟ " .

" لم نعرف بعد نوع السلاح الذى استخدمه القاتل ، وفي انتظار نتائج التحليل من المعمل ، ولكن يبدو أنها زجاجة مكسورة ، وقد ألقتها الخادمة في سلة المهملات ، وهناك بصمة إصبع ما على إحدى قطع الزجاج الموجودة في ظهر القتيل ، ولقد تحدثت مع الجيران ، ولم أستفد شيئاً . لم ير أحد أى شخص يدخل الشقة أو يخرج منها ، ولم يسمع أحد أى أصوات غريبة . من الواضح أن تيبل كان منطوياً على نفسه ، فهو ليس من الأشخاص الذين يختلطون بجيرانهم ، ولكن هناك شيئاً واحداً يثير الشك ، هو أن تيبل قد مارس سلوكه الشين قبل الحادث ، وهناك بعض الدلائل التي تشير إلى ذلك ، كما أن هناك عقب سيجارة عليه أحمر شفاه وسوف نقوم بالتأكيد بتحليل الحامض النووى ، دى إن إيه " .

" سوف تستغل الجرائد هذا الحادث لفترة من الوقت يا سام . إنني أكاد أتخيل العناوين الرئيسية تقول : مجنون يقتحم وادى السيليكون " . لم تنهد السيد داولينج ، وأردف قائلاً : " يجب أن نتعامل مع هذه الجريمة بقدر استطاعتنا وبأسرع ما يمكن " .

" إنني في طريقي الآن إلى مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس " .

استغرقت آشلى ساعة لتقرر إذا ما كان ينبغى عليها أن تذهب إلى المكتب أم لا ، فقد كانت منهكة للغاية . نظرة واحدة لى ، وسيعرف الجميع بعدها أن ثمة شيئاً قد حدث . ولكننى إن لم أذهب ، فسيرغبون في معرفة السبب ، ومن المحتمل أن تكون الشرطة هناك لتستجوب العاملين ، وإذا قام أحدهم باستجوابى ، سأضطر وقتها لسرد الحقيقة ، ولن يصدقونى ، بل سوف يوجهون لى تهمة قتل دنيس تيبل ، وإذا ما صدقونى ، وإذا ما أخبرتهم أن أبى عرف ما فعله معى دنيس ، فسوف يتهمونه .

وتذكرت مقتل جيم كليرى ، إنها لاتزال تسمع صوت فلورانس وهى تقول : " لقد عاد والدا جيم ، ووجدا جثته ، لقد وجهت إليه طعنات حتى الموت ومثل الجانى بجثته " .

أغمضت آشلى عينيها وضغطت عليهما بشدة يا إلهى ما الذى يحدث ؟ ما الذى يحدث ؟

دخل النائب سام بليك الشركة ، حيث تجمع العاملون ، يتحدثون فيما بينهم بصوت خفيض . استطاع بليك أن يخمن محور حديثهم . شاهدته آشلى وقد تملكها الخوف وهو يتجه نحو مكتب شان ميلر .

نهض شان ليحييَه : " النائب بليك ؟ " .

" نعم " ، ثم تصافح الرجلان .

" اجلس ، يا سيادة النائب " .

جلس سام بليك ثم قال : " أعرف أن السيد دنيس تيبل كان موظفاً هنا ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح ، وكان من أكفأ الموظفين ، ويا لها من مأساة فظيعة " .

" عمل هنا لمدة ثلاث سنوات . أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، لقد كان عبقرياً بحق . فليس هناك أى شىء يعجز هذا الشخص عن عمله على الكمبيوتر " .

" ما الذى يمكنك أن تخبرنى به عن حياته الاجتماعية ؟ " .

هز شان ميللر رأسه ، وقال : " ليس لدى الكثير ، فقد كان تيبل شخصاً انطوائياً " .

" هل لديك أية فكرة إذا ما كان مدمناً للمخدرات ؟ " .

" دنيس ؟ بالطبع لا ، فقد كان شخصاً مهتماً بصحته كثيراً " .

" هل كان يقامر ؟ هل يحتمل أن يكون مديناً لشخص ما بمبلغ كبير من المال ؟ " .

" لا . إنه يتقاضى مبلغاً معقولاً ، ولكنى أعتقد أنه كان كثير الشراب للكحوليات " .

" وماذا عن النساء ؟ هل كانت له علاقة مع امرأة ما ؟ " .

" لم تكن النساء تنجذب نحو تيبل " ، ثم فكر للحظة وقال : " ومع ذلك ، فكان يخبر من حوله مؤخراً أن هناك امرأة ما يفكر فى الزواج منها " .

" وهل ذكر اسمها ؟ " .

هز ميللر رأسه وقال : " لا ، لم يخبرنى أنا على الأقل " .

" هل تمانع إذا ما قمت بالحديث إلى بعض موظفيك ؟ " .

" ليس لدى أى مانع على الإطلاق . تفضل ، ولكن يجب أن أخبرك أن الجميع صدموا عندما سمعوا بهذا الحادث المروع " .

حدث بليك نفسه قائلاً : " وماذا كان سيكون حالهم إذا ما رأوا جثته ؟! " .

اتجه الرجلان نحو مكاتب العاملين .

تحدث شان ميللر بصوت عال قائلاً : " هل يمكنكم الانتباه لى للحظة من فضلكم ؟ هذا سيادة النائب بليك ، وهو يود طرح بعض الأسئلة عليكم " .

انتبه العاملون ، وأنصتوا لما يقال .

قال النائب بليك : " إننى على ثقة من أنكم جميعاً سمعتم بما حدث للسيد تيبل ، وإننا نريد مساعدتكم لمعرفة القاتل . هل يعرف أحدكم إذا ما كان للسيد تيبل أعداء أم لا ؟ أى شخص يكرهه لدرجة التفكير فى قتله ؟ " . ساد الصمت فاستمر بليك فى حديثه : " كانت هناك امرأة يفكر تيبل فى الزواج منها ، هل تحدث بشأنها مع أى منكم ؟ " .

واجهت آشلى صعوبة فى التنفس ، فقد حان الوقت لكى تتحدث . هذا هو الوقت الذى يجب أن تخبر فيه النائب بليك عما فعله تيبل معها ، لكن آشلى تذكرت تعبيرات أبيها عندما أخبرته بذلك . سوف يتهمونه بجريمة القتل .

أبوها لا يمكن أن يقتل أى شخص .

إنه طبيب .

إنه جراح .

دنيس تيبل قد قُتل ، وتم التمثيل بجثته .

كان النائب بليك يقول : " ... وهل رآه أحدكم بعد أن لم العمل يوم الجمعة ؟ " .

قالت تونى بريسكوت لنفسها : " هيا ، أخبريه أيتها الـ البلهاء . أخبريه أنك ذهبت إلى شقته . لماذا لا تتحدثين ؟ " .

توقف النائب بليك هناك للحظة ، محاولاً إخفاء شعوره بخيبة الأمل ، ثم أردف قائلاً : " حسناً ، إذا تذكر أحدكم أى شىء يفيدنا فى التحقيقات ، فإننى أقدر كثيراً إذا ما اتصل بى هاتفيا والسيد ميللر لديه رقم هاتفى . أشكركم " .

شاهده الجميع وهو متجه نحو باب الخروج مع شان ميللر .

تنفست آشلى الصعداء بعدما خرج النائب بليك .

التفت النائب بليك نحو شان قائلاً : " هل هنا أى شخص كان قريباً من السيد تيبل ؟ " .

قال شان : " فى الحقيقة لا ، وأنا لا أعتقد أن دنيس كان قر من أى شخص . لقد كان شديد الإعجاب بإحدى الموظفات لدينا ، ولكنه لم يخرج معها أبداً " .

توقف السيد بليك : " هل هى هنا الآن ؟ " .

" نعم ، ولكن ... " .

" أريد التحدث إليها " .

" حسناً ، يمكنك التحدث إليها فى مكتبى " . عادا إ الغرفة ، ورأتهما آشلى عائدين مرة أخرى . لقد كانا متجهـ نحوها مباشرة ، وشعرت بالدماء تتصاعد إلى وجهها .

" آشلى ، إن النائب بليك يود التحدث إليك " .

إذن قد علم بكل ما حدث ! سوف يسألها عن زيارتها لشقة تيبل . حدثت آشلى نفسها قائلة : " يجب أن أكون حذرة " .

كان النائب ينظر إليها ، وقال : " هل تمانعين فى ذلك يا آنسة آشلى ؟ " .

تحدثت بصعوبة وهى تقول : " ليس لدىّ مانع على الإطلاق " ، ثم تبعته إلى مكتب السيد شان ميللر .

" تفضلى بالجلوس " ، وجلس كل منهما ، " أعرف أن دنيس تيبل كان مغرماً بك " .

" إننى ... أعتقد ... " ، كونى حذرة . " نعم " .

" هل خرجت معه ؟ " .

" لا " إن الذهاب إلى شقته لا يعنى بالضرورة أننى خرجت معه .

" هل تحدثت معه بشأن المرأة التى يريد الزواج منها ؟ " .

كانت تحاول أن تكون أكثر استيعاباً وتركيزاً ، فربما يقوم بتسجيل ما تقول ، وربما يعرف بالفعل أنها كانت فى شقة تيبل ، وقد يكونون عثروا على بصماتها . لقد حان الوقت لكى تقول للنائب بليك ما فعله دنيس معها ، ولكنها حدثت نفسها قائلة : " ولكننى إذا فعلت ذلك ، فسوف يتورط أبى فى القضية ، وربما يربطون هذه الجريمة بمقتل جيم كليرى . هل يعرفون ذلك أيضاً ؟ ولكن ليس هناك من مبرر يجعل قسم شرطة بيدفورد يبلغ قسم شرطة كوبرتينو . أم أن ذلك قد حدث بالفعل ؟ " .

كان النائب بليك ينظر إليها باهتمام ، منتظراً إجابتها .

" آنسة باترسون ؟ " .

" نعم ؟ أوه ، أعتذر . لقد أحزننى ما حدث ... " .

" أقدر ذلك . هل ذكر تيبل أى شيء لك عن هذه المرأة التى كان يريد الزواج منها ؟ " .

" نعم ... ولكنه لم يذكر اسمها أبداً " . كان ذلك صحيحاً على الأقل .

" هل ذهبت من قبل إلى شقة تيبل ؟ " .

أخذت آشلى نفساً عميقاً . إذا نفت ، فسوف ينتهى الاستجواب ، ولكن ماذا لو أنهم قد عثروا على بصمات أصابعها ... " نعم " .

" هل ذهبت بالفعل إلى منزله ؟ " .

" نعم " .

بدأ ينظر إليها باهتمام أكبر : " قلت إنك لم تخرجى معه أبداً من قبل " .

تسارع فكر آشلى وقالت : " هذا صحيح . إننى لم أخرج معه بناء على موعد غرامى ، بل إننى ذهبت إلى منزله لأعطيه بعض الأوراق التى قد نسيها " .

" متى حدث هذا ؟ " .

شعرت آشلى بصعوبة الموقف وقالت : " كان ذلك ... كان ذلك منذ أسبوع تقريباً " .

" وهل هى المرة الوحيدة التى ذهبت فيها إلى منزله ؟ " .

" نعم " .

والآن إذا حصلوا على بصماتها فلن تشير أصابع الاتهام إليها .

جلس النائب بليك ، وأخذ يتفرسها ، بينما كانت تشعر هى بالذنب . أرادت أن تخبره بالحقيقة . ربما اقتحم أحد اللصوص منزله وقتله ، نفس اللص الذى قتل جيم كليرى منذ عشر سنوات

وعلى مسافة بعيدة تصل إلى آلاف الأميال . هذا إن كنت تؤمن بالصدف ، أو كنت تؤمن بالجن ، أو العفاريت .

سامحك الله يا أبى .

قال النائب بليك : " إنها جريمة شنعاء ، ولا يبدو أن هناك أى دافع لارتكابها . وكما تعرفين ، طوال السنوات التى عملت خلالها فى الشرطة ، لم تصادفنى أبداً جريمة بلا دافع " . لم يتلق النائب أى رد منها . " هل تعرفين إذا ما كان دنيس تيبل مدمناً للمخدرات أم لا ؟ " .

" إننى متأكدة أنه ليس مدمناً للمخدرات " .

" إذن ليس لدينا أى دافع ، فلم يكن مدمناً للمخدرات ، ولم يتعرض للسرقة ، ولم يكن مديناً لأى شخص بأى مبلغ من المال . يبدو أن الأمر رومانسى ، أليس كذلك ؟ يبدو أن هناك شخصاً كان مليئاً بالغيرة منه " .

أو أباً يريد أن يحمى ابنته .

" إننى فى حيرة مثلك تماماً يا سيادة النائب " .

أمعن النظر إليها للحظة ، وبدا فى عينيه أنه يريد أن يقول : " إننى لا أصدق ما تقولينه يا آنستى " .

نهض النائب بليك ، وأخرج بطاقته ثم أعطاها لآشلى وقال : " إذا تذكرت أى شيء ، فرجاءً أبلغينا به فوراً ، وسأكون ممتناً " .

" يسعدنى ذلك " .

" الوداع " .

وشاهدته آشلى وهو يغادر . لقد انتهى الأمر ، أبى الآن خارج نطاق الشبهات .

عندما عادت آشلي إلى منزلها في هذا المساء ، كانت هناك رسالة علي جهاز الرد الآلي للهاتف تقول : " لقد قضينا معاً ليلة مثيرة جداً بالأمس يا حبيبتي ، ولكنني سأراك الليلة أيضاً كما وعدتني ، نفس الزمان والمكان " .

وقفت آشلي ، تستمع للرسالة في ذهول ، فحدثت نفسها قائلة : " إنني سأجن ، أعتقد أن أبي ليس له علاقة بكل ما حدث بالتأكيد هناك شخص آخر وراء كل ذلك ؟ ولكن من ؟ ولماذا ؟ " .

وبعد مرور خمسة أيام ، تلقت آشلي كشف حساب من مكتب بطاقات الائتمان ، وكان بالكشف ثلاثة بنود جذبت انتباهها .

فاتورة من متجر مود للملابس بقيمة ٤٥٠ دولاراً .

فاتورة من ملهى سيركس بقيمة ٣٠٠ دولار .

فاتورة من مطعم لوي بقيمة ٢٥٠ دولاراً .

إنها لم تسمع أبداً عن متجر الملابس هذا ، أو الملهى ، أو المطعم !

الفصل السابع

تابعت آشلي بالرسوم التحقيقات الخاصة بمقتل دنيس تيبل كل يوم عبر الجرائد والتلفاز ، ويبدو أن الشرطة قد وصلت إلى طريق مسدود .

قالت آشلي لنفسها : " لقد انتهى كل شيء ، وليس هناك ما يدعو للقلق بعد ذلك " .

ولكن ، في هذا المساء ، زارها النائب سام بليك في شقتها ، نظرت إليه آشلي في دهشة ، وقد جف لعابها .

قال النائب بليك : " أتمنى ألا أكون قد أزعجتك ، كنت في طريق عودتي إلى المنزل ، ففكرت في زيارتك لدقيقة " .

ازدردت آشلي لعابها وقالت : " مرحباً بك ، تفضل " .

دلف النائب بليك إلى الشقة ، وقال : " شقتك لطيفة " .

" أشكرك " .

" أراهن أن دنيس تيبل لم يكن ليروق له مثل هذا الأثاث ".

أخذ قلب آشلي ينبض بشدة : " لا أعرف ، إنه لم يأت إلى هذه الشقة من قبل ".

" أوه ، اعتقدت أنه ربما حضر إلى هنا ".

" لا ، يا سيادة النائب ، لقد أخبرتك بأنني لم أواعده من قبل ".

" حسناً ، هل تسمحين لي بالجلوس ؟ ".

" بالطبع ".

" من الواضح ، أنني أواجه مشكلة معقدة في هذه القضية ، يا آنسة باترسون ، فإنني لا أستطيع أن أجد لها أي دافع ، وكما قلت كل جريمة لابد أن يكون وراءها دافع . لقد تحدثت مع عدد من الأشخاص في شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، ولا أحد منهم يعرف شيئاً عن دنيس تيبل ، لقد احتفظ دنيس بالكثير عن حياته لنفسه ".

أنصتت إليه آشلي ، وهي تتوقع أن يلقي بالمفاجأة .

" ولكن من واقع ما أخبروني به ، فأنت الوحيدة التي كان يهتم بها ".

هل يا ترى عرف أي شيء ، أم أنه فقط يراوغني ؟ .

قالت آشلي بحذر : " لقد كان مهتماً بي حقاً يا سيادة النائب ، ولكني لم أعره أي اهتمام ، وقد أوضحت لك ذلك ".

أومأ برأسه وهو يقول : " حسناً ، أعتقد أنه كان لطيفاً منك أن تقومي بتوصيل هذه الأوراق إليه في منزله ".

قالت آشلي سريعاً : " أية أوراق ؟ " ، ثم تذكرت فجأة : " نعم ... لم يمثل ذلك لي أية مشكلة ، فإن منزله في طريقي على أية حال ".

" حسناً ، يبدو أن هناك شخصاً يكره تيبل بدرجة تدفعه لقتله ".

جلست آشلي مشدوهة ، ولم تنبس ببنت شفة .

قال النائب : " هل تعرفين ما أكرهه ؟ جرائم القتل المجهولة ، فإنها دائماً ما تصيبني بالإحباط ، لأنه عندما تقيد جريمة القتل ضد مجهول ، فلا أعتقد أن ذلك يعني أن القاتل يتمتع بقدر كبير من الذكاء ، بل أعتقد أن ذلك يعني أن هناك قصوراً كبيراً من جانب الشرطة ، ولكن كان الحظ يحالفني طوال الوقت ، فقد كشفت النقاب عن جميع الجرائم التي واجهتني " ، ثم نهض السيد بليك وقال : " لا أنوي أبداً أن أتخلى عن هذه الجريمة ، إذا تذكرت أي شيء ربما يفيد القضية ، فسوف تحادثينني ، أليس كذلك ، يا آنسة باترسون ؟ ".

" نعم بالطبع ".

راقبته آشلي وهو يغادر ، وحدثت نفسها قائلة : " هل حضر إلى هنا ليحذرني ؟ هل يعرف أكثر مما أخبرني به ؟ ".

انشغلت توني بشبكة الإنترنت أكثر من أي وقت مضى ، وكانت تستمتع بالحوار والدردشة التي كانت تجريها مع جون كلود ، ولكن ذلك لم يمنعها من إجراء حوارات دردشة مع رواد حجرات الدردشة الأخرى ، وفي كل مرة ، تجلس أمام جهاز

الكمبيوتر ، تظل تتبادل رسائل الدردشة ، حتى تملأ بدورها شاشة الكمبيوتر .

" تونى ، أين كنت ؟ إننى فى حجرة الدردشة ، أنتظرك منذ وقت طويل " .

" إننى أستحق منك الانتظار يا عزيزى ، أخبرنى عن نفسك ماذا تعمل ؟ " .

" إننى أعمل فى صيدلية . يمكننى أن أفيدك كثيراً . هل تتناولين أية عقاقير ؟ " .

" اذهب " .

" أين كنت يا تونى ؟ " .

" رهن إشارتك ، هل أنت مارك ؟ " .

" نعم " .

" لم تدخل إلى شبكة الإنترنت منذ فترة " .

" كنت مشغولاً ، إننى أريد مقابلتك يا تونى " .

" أخبرنى يا مارك ، ماذا تعمل ؟ " .

" أعمل أمين مكتبة " .

" أليس هذا مثيراً حقاً ! الكتب وكل شىء آخر ... " .

" متى يمكننا أن نتقابل ؟ " .

" لماذا لا تسأل عرافاً مثل نوستراداموس " .

" مرحباً تونى ، اسمى ويندى " .

" مرحباً ويندى " .

" يبدو أنك تعشقين المرح ، والمتعة " .

" إننى أستمتع بالحياة " .

" ربما يمكننى أن أجعلك تستمتعين بها أكثر " .

" ما الذى يدور فى عقلك ؟ " .

" حسناً أتمنى ألا تكونى من ذوى العقول المتقلقة ، الذين يهابون تجربة أو خوض المواقف المثيرة الجديدة . إننى أريد أن أجعلك تقضين وقتاً جميلاً " .

" أشكرك يا ويندى ، فلا أعتقد أن لديك ما أحتاجه " .

ثم حضر جون كلود بارنت .

" طاب مساؤك ، كيف حالك ؟ " .

" بخير ، ماذا عنك ؟ " .

" إننى أفتقدك ، أتمنى أن أراك قريباً " .

" وأنا أيضاً أود أن أراك ، أشكرك على إرسالك لى صورتك ، إنك تبدو فيها أنيقاً ، وسيماً " .

" وأنت جميلة ، وأعتقد أنه من المهم لنا أن يتعرف كل منا على الآخر أكثر . هل ستشترك الشركة التى تعملين بها فى مؤتمر الحاسبات الذى سيُعقد فى كيبيك ؟ " .

" ماذا ؟ لا أعرف شيئاً عن ذلك الأمر ، متى سيُعقد هذا المؤتمر ؟ " .

" فى غضون ثلاثة أسابيع ، وسيشترك العديد من الشركات الكبيرة ، أتمنى أن تأتى إلى هنا " .

" وأنا أتمنى ذلك أيضاً " .

" هل نلتقى فى حجرة الدردشة غداً فى نفس الموعد ؟ " .

" بالطبع ، إلى اللقاء غداً " .

" إلى اللقاء غداً " .

فى الصباح التالى ، اتجه شان ميللر نحو آشلى ، وقال :
" آشلى ، هل سمعت عن مؤتمر الحاسبات الذى سيعقد فى مدينة كيبيك ؟ " .
أومأت برأسها وقالت : " نعم ، يبدو مثيراً للاهتمام " .
" كنت لتوى أناقش مسألة إرسال ممثلين عن الشركة " .
قالت آشلى : " سيشترك فى هذا الحدث جميع الشركات : سيمانتك ، وميكروسوفت ، وآبل ، وستقوم مدينة كيبيك بإعداد عرض كبير لهذه الشركات ، إن هذه الرحلة ستوافق إجازات الأعياد " .
ابتسم لها شان ميللر بحماس ، وقال : " هيا تستطلع الأمر " .

فى الصباح التالى ، قام شان ميللر باستدعاء آشلى إلى مكتبه :
" ما رأيك فى قضاء إجازات الأعياد فى مدينة كيبيك ؟ " .
قالت آشلى بحماس شديد : " هل سنذهب ؟ عظيم ! " .
فى الماضى كانت آشلى تقضى إجازات الأعياد مع أبيها ولكنها تخشى ذلك هذا العام .
" يجدر بك أن تحضرى بعض الملابس الثقيلة " .
" لا تقلق ، سأفعل ذلك . إننى حقاً أتطلع إلى هذه الرحلة يا شان " .

كانت تونى فى حجرة الدردشة على الإنترنت . " جون كلود ستقوم شركتنا بإيفاد مجموعة منا إلى مدينة كيبيك ! " .

" رائع ، إننى مسرور للغاية . متى ستصلين إلى هنا ؟ " .
" فى غضون أسبوعين . سيمثل الشركة خمسون موظفاً " .
" رائع ، أشعر بأن شيئاً عظيماً سيحدث " .
" وأنا كذلك " . شيئاً ما فى غاية الأهمية .

كانت آشلى تتابع الأخبار بشغف كل ليلة ، ولكن لم يكن هناك أى تطورات فى قضية مقتل دنيس تيبل . بدأت تشعر بالراحة . فإذا لم تستطع الشرطة إثبات تورطها فى القضية فهذا يعنى أنها لن تجد صلة بين أبيها وبين الجريمة ، حاولت آشلى عدة مرات سؤال أبيها عن الحادث ولكنها كانت تتراجع فى كل مرة ، ماذا لو كان بريئاً ؟ هل سيسامحها على اتهامها إياه بارتكاب جرائم القتل ؟ وحدثت نفسها قائلة : " إذا كان مذنباً فعلاً ، فلا أريد أن أعرف ذلك ، فلن يمكننى تحمله . وإن كان قد فعل هذه الأمور الروعة ، فإنه قد فعل ذلك من وجهة نظره لكى يحمينى . على الأقل لن أضطر إلى مواجهته فى إجازات الأعياد " .

اتصلت آشلى هاتفياً بأبيها فى سان فرانسيسكو . قالت ، بدون أى مقدمات : " لن يكون بمقدورى قضاء إجازة الأعياد معك هذا العام يا أبى ، فلقد أوفدتنى الشركة لحضور مؤتمر فى كندا " .
سادت فترة صمت طويلة قبل أن يرد أبوها قائلاً : " هذا توقيت سيئ يا آشلى ، إننا دائماً ما نقضى معاً إجازة الأعياد " .
" إن الأمر ليس بيدى ...." .
" أنت تعرفين أنك كل شىء بالنسبة لى " .
" نعم يا أبى ، و ... أنت كذلك كل شىء بالنسبة لى " .

" هذا هو المهم " .

مهم بما يكفى لارتكاب جريمة قتل .

" أين سيعقد هذا المؤتمر ؟ " .

" فى مدينة كيبيك ، إنها .... " .

" آه ، مكان رائع ، إننى لم أذهب إليها منذ أعوام . سأخبرك بما سأفعله ، ليس لدى أى ارتباطات فى المستشفى فى هذا الوقت ، وسأسافر معك ، وسنقضى إجازة الأعياد معاً " .

قالت آشلى بسرعة : " لا أعتقد أنه ... " .

" فقط قومى بحجز غرفة لى فى الفندق الذى ستنزلين به ، إننا لا نريد أن نتخلى عن إحدى عاداتنا ، أليس كذلك ؟ " .

ترددت ثم قالت ببطء : " لا ، يا أبى " .

كيف يمكننى أن أواجهه ؟

كانت أليت تشعر بالإثارة ، وقالت لتونى : " إننى لم أذهب إلى كيبيك من قبل . هل هناك متاحف ؟ " .

ردت تونى : " بالطبع هناك متاحف ، فلديهم كل شئ والكثير من رياضات الشتاء ، كالتزلج ، والتزحلق ... " .

ارتجفت أليت قائلة : " إننى أكره الطقس البارد ، ولا أمارس الرياضة ، فحتى إن كنت مرتدية القفاز ، تتخدر أصابعى . إننى فقط سأرتاد المتاحف " .

فى الحادى والعشرين من ديسمبر ، وصلت المجموعة التى أوفدتها شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، إلى مطار جون ليساج الدولى فى سانتى فوى ، ثم استقلوا السيارة إلى فندق شاتو فرونتناك

الشهير فى مدينة كيبيك . كانت درجة الحرارة تحت الصفر خارج الأبنية ، وكانت الشوارع مغطاة بالثلوج .

كان جون كلود قد أعطى تونى رقم هاتفه المنزلى ، فاتصلت به فور دخولها إلى حجرتها .

" أتمنى ألا أكون قد اتصلت بك فى وقت متأخر " .

" إطلاقاً ، لا أستطيع أن أصدق أنك حضرت إلى هنا . متى يمكننى رؤيتك ؟ " .

" حسناً ، سنذهب جميعاً إلى مركز المؤتمرات فى صباح الغد ، ولكن يمكننى أن أنسل منهم خلسة ، ثم آتى لتناول الغداء معك " .

" رائع ! هناك مطعم لوباريس بريست فى شارع جراند أليه إيست ، هل يمكنك مقابلتى هناك فى الواحدة ؟ " .

" سأكون هناك فى تمام الواحدة " .

كان مركز مؤتمرات مدينة كيبيك والذى يقع فى شارع رينيه ليفيسك بوليفارد يعد تحفة فنية معمارية من الصلب والزجاج ، مكوناً من أربعة طوابق ، ويتسع لآلاف الأشخاص ممن يحضرون المؤتمرات . فى التاسعة من صباح اليوم التالى ، كانت الردهات الواسعة مكتسة بخبراء الكمبيوتر من جميع أنحاء العالم ، يتبادلون المعلومات الخاصة بالتطورات الراهنة ، كانوا يشغلون حجرات الوسائط المتعددة ، وصالات العرض ، ومراكز مؤتمرات الفيديو . وكان هناك العديد من المؤتمرات المنعقدة فى وقت متزامن . شعرت تونى بالملل ، فحدثت نفسها قائلة : " كل هذا الكلام ولا عمل " . وفى الثانية عشرة وخمس وأربعين دقيقة ، انسلت تونى من المؤتمر ، واستقلت تاكسياً ، واتجهت نحو المطعم .

كان جون كلود فى انتظارها . صافحها فى حرارة وقال :
" تونى ، إننى سعيد لمجيئك " .
" وأنا كذلك " .
قال لها جون كلود : " سأحاول جاهداً أن يكون وقتك هنا ممتعاً ، فهذه المدينة رائعة وجميلة يجدر بك استكشافها " .
" نظرت إليه تونى مبتسمة : " أعرف أننى سأستمتع بها كثيراً " .
" أريد أن أقضى معك أكثر وقت ممكن " .
" هل يمكنك أن توفر كل هذا الوقت من عملك ؟ وماذا عن متجر المجوهرات ؟ " .
ابتسم جون كلود وقال : " إن المتجر تدار أموره بدونى " .
أحضر رئيس النُّدل قائمة الطعام .
قال جون كلود : " هل ترغبين فى تجربة أحد الأطباق الفرنسية الكندية لدينا ؟ " .
" وهو كذلك " .
" إذن ، اسمحى لى أن أطلب لك " .
ثم وجه حديثه لرئيس النُّدل قائلاً : " البط بالتفاح ، من فضلك " ، ثم وضح لتونى قائلاً : " إنه طبق من البط المطهو بالصلصة " .
" يبدو أنها لذيذة " .
وكانت كذلك بالفعل .

وأثناء وجبة الغداء ، حكى كل منهما للآخر عن حياته الماضية .

سألت تونى : " إذن فأنت لم تتزوج أبداً ؟ " .
" لا ، وأنت ؟! " .
" لا " .
" إنك لم تعثرى بعد على الرجل المناسب ؟! " .
يا إلهى ، لو كان الأمر بهذه البساطة ، لكان ذلك رائعاً .
" لا " .
تحدثا عن مدينة كيبيك وما ينبغى عليها فعله هناك .
" هل تمارسين التزلج ؟ " .
أومأت تونى قائلة : " إننى أعشقه " .
" حسناً ، وأنا كذلك ، وهنا يوجد ساحة للتزلج ، والتزحلق على الجليد ، ومتاجر رائعة للتسوق ، ... " .
كان هناك شىء صبيانى ظاهر فى حماسه ، ولم تشعر تونى أبداً بمثل هذه الراحة مع أى شخص من قبل .

قام شان ميللر بترتيب الأمور بحيث يحضر العاملون بالشركة المؤتمرات صباحاً ، أما فترة الظهيرة فيفعلون فيها ما يحلو لهم .
قالت أليت لتونى متذمرة : " لا أعرف ما الذى يمكن عمله هنا ، فالطقس شديد البرودة ، ما الذى ستفعلينه ؟ " .
ابتسمت تونى : " كل شىء " .

كان جون وتونى يتناولان الغداء معاً كل يوم ، وبعد الظهيرة كان جون يصطحب تونى فى جولة سياحية حول المدينة . إنها لم تر أبداً مكاناً بهذا الجمال مثل مدينة كيبيك ، فقد كان ذلك بالنسبة لها كأنها عثرت على قرية فرنسية خلابة فى بداية القرن

في أمريكا الشمالية ، فالشوارع القديمة لها أسماء مميزة مثل " بترك نيك ستيرز " و " بيلو دى فورت " و " سيلورز ليب " . إنها مدينة تاريخية رائعة محاطة بالجليد .

قاما بزيارة قلعة كيبيك القديمة ذات الأسوار العالية ، وشاهدا التغير التاريخي للحراسة داخل حوائط القلعة ، كما قاما كذلك بتفقد الشوارع التجارية المشهورة مثل : سانت جون ، وكارتير كوت دى لى فابريك ، وتجولا في مدينة كوارتير بيتيت شامبلين

قال لها جون كلود : " إنها أقدم مقاطعة تجارية في أمريكا الشمالية " .

" إنها رائعة " .

في كل مكان ذهبا إليه ، كانت مظاهر الاحتفال بالأعياد تملأ الشوارع .

اصطحب جون كلود تونى لممارسة التزلج على الجليد في الريف ، وبينما كانا يتسابقان في منحدر شديد مائل ، سألها بصوت عال : " هل تستمتعين بوقتك معي ؟ " .

أحست تونى أن هذا ليس سؤالاً عابراً ، فأومأت برأسها وقالت بهدوء : " إنني أقضى وقتاً رائعاً " .

قضت أليت أوقاتها في المتاحف ، فلقد زارت " بازيليكا نوتردام " ، و " جود شيبرد شابل " ، ومتحف أوجاستين . لم تكن أليت مهتمة بأى شىء آخر في مدينة كيبيك . كان هناك العديد من المطاعم الفاخرة ، وعندما كانت لا تتناول غداءها في الفندق ، كانت تتناوله في لوكمنسال وهى كافتيريا مخصصة للأشخاص النباتيين .

وكانت أليت تفكر بين الحين والآخر في صديقها الفنان ريتشارد ميلتون ، في سان فرانسيسكو ، وكانت تتساءل عما يفعله هناك ، وما إذا كان يتذكرها أم لا ؟!

كانت آشلى تمقت الأعياد ، كانت تميل إلى الاتصال بأبيها لتطلب منه ألا يأتى . ولكن ما العذر الذى يمكن أن أسوقه إليه ؟ أنت قاتل ، ولا أريد أن أراك ؟

ومع كل يوم يمر يقترب موعد العيد أكثر .

قال جون كلود لتونى : " أريد أن أريك متجر المجوهرات الذى أملكه ، هل ترغبين في رؤيته ؟ " .

أومأت تونى بالإيجاب : " كم أود ذلك ! " .

كان متجر بيرنت جويلرز يقع في قلب مدينة كيبيك ، في شارع نوتردام . عندما دلفت تونى من الباب ، أصابتها الدهشة . لقد قال لها جون كلود عبر شبكة الإنترنت : " لدىّ متجر مجوهرات صغير " ، ولكنه كان متجراً ضخماً مصمماً بشكل عالى الذوق وكان عدد كبير من الموظفين منشغلين مع العملاء .

نظرت تونى حولها وقالت : " إنه ... رائع بحق " .

ابتسم قائلاً : " شكراً . يسعدنى أن أقدم لك هدية ، بمناسبة الأعياد " .

" لا ، ليس هذا ضرورياً ، إننى ... " .

" أرجوك ، لا تحرمينى من متعة تقديم هدية لك " ، ثم قادها جون كلود نحو واجهة عرض مليئة بالخواتم . " أخبرينى بما يعجبك من هذه الخواتم " .

هزت تونى رأسها ، وقالت : " هذه الخواتم غالية الثمن جداً ، لا أستطيع ... " .

" أرجوك " .

تفرسته تونى للحظة ، ثم أومأت : " وهو كذلك " . فحصت واجهة العرض مرة أخرى ، كان يوجد فى منتصفها خاتم زمرد كبير مرصع بالماس .

لمحها جون كلود وهى تنظر إلى الخاتم وقال : " هل أعجبك الخاتم الزمرد ؟ " .

" إنه جميل ، ولكنى ... " .

" إنه ملكك " ، ثم أخرج جون كلود مفتاحاً صغيراً وفتح واجهة العرض ثم أخرج الخاتم .

" لا ، يا جون ... " .

" من أجلك " ، ثم زلقه فى إصبع تونى ، وكان مقاسه مناسباً لإصبعها تماماً .

" رائع ، رائع جداً " .

ضغطت تونى على يده وقالت : " إننى ... إننى لا أعرف ماذا يمكننى أن أقوله لك " .

" وأنا كذلك ، لا يمكننى أن أخبرك كم من السعادة منحتنى إياها . يوجد مطعم رائع هنا يدعى بافيلون . هل تقبلين دعوتى لتناول العشاء معاً هناك الليلة ؟ " .

" أى مكان ترغبه " .

" سأتصل بك هاتفياً فى الثامنة مساءً " .

فى السادسة من هذا المساء ، اتصل والد آشلى بها هاتفياً ، وقال لها : " أعتذر لك ، إننى سوف أخيب آمالك الليلة يا آشلى ، فلن يكون بمقدورى الحضور لقضاء إجازة الأعياد معك . لقد أصيب أحد مرضاى فى أمريكا الجنوبية بجلطة ، وسوف أسافر إلى الأرجنتين الليلة " .

قالت آشلى : " إننى ... إننى آسفة لهذا يا أبى " ، وحاولت أن تبدو مقتنعة .

" سنعوض ذلك فيما بعد ، أليس كذلك يا حبيبتى ؟ " .

" بالتأكيد يا أبى ، أتمنى لك رحلة ممتعة " .

كانت تونى تتطلع إلى أمسية العشاء الذى ستقضيها مع جون كلود ، ستكون بالتأكيد أمسية رائعة ، وبينما كانت ترتدى ملابسها ، رددت بهدوء أغنيتها المفضلة :

" هنا وهناك فى شوارع المدينة ،
منها وإليها تسافر النسور ،
بهذه الطريقة تفنى النقود ،
ولكن يهرب ذلك السنجاب " .

أعتقد أن جون كلود قد وقع فى غرامى ، يا أبى .

كان مطعم بافيلون يقع فى محطة دو باليه وهى محطة سكة حديد مدينة كيبيك القديمة . كان بافيلون مطعماً كبيراً ، تصطف به

الطاولات حتى نهايته ، وفى المساء يتحول المطعم إلى صالة للموسيقى والرقص ، حيث تنقل الطاولات إلى جوانب المطعم ، ويقوم الرجل الذى يشغل الأسطوانات بعرض مجموعة متنوعة من الموسيقى مثل الريجاى ، والجاز ، والبلوز .

وصل كل من تونى ، وجون كلود فى الموعد المحدد ، وحياهما صاحب المطعم بحرارة شديدة عند دخولهما .

- " السيد كلود ، كم جميل أن أراك ! " .

- " أشكرك ، يا أندريه . هذه هى الآنسة تونى بريسكوت ، وهذا هو السيد نيكولاس " .

- " سررت لمقابلتك يا آنسة بريسكوت . إن الطاولة الخاصة بكما معدة لاستقبالكما " .

طمأن جون كلود تونى ، وهما يجلسان قائلاً : " الطعام هنا ممتاز ، ولكن لنبدأ أولاً بمشروب مثلج " .

ثم طلبا أحد الأطباق الرئيسية ، وسلاطة ، وزجاجة مشروب مثلج أيضاً .

أخذت تونى تنظر بين الحين والآخر إلى الخاتم الزمرد الذى أعطاها إياه جون كلود ، ثم قالت بتعجب : " إنه رائع " .

انحنى جون كلود عبر الطاولة وقال : " وأنت كذلك . لا أستطيع أن أخبرك كم سعادتى لأننى قابلتك أخيراً " .

قالت تونى بهدوء : " وأنا كذلك " .

بدأت الموسيقى تعزف ، فنظر جون كلود لتونى وقال لها :

- " هل ترغبين فى الرقص معى ؟ " .

- " بكل سرور " .

كان الرقص هو إحدى الهوايات التى كانت تونى تعشقها ، وعندما وقفت على حلبة الرقص ، نسيت كل شىء آخر فى حياتها . كانت فتاة صغيرة ترقص مع أبيها ، وتقول أمها : " هذه الطفلة حمقاء " .

كان جون كلود يطوقها بذراعيه حينما قال لها : " إنك ترقصين ببراعة شديدة " .

" أشكرك " . هل تسمعين هذا يا أمى ؟

كم أتمنى أن يطول هذا إلى الأبد .

فى طريق عودتهما إلى الفندق ، قال جون كلود : " حبيبتى ، هل تقبلين زيارتى فى منزلى الليلة ؟ " .

ترددت تونى وقالت : " ليس الليلة ، يا جون " .

" لكن غداً ، اتفقنا ؟! " .

ضغطت على يده ، وقالت : " لكن غداً " .

فى الثالثة صباحاً ، كان ضابط الشرطة رينيه بيكارد فى سيارة الشرطة يجوب شارع جراند أفى عندما لاحظ أن الباب الأمامى لأحد المنازل المبنية من الطوب الأحمر والمكون من طابقين - مفتوح على مصراعيه . ركن سيارته عند حافة الرصيف ، لكى يتحرى الأمر ، وسار نحو الباب الرئيسى ونادى بصوته قائلاً : " طاب مساؤكم ، هل من أحد هنا ؟ " .

لم يتلق أى رد على الإطلاق ، وكان الصمت يظلل على المكان ، فدخل إلى الردهة ثم تحرك نحو صالة الاستقبال وقال : " إننى ضابط الشرطة ، هل من أحد هنا ؟ " .

لم يتلق أى رد ، كان المنزل هادئاً بشكل غير طبيعى ، فأخرج المسدس من جرابه ، واتجه بهدوء نحو الغرف الموجودة فى الطابق السفلى ، منادياً بصوته بينما يتنقل من غرفة إلى غرفة ، وكان الرد الوحيد هو الصمت المطبق . عاد إلى الردهة ، وكان هناك سلم يؤدى إلى الطابق العلوى فاتجه نحوه وقال : " هالو " ، ولكن لم يتلق إلا صدى صوته .

بدأ الضابط بيكارد الصعود إلى الطابق العلوى ، وعندما وصل إلى أعلى درجات السلم ، أمسك بالمسدس فى يديه ، نادى بصوته مجدداً ، ثم نزل إلى الرواق . أمامه ، كان هناك باب حجرة نوم مفتوح قليلاً ، دلف إلى هذه الحجرة ، وفتح الباب على مصراعيه ، شحب وجهه وقال : " يا إلهى !" .

فى الخامسة من صباح اليوم التالى ، فى بناية ستورى بوليفارد المبنية من الطوب الأصفر والحجارة الرمادية ، والتى يوجد فيها مركز الشرطة ، كان مفتش الشرطة بول كاير يسأل قائلاً : " ماذا لدينا ؟ " .

أجابه الضابط جاى فاونتاين : " اسم الضحية هو جون كلود بارنت ، وقد تلقى العديد من الطعنات ، وقد تم التمثيل بجثته ، وقد قال المحقق المسئول عن جرائم القتل إن الحادث قد وقع فى آخر ثلاث أو أربع ساعات ، وقد عثرنا على فاتورة من مطعم بافيلون فى جيب الجاكت الخاص بجون بارنت ، لقد تناول عشاءه فى هذا المطعم فى المساء ، وقد أحضرنا صاحب المطعم من سريره " .

" حقاً ؟ " .

" كان السيد كلود فى مطعم بافيلون مع امرأة تدعى تونى بريسكوت ، بشرتها سمراء ، وجمالها جذاب ، ولهجتها إنجليزية ، وقد قال مدير متجر المجوهرات الخاص بالسيد كلود ، إن السيد جون كلود قد حضر فى وقت مبكر من هذا اليوم ، ومعه امرأة تنطبق عليها نفس المواصفات وقدمها لهم تحت مسمى تونى بريسكوت ، وأعطى لها خاتماً من الزمرد غالى الثمن ، كما أننا أيضاً متأكدون أن السيد جون كلود قد قضى ليلته مع إحدى السيدات قبل موته ، وكان سلاح الجريمة هو سكينة لفتح الخطابات ذات نصل حاد صلب ، وكان عليها بصمات أصابع ، وقد أرسلناها إلى المعمل الخاص بنا وإلى مكتب المباحث الفيدرالية ، ونحن فى انتظار نتيجة الفحص " .

" هل تم القبض على تونى بريسكوت ؟ " .

" ليس بعد " .

" لماذا ؟ " .

" لم نستطع العثور عليها ، لقد راجعنا جميع الفنادق الموجودة فى المنطقة ، وقد راجعنا سجلاتنا ، وسجلات مكتب المباحث الفيدرالية ، فلم نعثر على شهادة ميلاد باسمها ، ولا رقم قومى ، ولا رخصة قيادة " .

" مستحيل ، هل يحتمل أن تكون قد خرجت من المدينة ؟ " .

هز الضابط فاونتين رأسه وقال : " لا أعتقد ذلك ، أيها المفتش ، فالمطار يغلق أبوابه عند منتصف الليل ، وآخر قطار غادر مدينة كيبيك كان فى الخامسة وخمس وثلاثين دقيقة الليلة السابقة ، وأول قطار فى الصباح سيغادر فى السادسة وتسع وثلاثين

دقيقة ، وقد أرسلنا مواصفاتها إلى محطة الأتوبيس ، وإلى شركات سيارات الأجرة ، والتاكسي ، وتأجير السيارات " .

" بالله عليك ، لدينا اسمها ، وأوصافها ، وبصمات أصابعها ، فلا يمكن أن تكون قد اختفت !" .

بعد ساعة وصل تقرير مكتب المباحث الفيدرالية ، إنهم لم يتمكنوا من تحديد صاحب البصمات ، فليس هناك ملف خاص باسم توني بريسكوت .

الفصل الثامن

بعد خمسة أيام من عودة آشلي من مدينة كيبيك ، تلقت مكالمة هاتفية من أبيها قائلاً : " لقد عدت لتوى " .

" عدت ؟ " ، وقد استغرقت لحظة حتى تتذكر : " آه ، مريضك في الأرجنتين . كيف حاله ؟ " .

" سيعيش " .

" إنني سعيدة " .

" هل يمكنك المجيء إلى سان فرانسيسكو لنتناول العشاء معاً غداً ؟ " .

لقد أرهبتها فكرة مواجهته ، ولكنها لم تستطع أن تختلق أي عذر فقالت : " وهو كذلك " .

" إذن إلى اللقاء في مطعم " لولو " في الثامنة " .

كانت آشلى منتظرة فى المطعم عندما حضر أبوها ، ورأت آشلى مجدداً نظرات الإعجاب فوق وجوه الحاضرين ، فأبوها رجل مشهور . هل سيجازف بكل ما يملك فقط لكى ... ؟

جلس قبالتها على الطاولة .

" إننى سعيد برؤيتك يا حبيبتى ، وأعتذر بخصوص عدم تناولنا العشاء معا فى العيد " .

أجبرت نفسها لتقول : " وأنا كذلك " .

كانت تنظر فى القائمة دون أن ترى محتواها ، محاولة تجميع أفكارها .

قال لها : " ماذا ستطلبين ؟ " .

قالت : " أنا ... إننى لست جائعة فى الحقيقة " .

" يجب أن تتناولى شيئاً ما ، فإنك تزدادين نحافة " .

" سأتناول الدجاج " .

شاهدت أباها ، وهو يطلب الطعام ، وتساءلت إذا ما كان لديها الشجاعة لتثير الموضوع ؟ " .

" كيف كانت مدينة كيبيك ؟ " .

" كانت شيقة للغاية ، إنها مكان رائع " .

" يجب أن نذهب إلى هناك معاً فى مرة من المرات " .

لقد اتخذت قراراً ، وحاولت أن تحتفظ بنبرة صوتها هادئة كعادتها ، وقالت : " نعم ، بالمناسبة ... فى يونيو الماضى ذهبت إلى حفل " لم الشمل " الخاص بخريجى مدرستى بعد عشر سنوات وذلك فى بيدفورد " .

أومأ برأسه : " هل استمتعت به ؟ " .

تحدثت ببطء محاولة انتقاء ألفاظها بحرص شديد . " لا ، لقد ... اكتشفت أنه فى اليوم التالى لسفرى معك إلى لندن ، تم العثور على جثة جيم كليرى ... لقد طعنه أحدهم ، ... مثَّل بجثته " . جلست تراقبه بتمعن منتظرة رد فعله .

تجهم السيد باترسون وقال : " كليرى ؟ آه ، نعم ، هذا الصبى الذى كان يلهث وراءك . لقد أنقذتك منه أليس كذلك ؟ " .

ماذا يعنى هذا ؟ هل هذا اعتراف ؟ هل أنقذها من جيم كليرى بقتله ؟

أخذت آشلى نفساً عميقاً ثم واصلت قائلة : " لقد قتل دنيس تيبل بنفس الطريقة ، فقد تلقى العديد من الطعنات ، وتم التمثيل أيضاً بجثته " . شاهدت أباها يمسك بقطعة الخبز ويضع فوقها الزبد .

وعندما تحدث قال : " إننى لست مندهشاً لذلك ، يا آشلى ، فإن الأشخاص السيئين عادة ما تكون نهايتهم سيئة " .

وكان هذا الرجل طبيباً ، يكرس حياته لإنقاذ حياة الآخرين .

حدثت آشلى نفسها قائلة : " لن أفهمه أبداً ، ولا أعتقد أننى أريد ذلك " .

وعندما انتهى العشاء ، كانت آشلى قد ابتعدت تماماً عن الحقيقة .

قالت تونى : " لقد استمتعت حقاً بزيارتى لمدينة كيبيك ، يا أليت ، وكم أتمنى أن أعود لها مجدداً فى يوم ما . هل استمتعت أنت الأخرى بوقتك يا أليت ؟ " .

قالت أليت بخجل : " لقد استمتعت بزيارة المتاحف " .

" هل اتصلت هاتفياً بصديقك فى سان فرانسيسكو ؟ " .

" إنه ليس صديقى " .

" أراهن أنك تتمنين ذلك ، أليس كذلك ؟ " .

" ربما " .

" لماذا لا تتصلين به هاتفياً ؟ " .

" لا أعتقد أنه من اللائق أن ... " .

" اتصلى به " .

لقد اتفقا على المقابلة فى متحف دى يانج .

قال ريتشارد ميلتون : " إننى حقاً أفتقدك ، ما رأيك فى كيبيك ؟ " .

" رائعة ! " .

" كنت أتمنى أن أكون هناك معك " .

ربما فى يوم ما ، وكانت أليت حقاً تتمنى ذلك ، فقالت : " كيف حال لوحاتك ؟ " .

" ليست على أسوأ حال ، لقد بعت لتوى إحداها لأحد جامعى اللوحات المشهورين " .

" رائع " ، وكانت أليت مسرورة للغاية ، ولم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير ، فقالت لنفسها : " عندما أكون معه ، يكون الأمر مختلفاً ، فلو كان شخصاً آخر ، لكنت قد فكرتُ وتساءلت : من هذا الذى لا يمتلك ذوقاً أو حساً فنياً حتى يدفع مما لديه من مال مقابل هذه اللوحات ؟ أو لا تتخلى عن عملك اليومى أو اللتات من اللاحقات القاسية . ولكننى لا أفعل ذلك مع ريتشارد " .

لقد منحها ذلك شعوراً رائعاً بالحرية ، كما لو أنها قد عثرت على علاج للأمراض التى تعذبها .

وتناولا الغداء فى المتحف .

سألها ريتشارد : " ماذا ترغبين ؟ لديهم هنا لحم بقرى مشوى رائع " .

" إننى نباتية ، فقط سأتناول سلاطة ، أشكرك " .

" حسناً " .

حضرت نادلة صغيرة جذابة إلى طاولتهما .

" أهلاً ، ريتشارد " .

" أهلاً ، برنايس " .

ودون توقع ، شعرت أليت بوخز الغيرة ، وقد أدهشها رد فعلها .

" هل حددتما ما ستطلبانه ؟ " .

" نعم ، فالآنسة بيترز ستتناول سلاطة ، وسوف أتناول أنا شطيرة من اللحم البقرى المشوى " .

أمعنت النادلة النظر إلى أليت ، فتعجبت متسائلة : " هل تشعر بالغيرة نحوى ؟ " ، وعندما ابتعدت النادلة ، قالت أليت : " إنها فتاة جميلة للغاية ، هل تعرفها جيداً ؟ " ، وشعرت على الفور بالخجل الشديد ، ليتني ما طرحت هذا السؤال .

ابتسم ريتشارد قائلاً : " إننى آتى إلى هنا كثيراً ، وعندما جئت هنا فى أول مرة ، لم يكن معى ما يكفى من النقود ، وطلبت شطيرة ، وأحضرت لى برنايس مأدبة طعام ، إنها رائعة " .

قالت أليت : " إنها تبدو لطيفة " ، ولكنها حدثت نفسها قائلة : " ولكنها سمينة للغاية " .

وبعدما طلبا طعامهما ، تحدثا بخصوص الفنانين .

قالت أليت : " أريد يوماً ما أن أذهب إلى جيفرنى ، حيث يرسم مونيه " .

" هل تعرفين أن مونيه بدأ حياته الفنية كرسام كاريكاتورى ؟ " .

" لا " .

" هذه حقيقة . بعدها تقابل مع بودين ، والذى أصبح معلمه ، وأقنعه بأن يبدأ ممارسة الرسم خارج جدران منزله ، ووراء ذلك قصة رائعة ، حيث كان الرسام الفرنسى المعروف مونيه مولعا بالرسم خارج المنزل ، فعندما أراد أن يرسم لوحة لامرأة فى الحديقة ذات مقاس يربو على ثمانى أقدام ، قام بتثبيت مسند اللوحة فى الأرض جاعلاً إياها تتحرك بحيث يستطيع رفعها وخفضها لرسم التفاصيل المختلفة فى جميع أرجائها ، واللوحة الآن معلقة على جدران " موسيه دورساى " فى باريس .

مر الوقت بهما فى سرعة وسعادة .

بعد الغداء ، تجول كل من أليت وريتشارد بين المعارض المختلفة ، وكانت هناك أكثر من أربعين ألف لوحة ، كل شىء منذ الفنون المصرية القديمة حتى الفنون الأمريكية المعاصرة .

غمرت أليت سعادة شديدة لكونها مع ريتشارد ، ولافتقادها التام للأفكار السلبية .

اقترب منهما حارس مرتد زياً رسمياً ، وقال : " طاب مساؤك يا ريتشارد " .

" طاب مساؤك يا براين . هذه صديقتى أليت بيترز ، وهذا براين هيل " .

وجه براين حديثه إلى أليت : " هل أعجبك المتحف ؟ " .

" أوه ، نعم ، إنه رائع " .

قال براين : " لقد علمنى ريتشارد الرسم " .

نظرت أليت إلى ريتشارد وقالت : " حقا ؟ " .

قال ريتشارد بتواضع : " آه ، إننى فقط منحته بعض الإرشادات البسيطة " .

" بل فعل ما هو أكثر من ذلك ، يا آنسة أليت . إننى دائماً ما كنت أرغب فى أن أصبح رساماً ، لهذا حصلت على هذه الوظيفة فى المتحف ، لأننى أحب الفن . على أية حال ، كان ريتشارد يأتى إلى هنا كثيراً ويمارس رسم لوحاته ، وعندما رأيت إبداعاته ، تمنيت أن أكون مثله ، لذا طلبت منه أن يعلمنى ، وكان عظيماً . هل رأيت أياً من لوحاته ؟ " .

قالت أليت : " نعم ، إنها رائعة " .

وعندما غادراه ، قالت أليت : " من الرائع أن تفعل هذا يا ريتشارد " .

نظر إلى أليت وقال : " أحب دائماً أن أسدى مساعدتى للآخرين " .

وعندما خرجا من المتحف ، قال ريتشارد : " إن زميلى فى السكن مدعو إلى حفلة الليلة ، لماذا لا تأتى معى إلى منزلى ؟ " .

ابتسم ثم أضاف : " لدىّ بعض اللوحات التى أريد أن أريك إياها " .

ضغطت أليت على يديه ، وقالت : " ليس الآن يا ريتشارد " .

" كما تشائين ، هل سأراك الأسبوع القادم ؟ " .

" نعم " .

ولم يكن لديه فكرة عن مدى شغفها وتطلعها لذلك .

أوصل ريتشارد أليت إلى مكان سيارتها فى ساحة الانتظار ، حيث كانت قد ركنت سيارتها ، ثم أشار إليها مودعاً إياها ، بينما ابتعدت هى بسيارتها .

* * *

وعندما أوت أليت إلى فراشها فى تلك الليلة حدثت نفسها قائلة : " يبدو الأمر وكأنه معجزة ، لقد حررنى ريتشارد " ، ثم غطت فى النوم ، وقد زارها ريتشارد فى أحلامها .

فى الثانية صباحاً ، عاد جارى ـ زميل ريتشارد فى سكنه ـ من حفلة عيد الميلاد التى كان يحضرها ، كانت الشقة مظلمة ، فأدار الأنوار فى حجرة المعيشة ، " ريتشارد ؟ " .

ثم اتجه نحو غرفة النوم ، وعند باب الحجرة نظر داخلها ، ثم شعر بالغصة والرغبة فى التقيؤ من بشاعة ما رأى .

قال المحقق ويتر وهو ينظر إلى الشخص المرتجف على المقعد :

" اهدأ يا بنى ، الآن ، هيا نتناول ذلك الأمر مرة أخرى ، هل لديه أى أعداء ، شخص ما مصاب بالجنون لدرجة أن يفعل معه ذلك ؟ " .

تلعثم جارى وازدرد لعابه قبل أن يقول : " لا ، الجميع ... الجميع كان يحب ريتشارد " .

" بالتأكيد هناك من لا يحبه . منذ متى وأنت تقيم مع ريتشارد ؟ " .

" منذ عامين " .

" هل كنتما على صلة وثيقة ؟ " .

قال جارى بسخط : " لم يكن ذلك هو السبب لكى نعيش معاً . لقد كنا أصدقاء ، واضطررنا للعيش معاً لظروف مادية " .

تفحص المحقق ويتر الشقة وأرجاءها ، وقال : " بالتأكيد من ارتكب ذلك ليس بلص ، فلا يوجد هنا ما يمكن سرقته ، هل كان صديقك يقابل أى امرأة يكون مرتبطاً بها عاطفياً ؟ " .

" لا ، ... حسناً ، نعم . كانت هناك فتاة اهتم بها ، وأعتقد أنه قد بدأ بالفعل يقع فى غرامها " .

" هل تعرف اسمها ؟ " .

" نعم ، أليت . أليت بيترز . إنها تعمل فى كوبرتينو " .

نظر كل من المحقق ويتر والمحقق رينولدز إلى بعضهما البعض .

" كوبرتينو ؟ " .

فقال رينولدز : " يا إلهى ! " .

بعد ثلاثين دقيقة كان المحقق ويتر على الهاتف يحادث المأمور داولينج قائلاً : " سيادة المأمور ، أعتقد أنك ستندهش كثيراً إذا عرفت أننا أمام جريمة قتل هنا تشبه تماماً نفس جريمة القتل التى وقعت عندك فى كوبرتينو ، حيث الطعنات المتعددة والتمثيل بالجثة " .

" يا إلهى ! " .

" لقد تحدثت لتوى إلى مكتب المباحث الفيدرالية ، وأوضح جهاز الكمبيوتر الخاص بهم أن هناك ثلاث جرائم قتل وتمثيل بالجثث من قبل ومشابهة تماماً للجريمة التى أمامنا ، فقد وقعت الأولى فى بيدفورد ، فى بنسلفانيا ، منذ ما يقرب من عشر

سنوات ، والثانية يدعى دنيس تيبل ـ وتلك هي قضيتك ، ثم جريمة أخرى بنفس الأسلوب في مدينة كيبيك ، والآن هذه الجريمة " .

" لا أفهم أى شىء ، بنسلفانيا ، ... كوبرتينو ... مدينة كيبيك ... سان فرانسيسكو . هل هناك أى خيط يربط بين هذه الجرائم وبعضها البعض ؟ " .

" إننا نحاول أن نعثر على هذا الخيط . كيبيك تتطلب جوازات سفر ، ويقوم مكتب المباحث الفيدرالية الآن بالتأكد عما إذا كان هناك شخص قد تردد على مدينة كيبيك خلال الأعياد وتواجد في أى المدن الأخرى وقت وقوع الجريمة .. " .

عندما وصل الخبر إلى وسائل الاعلام ، أصبحت هذه الجرائم بارزة للعيان على صفحات الجرائد والمطبوعات :

حلقات مسلسل القتل المتفرقة ..

قتل أربعة رجال بالطعنات الوحشية والتمثيل بالجثث .

وتكررت هذه العناوين في جميع الصحف وبكل اللغات ، وعلى شبكة الإنترنت قام علماء النفس بتحليل هذه الجرائم .

" ... وجميع الضحايا رجال ، وبسبب الطريقة التى طعنوا بها والتمثيل بجثثهم ، فإنهم بلا شك من الشواذ الذين ... " .

" ... إذن ، إذا استطاعت الشرطة أن تربط ما بين الضحايا ، فإنها ستكتشف أن ذلك كان نتيجة العلاقات العاطفية التى غرق فيها هؤلاء الرجال جميعاً ... " .

" ... ولكننى أعتقد أنها جرائم قتل عشوائية ، ارتكبها شخص ما كانت أمه متسلطة ... " .

في صباح السبت ، اتصل المحقق ويتر هاتفياً بالنائب بليك من سان فرانسيسكو .

" أيها النائب ، لدىّ معلومات جديدة تهمك " .

" تفضل وأخبرني بها " .

" لقد حصلت توا على معلومات من مكتب المباحث الفيدرالية ـ عبر الهاتف ـ تفيد بأن هناك شخصية أمريكية تقيم في كوبرتينو وكانت في مدينة كيبيك في نفس توقيت وقوع جريمة قتل جون كلود " .

" هذا رائع ، ما اسم هذا الشخص ؟ " .

" بل اسمها . باترسون ، إنها آشلى باترسون " .

في السادسة من مساء ذلك اليوم ، توجه النائب سام بليك إلى منزل آشلى ، ورن جرس الباب ، ومن وراء الباب سمع نداء تشوبه نبرة الحذر " من هناك ؟ " .

" النائب بليك . أريد التحدث إليك يا آنسة باترسون " .

وسادت فترة طويلة من الصمت ، ثم فتح الباب وكانت آشلى واقفة تنظر إليه بحذر واحتراس .

" هل يمكنني الدخول ؟ " .

" نعم ، بالطبع " . هل يا ترى جاء بخصوص أبى ؟ يجب أن أكون شديدة الحذر ، وقادته آشلى نحو الأريكة ، " هل يمكنني مساعدتك يا سيادة النائب ؟ " .

" هل تمانعين في الإجابة عن بعض الأسئلة ؟ " .

انتاب آشلى شعور بعدم الراحة وقالت : " أنا ... أنا لا أعرف ، هل أنا متهمة بارتكاب شىء ما ؟ " .

ابتسم مطمئناً إياها وقال : " لا شيء من هذا القبيل يا آنسة باترسون ، بل هذا مجرد إجراء روتيني يجب إنهاؤه ، فنحن الآن نحقق في عدد من جرائم القتل " .

قالت له بسرعة : " أنا لا أعرف أي شيء عن أي جرائم قتل " . بسرعة شديدة ؟

" كنت في مدينة كيبيك مؤخراً ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" هل قابلت جون كلود ؟ " .

" جون كلود ؟ " . ثم فكرت للحظة قبل أن تقول : " لا ، لم أسمع بهذا الاسم من قبل ، من جون كلود ؟ " .

" إنه يمتلك متجر مجوهرات في مدينة كيبيك " .

هزت آشلي رأسها : " إنني لم أشترِ أية مجوهرات في مدينة كيبيك " .

" كنت تعملين مع دنيس تيبل " .

شعرت آشلي بالخوف ينتابها مجدداً ، فهذا الأمر يتعلق بوالدها ، فقالت بمنتهى الحرص : " إنني لم أعمل معه ، ولكنه كان يعمل في نفس الشركة " .

" نعم بالطبع . هل تذهبين إلى سان فرانسيسكو من وقت لآخر ؟ " .

تساءلت آشلي عما يريده من وراء ذلك وبحرص قالت : " من وقت لآخر ، نعم " .

" هل قابلت رساماً هناك يدعى ريتشارد ميلتون ؟ " .

" لا ، لا أعرف أي شخص بهذا الاسم " .

جلس النائب بليك وهو يتفرس آشلي وقد انتابه شعور بالإحباط .

" آنسة باترسون ، هل تمانعين في المجيء إلى مكتبنا ، وتجري اختباراً تحت جهاز كشف الكذب ؟ وفي هذه الحالة يمكنك الاتصال بالمحامي ، و ... " .

" إنني لست بحاجة للمحامي ، ويسعدني أن أخضع للاختبار " .

كان الخبير المسئول عن جهاز كشف الكذب رجلاً يدعى كيث روسون ، وكان من أفضل الخبراء في هذا المجال . لقد اضطر لإلغاء موعد مهم ، ولكنه كان سعيداً بسبب تعاونه مع سام بليك .

جلست آشلي فوق مقعد متصل سلكياً بجهاز كشف الكذب ، واستغرق روسون خمساً وأربعين دقيقة وهو يتحدث إلى آشلي ، فقد حصل منها على معلومات عن نشأتها وأخذ يُقيم حالتها الانفعالية ، ثم أصبح مستعداً للبدء .

" هل تشعرين بالراحة ؟ " .

" نعم " .

" حسناً ، فلنبدأ " . ثم ضغط أحد الأزرار وقال : " ما اسمك ؟ " .

" آشلي باترسون " .

ظلت عينا روسون تتنقلان سريعاً بين آشلي ، وبين شاشة المؤشر الخاص بجهاز كشف الكذب .

" كم عمرك ، يا آنسة باترسون ؟ " .

" ثمانية وعشرون عاماً " .

" أين تسكنين ؟ " .

" ١٠٩٦٤ فيا كامينوكورت ، في كوبرتينو " .

" هل أنت موظفة ؟ " .

" نعم " .

" هل تحبين الموسيقى الكلاسيكية ؟ " .

" نعم " .

" هل تعرفين ريتشارد ميلتون ؟ " .

" لا " .

لم تظهر أية اختلافات على الجهاز .

" أين تعملين ؟ " .

" في مؤسسة جلوبال كمبيوتر جرافيكس " .

" هل تستمتعين بعملك ؟ " .

" نعم " .

هل تعملين خمسة أيام في الأسبوع ؟ " .

" نعم " .

" هل قابلت جون كلود من قبل ؟ " .

" لا " .

استمرت الأسئلة لثلاثين دقيقة أخرى ، وتكررت لثلاث مرات ، وبترتيب مختلف .

وعندما انتهت الجلسة ، دلف روسون إلى مكتب سام بليك ، وأعطاه تقرير الاختبار .

" إن التقرير سليم تماماً . هناك احتمال أقل من واحد بالمائة بأن تكون كاذبة ، إنك تتعامل مع الشخصية الخاطئة " .

غادرت آشلي مقر الشرطة ، وهي تشعر بالراحة . **أحمد الله على انتهاء ذلك الأمر** . لقد كانت تشعر بالرعب من احتمال توجيه أسئلة إليها قد تورط والدها ، ولكن هذا لم يحدث . **لا يمكن لأي شخص أن يربط بين أبي وبين ما حدث** .

ركبت سيارتها في المرآب ، واستقلت المصعد إلى الطابق الذي يوجد به شقتها . فتحت الباب ، ودخلت ، ثم أغلقت الباب خلفها بكل حرص . كانت تشعر بالإنهاك ، وفي نفس الوقت شعرت بالابتهاج ، وفكرت في أخذ حمام ساخن جميل ، فدخلت الحمام ثم فجأة علا الشحوب وجهها ، فعلى مرآة الحمام ، استخدم شخص ما أحمر الشفاه الزاهي وكتب : **سوف تموتين!**

الفصل التاسع

حاولت أن تسيطر على حالة الهستيريا التي أصابتها ، وكانت أصابعها ترتجف بشدة لدرجة أنها أدارت الرقم على الهاتف ثلاث مرات ، ولكنها كانت تفشل في كل مرة ، فأخذت نفساً عميقاً وحاولت الاتصال مجدداً . اثنان ... تسع ... تسع ... اثنان ... واحد ... صفر ... واحد .

أخذ جرس الهاتف يرن .

" مكتب المأمور ؟ " .

" النائب بليك ، من فضلك ، وبسرعة " .

" لقد غادر النائب بليك إلى منزله " .

" هل يمكن لأحد آخر أن ... ؟ لا - إنني - هل يمكن أن تطلب منه الاتصال بي ؟ إنني آنسة باترسون ، وأريد التحدث إليه فوراً " .

" انتظريني ، وسأرى ما إذا كان يمكنني الوصول إليه " .

كان النائب سام بليك ينصت إلى زوجته سيرينا بنفاد صبر ، وهي تصرخ في وجهه : " إن أخي يستنزف كل طاقتك في العمل ، ليلاً ونهاراً ، ولكنه لا يمنحك ما يكفي من المال لأن أحيا حياة كريمة . لماذا لا تطلب منه زيادة راتبك ؟ لماذا ؟ " .

كانا يتناولان العشاء فقال لها : " هل يمكنك أن تناوليني البطاطس يا حبيبتي ؟ " .

مدت سيرينا يدها إلى صحن البطاطس ، ووضعته أمام زوجها بعنف شديد ، وواصلت حديثها : " إن المشكلة تكمن في أنهم لا يقدرونك " .

" أنت محقة يا حبيبتي . هل يمكنني الحصول على بعض من صلصة مرق اللحم ؟ " .

فقالت بصوت عال : " ألا تسمع ما أقوله ؟ " .

" بل أسمع كل كلمة تقولينها ، يا حبيبتي . هذا العشاء لذيذ ، فأنت طاهية ممتازة " .

" كيف يمكنني أن أتعامل معك أيها الرجل ، وأنت لا تعيرني أي اهتمام ؟ " .

تناول قطعة من اللحم وقال : " لأنني أحبك - يا عزيزتي " .

رن جرس الهاتف فنهض والتقط السماعة وقال : " هالو ... نعم ، ... أوصلني بها ... آنسة باترسون ؟ " . كان بإمكانه أن يسمع نحيبها .

" شيء ما ... شيء فظيع قد حدث . ينبغي أن تحضر هنا فوراً " .

" سأحضر فوراً " .

نهضت سيرينا ، وقالت : " ماذا ؟ هل ستخرج الآن ؟ إننا لم ننته من عشائنا بعد " .

" إنه ظرف طارئ يا حبيبتي ، وسأعود بأسرع ما يمكنني " .

ثم رأته يأخذ مسدسه ، وانحنى ولثم خدها وقال لها : " كان عشاءً رائعاً " .

* * *

فتحت آشلي باب الشقة فور دقة جرس الباب .

لقد كانت منخرطة في بكاء شديد وترتجف بقوة .

دلف سام بليك إلى الداخل متجولاً بنظره في حرص ، وقلق .

" هل يوجد هنا أي شخص آخر ؟ " .

" كان ... كان هنا شخص ما " ، وكانت آشلي تحاول جاهدة من أجل السيطرة على نفسها . " انه ... انظر ... ! " ، ثم قادته إلى الحمام .

قرأ النائب بليك الكلمات المكتوبة على المرآة بصوت عال :

" سوف تموتين ! " .

التفت نحو آشلي ، وقال لها : " هل لديك أية فكرة عمن يمكن أن يكون قد كتب هذه الكلمات ؟ " .

قالت آشلي : " لا ، هذه هي شقتي ، وليس هناك أي شخص آخر يملك مفتاحاً لها ... وهناك شخص ما قد جاء إلى هنا ... شخص ما كان يتتبعني . شخص ما يحاول أن يقتلني " ، ثم انهمرت في البكاء . " لا أستطيع أن أتـ ... أتحمل المزيد من هذا " .

كانت تنتحب دون سيطرة على نفسها . وضع النائب ذراعه حولها ، وربت على كتفها . لا عليك سيكون كل شيء على خير ما يرام . ستمنحك الحماية الكافية ، وسنعرف من وراء ذلك " .

تنهدت آشلي وقالت : " أعتذر ، إنني ... لا أفقد أعصابي بمثل هذا الشكل ولكن ... ما حدث كان فظيعاً " .

قال سام بليك : " دعينا نتناول ما حدث " .

تمكنت من رسم ابتسامة على شفتيها وقالت : " حسناً " .

" هل يمكنني تناول قدح من شاي ؟ " .

جلسا يتحدثان ، بينما كانا يتناولان الشاي .

" متى بدأ كل ذلك ـ يا آنسة باترسون ؟ " .

" منذ ما يقرب من ستة أشهر ، حيث كنت أشعر دائماً بأن هناك من يتتبعني . كان ذلك في البداية مجرد شعور غامض ، ولكنه بدأ يتزايد بعد ذلك . إنني أعرف أن هناك من يتتبعني ، ولكني لا أستطيع أن أرى من يفعل ذلك . وفي العمل ، هناك شخص ما تمكن من الوصول إلى جهاز الكمبيوتر الخاص بي ، ورسم صورة ليد تمسك بسكينة وتحاول أن ... تطعنني " .

" وهل لديك أية فكرة عمن يحتمل أن يكون قد فعل هذا ؟ " .

" لا " .

" قلت إن شخصاً ما قد دخل هذه الشقة قبل اليوم ؟ " .

" نعم ، مرة واحدة ، شخص ما أنار جميع المصابيح عندما غادرت الشقة ، وفي مرة أخرى رأيت عقب سيجارة على طاولة الزينة في حجرة نومي ، وأنا لا أدخن مطلقاً . هناك أيضاً من فتح

أحد الأدراج ، وبعثر ... بعثر ... ملابسي الداخلية " ، ثم أخذت نفساً عميقاً : " والآن ... هذا ... " .

" هل لديك أي أشخاص كنت مرتبطة بهم ثم قطعت علاقتك معهم ؟ " .

هزت آشلي رأسها ، وقالت : " لا " .

" هل أجريت أية صفقات عمل مع أي شخص خسر الكثير من ماله بسببك ؟ " .

" لا " .

" ألم تتلقي أية تهديدات من أي شخص ؟ " .

" لا " ، ثم فكرت أن تخبره بما حدث في عطلة نهاية الأسبوع عندما وجدت نفسها في شيكاغو ، ولكن ذلك قد يورط والدها ، فقررت ألا تقول شيئاً بخصوص ذلك .

قالت آشلي : " لا أريد أن أكون هنا بمفردي الليلة " .

" حسناً سأتصل بالقسم ، وأجعلهم يرسلون شخصاً ما إلى هنا لكي ... " .

" لا ، أرجوك ـ إنني أخشى أن أثق في أي شخص آخر . هل يمكنك أن تمكث معي ـ هنا فقط حتى الصباح ؟ " .

" لا أعتقد أنه يمكنني أن ... " .

كانت ترتعد وهي تقول : " أرجوك " .

نظر إلى عينيها وأدرك أنه لم ير أي شخص من قبل في مثل هذه الحالة من الخوف .

" أليس هناك أي شخص آخر يمكنه أن يبقى معك الليلة ؟ أليس لديك أي أصدقاء يمكنهم أن ... ؟ " .

" وكيف سيكون الأمر لو أن أحداً من أصدقائي هو الذي يفعل كل ذلك ؟ " .

أومأ برأسه وقال : " حسناً ، سأبقى معك ، وفي الصباح ، سأعمل على فرض حراسة لمدة أربع وعشرين ساعة يومياً لحمايتك " .

" أشكرك " ، وكان صوتها مفعماً بالراحة .

ربت على يد آشلي ، وقال لها : " لا تقلقي ، وأعدك أننا سنتوصل إلى حقيقة ذلك ، اسمحي لي أن أتصل هاتفياً بالسيد الأمور داولينج لأخبره بما يجري " .

وتحدث في الهاتف لمدة خمس دقائق ، وعندما أنهى مكالمته ، قال : " من الأفضل أن أتصل بزوجتي " .

" بالطبع " .

التقط النائب بليك سماعة الهاتف مرة أخرى ، وأدار الرقم :

" أهلاً ، حبيبتي . لن أعود إلى المنزل الليلة ، لذا يمكنك أن تشاهدي التلي ... " .

" أنت لن تفعل ماذا ؟ أين أنت ؟ بالتأكيد أنت بصحبة امرأة أخرى ؟ " .

استطاعت آشلي أن تسمع صراخ سيرينا عبر الهاتف .

" سيرينا ... " .

" أنت لا يمكنك أن تخدعني " .

" سيرينا ... " .

" هكذا تفكرون جميعاً أيها الرجال ، هكذا تكذبون ! " .

" سيرينا ... " .

" هذا هو جزاء كوني زوجة وفية لك ... " .

استمر هكذا من طرف واحد الحديث لمدة عشر دقائق أخرى . وفى النهاية ، وضع النائب بليك سماعة الهاتف والتفت إلى آشلى وهو يشعر بالحرج الشديد .

" أعتذر لهذا ، إنها ليست هكذا دائماً " .

نظرت إليه آشلى وقالت : " أتفهم ذلك " .

" لا ... إننى أعنى ما أقوله ، إن سيرينا تتصرف بهذه الطريقة لأنها تشعر بالخوف الشديد " .

نظرت آشلى إليه بشغف وحيرة :

وقالت : " تشعر بالخوف ؟ " .

ظل صامتاً للحظة ثم قال : " سيرينا تموت ، فهى مصابة بمرض السرطان ، وذلك منذ فترة ، فقد بدأت إصابتها بهذا المرض منذ سبع سنوات ، ونحن متزوجون منذ خمس سنوات " .

" إذن ، كنت تعرف ... ؟ " .

" نعم ، ولم يكن الأمر يعنى شيئاً بالنسبة لى ، فأنا أحبها " . ثم توقف ، قبل أن يستطرد قائلاً : " ولكن الأمر ازداد سوءاً فى الفترة الأخيرة ، إنها تشعر بالهلع الشديد ، وتخشى أن تموت ، وتخشى أن أهجرها ، لذا فكل هذا الصراخ من أجل أن تخفى مخاوفها " .

" إننى ... إننى آسفة جداً " .

" إنها امرأة رائعة ، وبداخلها تكمن الرقة والحنان ، والعطف . تلك هى سيرينا التى أعرفها " .

قالت آشلى : " أعتذر إن كنت قد سببت أى ... " .

" لا شىء على الإطلاق " ، ثم تجول ببصره فى المكان .

قالت آشلى : " هناك حجرة نوم واحدة فقط ، يمكنك أن تقضى الليلة فيها ، وأنا سأنام هنا على الأريكة " .

هز النائب بليك رأسه : " ستكون الأريكة أفضل بالنسبة لى " .

قالت آشلى : " لا يمكننى أن أصف لك مدى امتنانى " .

" ليس هناك من مشكلة يا آنسة باترسون " ، ثم رآها تتجه نحو دولاب المفروشات ، وأخرجت بعض الأغطية والملاءات .

ثم اتجهت نحو الأريكة ، وبسطت الملاءة ، وقالت : " أتمنى أنك ... " .

" لا بأس ، إننى لا أنوى أن أغط فى نوم عميق على أية حال " ، ثم فحص النوافذ ، ليتأكد من أنها محكمة الغلق ، وبعدها سار نحو الباب وأحكم إغلاقه أيضاً وقال : " كل شىء على ما يرام " ، ثم وضع مسدسه على المنضدة بجوار الأريكة : " تمتعى بنومة هادئة الليلة ، وفى الصباح الباكر سنرتب كل شىء " .

أومأت آشلى برأسها ، ثم سارت نحوه ، وقالت : " شكراً " .

شاهدها النائب بليك تسير نحو غرفتها وتغلق بابها . عاد مجدداً للنوافذ ليتأكد من أنها محكمة الغلق مرة أخرى ، فيبدو أنها ستكون ليلة طويلة للغاية .

فى مقر مكتب التحقيقات الفيدرالية فى واشنطن كان العميل الخاص راميرز يتحدث إلى رولاند كينجلسى رئيس القسم الذى يعمل به .

" لقد حصلنا على تقارير البصمات والحامض النووى الوراثى الخاص بجرائم القتل التى حدثت فى بيدفورد ، وكيبيك ، وسان فرانسيسكو ، وقد حصلنا بالفعل على آخر تقرير للحمض النووى

الـوراثى ، واتضـح أن بصـمات الأصـابع متطابقـة فـى جميـع الحوادث ، وكذلك تحليل الحمض النووى الوراثى " .

أومأ كينجلسى برأسه وقال : " إذن فالقاتل واحد بالتأكيد " .

" بلا شك " .

" إذن فلنعثر عليه هذا الوغد " .

فى السادسة صباحاً ، عثرت زوجة حارس البناية التى توجد فيها شقة آشلى على جثة النائب بليك العارية ، وذلك فى الممر الذى يوجد خلف البناية .

لقد تلقى النائب بليك عدة طعنات ، وتم التمثيل بجثته !

الفصل العاشر

كان هناك خمسة أشخاص يقفون فى غرفة المعيشة يشاهدون آشلى وهى تنتحب بشكل هيستيرى ، وهم المأمور داولمنج ، ومحققان بملابس مدنية ، وشرطيان بزيهما الرسمى .

قال السيد داولينج : " أنت الوحيدة التى يمكنك مساعدتنا يا آنسة باترسون " .

رفعت آشلى نظرها نحو الحضور ، وأومأت برأسها ، وأخذت نفساً عميقاً ، وقالت : " سوف ... سوف أحاول " .

" دعينا نتناول الأمر من بدايته ، هل قضى النائب بليك ليلته هنا فى شقتك ؟ " .

" نعم ... نعم ، لقد طلبت منه ذلك ، فقد كنت ... كنت خائفة إلى أقصى حد " .

" هذه الشقة بها حجرة نوم واحدة " .

" نعم ، هذا صحيح " .

" أين نام النائب بليك ، إذن ؟ " .

أشارت آشلي نحو الأريكة والتي كان عليها ملاءة ، ووسادة وقالت : " إنه ... إنه قضى ليلته هناك على هذه الأريكة " .

" متى ذهبت إلى فراشك ؟ " .

فكرت آشلي للحظة ، ثم قالت : " كان ... كان ذلك عند منتصف الليل تقريباً ، وقد كنت في حالة توتر شديدة ، وتناولنا بعض الشاي وتحدثنا لفترة ، ثم شعرت بأنني استرددت بعضاً من هدوئي ، فأحضرت الملاءات ، والوسادة له ، ثم ذهبت إلى حجرة نومي " . كانت تحاول جاهدة أن تسيطر على أعصابها .

" كانت تلك هي آخر مرة ترينه فيها ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" ثم ذهبت للنوم مباشرة ؟ " .

" ليس على الفور . فلقد تناولت قرصاً منوماً ، والشيء الآخر الذي أتذكره ، أنني استيقظت على صراخ امرأة في الممر الموجود خلف البناية التي توجد بها شقتي " ، ثم بدأت آشلي ترتعش .

" هل تعتقدين أن شخصاً ما قد دخل إلى الشقة وقتل النائب بليك ؟ " .

قالت آشلي بنبرة مفعمة بمشاعر الإحباط واليأس : " إنني ... إنني لا أعرف . شخص ما بالفعل دخل إلى شقتي من قبل ، حتى إنه كتب تهديداً على مرآة الحمام " .

" لقد أخبرتني بذلك أثناء المكالمة الهاتفية " .

قالت آشلي : " ربما سمع شيئاً بالخارج ، فخرج ليتحرى الأمر " .

قال المأمور داولينج : " لا أعتقد أنه خرج عارياً " .

صرخت آشلي : " لا أعرف ، لا أعرف ، إنه كابوس " ، ثم غطت عينيها بيديها .

قال السيد داولينج : " أريد فحص الشقة ، فهل أنا بحاجة لإحضار إذن بالتفتيش ؟ " .

" بالطبع لا . تف ... تفضل " .

أشار السيد داولينج للمحققين برأسه ، فدخل أحدهم إلى حجرة النوم ، ودخل الآخر إلى المطبخ .

" عم كنت تتحدثين مع النائب بليك ؟ " .

أخذت آشلي نفساً عميقاً ، وقالت : " إنني ... إنني تحدثت معه عن ... عن الأشياء التي كانت تحدث لي مؤخراً . لقد كان ... " ، ثم رفعت بصرها إلى السيد داولينج ، وقالت : " لماذا أقدم هذا الشخص على قتله ؟ لماذا ؟ " .

" لا أعرف يا آنسة باترسون ، ولكننا سنعرف " .

وقف الملازم إلتون ـ وهو المحقق الذي دخل إلى المطبخ ـ عند عتبة الباب ، ووجه حديثه إلى المأمور ، وقال له : " هل يمكنني أن أتحدث إليك للحظة أيها المأمور ؟ " .

" معذرة " .

ثم دخل المأمور داولينج إلى المطبخ .

" ماذا ؟ " .

قال الملازم إلتون وهو يمسك بسكين حادة عليها آثار دماء :

" لقد وجدت هذه في الحوض " .

ولم يتم غسلها بعد ، وأعتقد أننا سنجد بعض البصمات عليها " .

خرج كوستوف ـ المحقق الثاني ـ من حجرة النوم ، وهرع نحو المطبخ ، وكان ممسكاً بخاتم من الزمرد مرصع بالماس . وقال : " لقد عثرت على هذا الخاتم في علبة المجوهرات ، في حجرة النوم . إنه مطابق للوصف الذي حصلنا عليه من كيبيك بخصوص الخاتم الذي أعطاه جون كلود بارنت إلى توني بريسكوت " .

نظر الرجال الثلاثة إلى بعضهم البعض .

قال المأمور داولينج : " هذا غير معقول " ، ثم أخذ السكين والخاتم بحذر شديد ، وعاد إلى حجرة المعيشة . أبرز السكين أمام آشلي وقال لها : " آنسة باترسون ، هل هذه السكين تخصك ؟ " .

نظرت آشلي إليها وقالت : " أنا ... نعم ، ربما ، لماذا ؟ " .

ثم أبرز الخاتم وقال لها : " هل رأيت هذا الخاتم من قبل ؟ " .

نظرت آشلي للخاتم ، وهزت رأسها وقالت : " لا " .

لقد عثرنا عليه في علبة مجوهراتك " .

نظروا جميعاً إلى تعبيرات وجهها ، فقد كانت في ارتباك وحيرة شديدين .

همست : " أنا ... شخص ما بالتأكيد وضعه هناك ... " .

" من يمكنه فعل ذلك ؟ " .

شحب وجهها ، وقالت : " لا أعرف " .

وقف أحد المحققين عند الباب الأمامي للشقة ، وقال : " سيادة المأمور ! " .

اصطحبه المحقق لأحد أركان الشقة حتى يتحدثا دون أن يسمعهما أحد وقال : " نعم يا باكر ! علام عثرت ؟ " .

" عثرنا على بقع من الدماء على سجادة الرواق ، وفي المصعد يبدو أن القاتل قد حمل جثة المجني عليه في ملاءة ، وسحبه إلى المصعد ، ثم ألقى به في الممر " .

" يا إلهي ! " ، ثم التفت السيد داولينج إلى آشلي وقال لها : " آنسة باترسون ، إنني مضطر للقبض عليك ، وسأملي عليك حقوقك ، من حقك أن تلتزمي الصمت ، فإذا تخليت عن صمتك فإن أي شيء تقولينه ، قد يدينك في المحكمة ، عليك أن توكلي محامياً ، وإذا لم يكن بمقدورك تحمل نفقات المحامي ، فسوف تعين المحكمة أحد المحامين للدفاع عنك " .

عندما وصلوا إلى مكتب المأمور ، قال السيد داولينج : " احصل على بصماتها ، ودوّن بياناتها " .

مرت آشلي بهذه الإجراءات وكأنها إنسان آلي . وعندما انتهت ، قال لها المأمور داولينج : " من حقك إجراء مكالمة هاتفية واحدة فقط " .

رفعت آشلي نظرها إليه ، وقالت بنبرة فاترة : " ليس لديّ شخص يمكنني الاتصال به " . **لا يمكنني الاتصال بوالدي .**

راقب السيد داولينج آشلي ، بينما كان يقودها أحد الحراس إلى الزنزانة : " إنني لا أفهم شيئاً ، حتى كدت أصاب بالجنون ، هل رأيت نتيجة اختبار جهاز كشف الكذب ؟ إنني أكاد أجزم ببراءتها ! " .

دخل المحقق كوستوف وقال : " لقد كان هناك دليل على أن سام قام بالمعاشرة الجنسية قبل موته . لقد أجرينا أشعة فوق

بنفسجية لجسمه ، وكذلك للعلامة التي التف فيها . وكانت النتيجة إيجابية بالنسبة للسائل المنوي ، والإفرازات المهبلية ... " .

زمجر المأمور داولينج : " توقف عن هذا ! " ، لقد كان يؤجل اللحظة التي سيخبر فيها أخته بالأخبار . ولكن يجب أن يخبرها بما حدث الآن . تنهد ، ثم قال : " سأعود " .

بعد عشرين دقيقة ، كان في منزل سام .

قالت سيرينا : " يا للفرصة الرائعة غير المتوقعة . هل جاء سام معك ؟ " .

" لا ، يا سيرينا ، إنني أريد أن أطرح عليك سؤالاً ، وأعتقد أنه سيكون صعباً بالنسبة لك " .

نظرت إليه بشغف وقلق وقالت : " نعم ؟ " .

" هل ... هل مارس سام معك العلاقة الزوجية الحميمة في آخر أربع وعشرين ساعة ؟ " .

تغيرت تعبيرات وجهها ، وقالت : " نعم ... ؟ نحن ... لا ، لماذا تريد أن ... ؟ لن يعود سام إلى المنزل مرة أخرى ، أليس كذلك ؟ " .

" إنني آسف أن أخبرك بذلك ، ولكنه ... " .

" هجرني من أجلها ، أليس كذلك ؟ كنت أعرف أن ذلك سيحدث . إنني لا ألومه ، لقد كنت زوجة سهلة بالنسبة له ، إنني ... " .

" سيرينا ، لقد لقي سام حتفه " .

" كنت دائماً أصرخ في وجهه ، لم أكن أقصد ذلك فعلاً ، أتذكر ... " .

أمسك ذراعيها ، وقال : " سيرينا ، لقد لقي سام حتفه " .

" كنا ذات مرة ذاهبين للشاطئ ، و ... "

أخذ يهزها بعنف : " اسمعيني ، لقد لقي سام حتفه " .

" ... وكنا سنذهب معاً في رحلة " .

عندما نظر إليها أدرك أنها قد سمعت ما قاله .

" لقد كنا على الشاطئ ، وأوقفنا رجل وقال : " أعطياني نقودكما " ، وقال سام : " اسمح لي أن أرى سلاحك " .

توقف المأمور داولينج بعيداً ، وتركها تتحدث ، لقد كانت مصدومة ، وفي حالة إنكار تام للموقف .

" ... كان هذا هو سام . أخبرني عن امرأته الأخرى التي هجرني ليذهب معها . هل هي جميلة ؟ كان سام يقول لي إنني جميلة طوال الوقت ، ولكنني أعرف أنني لست كذلك . كان يقول ذلك ليجعلني أشعر بالسعادة ، لأنه كان يحبني . إنه لن يتركني أبداً . سيعود ، وسترى . إنه يحبني " . وواصلت الحديث .

اتجه المأمور داولينج نحو الهاتف ، وأدار رقماً وقال : " أحضر لي ممرضة هنا " ، ثم عاد لأخته ، وأحاطها بذراعيه وقال : " كل شيء سيكون على ما يرام " .

" هل أخبرتك متى أنا ، وسام ... ؟ " .

وبعد خمس عشرة دقيقة ، وصلت الممرضة .

قال لها السيد داولينج : " اعتني بها جيداً " .

تم عقد مؤتمر في مكتب السيد داولينج .

" هناك مكالمة هاتفية لك ، على الخط الأول " .

التقط السيد داولينج سماعة الهاتف ، وقال : " نعم ؟ " .

" سيادة المأمور ، إنني العميل الخاص راميرز من مكتب التحقيقات الفيدرالية الرئيسي في واشنطن . لدينا بعض المعلومات المفيدة لك في قضايا القتل التي تحققون فيها . لا توجد أية بصمات في ملف آشلي باترسون ، لأنه ليس لديها أي سجل إجرامي ، وقبل عام ١٩٨٨ ، لم تكن إدارة المركبات تتطلب بصمات الأصابع في ولاية كاليفورنيا للحصول على رخصة القيادة " .

" أكمل حديثك " .

" في البداية ، اعتقدوا أن الأمر نتاج خطأ فني في جهاز الكمبيوتر ، ولكننا راجعنا ذلك ، و ... " .

وخلال الخمس دقائق التالية ، جلس المأمور داولينج منصتاً ، وعلى وجهه تعبيرات الشك والريبة ، وعندما تحدث أخيراً ، قال : " هل أنت متأكد من أنه ليس هناك أي خطأ ؟ إنه لا يبدو ... جميعهم ... ؟ نعم ... أشكرك جزيلاً " .

وضع سماعة الهاتف ، وجلس صامتاً لفترة طويلة ، ثم رفع نظره وقال : " هذا معمل التحقيقات الفيدرالية ، في واشنطن ، وقد انتهوا من فحص بصمات الأصابع على جثث الضحايا . كان جون كلود يواعد امرأة إنجليزية تدعى توني بريسكوت عندما قتل " .

" نعم " .

" وكان ريتشارد ميلتون في سان فرانسيسكو يواعد امرأة إيطالية تدعى أليت بيترز عندما قتل " .

أومأوا برءوسهم جميعاً .

" والليلة الماضية ، كان سام بليك مع آشلي باترسون " .

" تماماً " .

أخذ السيد داولينج نفساً عميقاً ، وقال : " آشلي باترسون ... " .

" نعم ؟ " .

" توني بريسكوت ... " .

" نعم ؟ " .

" أليت بيترز ... " .

" نعم ؟ " .

" إنهن جميعاً نفس الشخصية اللعينة ! " .

الكتاب الثانى

الفصل الحادى عشر

قام روبرت كراوثر ، سمسار العقارات من شركة برانيت آند كراوثر ، بفتح الباب بتباهٍ ، وقال : " هذه هى الشرفة ، يمكنكما أن تشاهدا برج كويت من هنا لو نظرتما لأسفل " .

ثم شاهد الزوج الشاب وزوجته يخرجان ويتجهان نحو الدرابزين . كان المشهد من هذا المكان رائعاً ، خلاباً وكانت سان فرانسيسكو تمتد أمامهما فى مشهد بانورامى مثير . رأى روبرت كراوثر الزوجين يتبادلان النظرات والابتسامات ، وكان هو مسروراً ، فقد كانا يحاولان إخفاء الفرحة والسعادة ، حيث اتبعا العرف السائد الذى مفاده أن المشترين المستقبليين يؤمنون بأنهم إذا أظهروا كثيراً من الحماس ، فسوف يزداد سعر المعروض للبيع .

حدث كراوثر نفسه قائلاً : بالنسبة لهذه الشقة المزدوجة فإن السعر عال بالفعل بما يكفى . كان مهتماً بما إذا كان هذان الزوجان

سيستطيعان توفير هذا السعر أم لا ، فقد كان الرجل يعمل محامياً ، والمحامون الجدد لا يملكون مثل هذا المبلغ الفائق .

كان هذان الزوجان يثيران الإعجاب ، ومن الواضح ولع كل منهما بالآخر . كان ديفيد سينجر فى بداية الثلاثينات من عمره ، أشقر ، وتبدو عليه ملامح الذكاء والفطنة . وكان يتسم بملامح صبيانية . أما زوجته ، ساندرا ، فقد كانت تبدو جميلة جذابة .

لاحظ روبرت كراوثر انتفاخ بطن الزوجة ، فقال : " الحجرة الثانية تصلح تماماً لأن تكون حجرة أطفال ، كما أن هناك ملاعب ، ومدارس بالقرب من هنا " ، وشاهدهما يتبادلان هذه الابتسامات خلسة ، مرة أخرى .

تحتوى هذه الشقة المزدوجة على حجرة نوم رئيسية بالطابق العلوى ، بالإضافة إلى حمام وحجرة ضيوف ، وفى الطابق السفلى يوجد حجرة معيشة رحبة ، وحجرة طعام ، ومكتبة ، ومطبخ ، وحجرة ضيوف ثانية ، وحمامان ، وتطل جميع الغرف على المدينة .

شاهدهما روبرت يتجولان عبر الشقة مجدداً ، وتوقفا فى أحد أركانها يتهامسان .

قالت ساندرا لديفيد : " إنتى معجبة بها ، وستكون مناسبة جداً للمولود الجديد . ولكن يا حبيبى ، هل يمكننا أن ندفع ثمنها ؟ فإن قيمتها ستمائة ألف دولار ! " .

أضاف ديفيد : " بالإضافة إلى تكاليف الصيانة . السيئ فى الأمر أننا لن يمكننا دفع ثمنها اليوم . والجيد فى الأمر ، أنه سيكون بمقدورنا ذلك يوم الخميس القادم . سيخرج الجن من الفانوس السحرى ، وسوف تتغير حياتنا كلها " .

قالت بسعادة : " نعم أعلم ذلك ، إنه لأمر رائع " .

" هل نواصل الاتفاق بشأنها ؟ " .

تنهدت ساندرا بعمق وقالت : " فلنواصل " .

ابتسم ديفيد ، ولوح بيده ، وقال : " أهلاً فى بيتك سيدة سينجر " .

وشبكا ذراعيهما ، وسارا نحو المكان الذى ينتظر فيه روبرت كراوثر ، وقال له ديفيد : " سوف نشترى هذه الشقة " .

" تهنئتى لكما ، إنها إحدى أفضل الشقق فى سان فرانسيسكو وستكونان هنا فى سعادة جمة " .

" أنا على ثقة من ذلك " .

" أنتما محظوظان ، وأود أن أقول إن هناك بعض الأشخاص الآخرين الذين يرغبون بشدة فى اقتناء هذه الشقة " .

" كم سنحتاج كدفعة مقدمة ؟ " .

" يكفى عشرة آلاف دولار الآن ، وسأقوم بتجهيز الأوراق والمستندات ، وعندما تقوم بالتوقيع على العقد ستحصل على ستين ألف دولار كدفعة نقدية ثانية ، ويمكن للبنك الذى تتعامل معه أن يرتب نظاماً لدفع أقساط شهرية لمدة عشرين أو ثلاثين عاماً " .

نظر ديفيد إلى ساندرا باندهاش وقال : " وهو كذلك " .

" سأقوم بتجهيز المستندات " .

قالت ساندرا بنبرة توحى بالرغبة الشديدة : " هل يمكننا أن نلقى نظرة أخيرة على الشقة ؟ " .

ابتسم كراوثر وقال : " بالطبع ، واستغرقى كل الوقت الذى تريدينه ، سيدة سينجر ، فالشقة الآن ملكك " .

" يبدو الأمر كأنه الحلم الجميل يا ديفيد ، لا أستطيع أن أصدق أن هذا يحدث بالفعل " .

أحاطها ديفيد بذراعيه وقال : " إنه يحدث بالفعل ، يا حبيبتى ، فأنا دائما أرغب فى أن أجعل كل أحلامك حقيقة " .

" وأنت تفعل يا حبيبى " .

كانا يعيشان فى شقة صغيرة . بها حجرتا نوم ، فى مقاطعة مارينا ، ولكن مع قدوم المولود الجديد ، فلن تكفيهم هذه الشقة الصغيرة . حتى الآن ، لن يمكنهما توفير ثمن الشقة المزدوجة الطوابق فى نوب هيل ، ولكن الخميس القادم هو يوم الشراكة ، فى المؤسسة القانونية الدولية " كينكايد ، يترنر ، وروز آند ريبلى " . والتى يعمل فيها ديفيد ومن بين خمسة وعشرين مرشحاً ، سيتم اختيار ستة فقط للدخول فى أجواء الشراكة بالمؤسسة ، وقد اتفق الجميع على أن ديفيد هو أحد هؤلاء الستة الذين سيقع عليهم الاختيار . إن شركة كينكايد ، وتيرنر ، وروز آند ريبلى . لها مكاتب فى سان فرانسيسكو ، ونيويورك ، ولندن ، وباريس ، وطوكيو ، وهى إحدى المؤسسات القانونية المرموقة فى العالم ، وهى هدف كل خريجى كليات الحقوق المرموقة .

كانت هذه الشركة تتبع أسلوب العصا والجزرة مع الموظفين الصغار . كان الشركاء الذين لهم النصيب الأكبر فى الشركة يستنزفون طاقتهم بلا رحمة غير عابئين بساعات العمل المحددة أو حالات المرض التى قد تصيبهم ، وكانوا يكلفونهم بمهام شاقة لا يستطيعون هم أنفسهم إنجازها . كانت الوظيفة تتسم بكثير من الضغوط وتتطلب عملاً وجهداً أربعاً وعشرين ساعة فى اليوم ، وكانت تلك هى العصا ، وأما الذين كانوا يتحملون ذلك ويواصلون

العمل فإنهم يفعلون ذلك من أجل الجزرة ، كانت الجزرة تتمثل فى الوعد بالشراكة . والشراكة تعنى المرتب الضخم ، والذى يمثل قطعة من كعكة الأرباح الهائلة للشركة ، وكذلك المكتب الرحب الفسيح الذى يطل على منظر جميل ، وبه حمام خاص ، والصفقات عبر البحار ، وآلاف الصلاحيات الأخرى .

عمل ديفيد فى مجال القانون فى شركة كينكايد ، وتيرنر ، وروز آند ريبلى لمدة ست سنوات ، وكان ذلك يمثل له سروراً بالغاً . كانت ساعات العمل مخيفة ، والضغوط هائلة ، ولكن ديفيد قد قرر أن يستمر لكى يحصل على صلاحية الشراكة ، فواصل المشقة ، وأبلى بلاءً حسناً فى وظيفته ، والآن حان أخيراً اليوم الذى يرى فيه ثمار جهده .

عندما غادر ديفيد ، وساندرا مكتب العقارات ، ذهبا ليتسوقا . اشتريا سرير أطفال ، وكرسى أطفال ، وعربة أطفال ، وملابس للطفل ، الذى هما فى انتظاره ، ويرغبان فى إطلاق اسم جيفرى عليه .

قال ديفيد : " هيا نشتر له بعض اللعب " .

ضحكت ساندرا : " مازال أمامنا المزيد من الوقت " .

بعدما قاما بالتسوق ، تنزها فى المدينة ، وتجولا فى الجهة المقابلة للبحر من ميدان جيراديلى ، ومرا على شركة التعليب وكذلك موقع الصيد . وبعد ذلك تناولا الغداء فى مطعم أميركان بيسترو .

كان ذلك فى يوم السبت ، وهو اليوم المثالى فى سان فرانسيسكو للأناقة ، فهو يوم الحقائب الجلدية الفاخرة ، وأربطة العنق

الثمينة ، والحلل الداكنة ، والقمصان الفاخرة ، إنه يوم وجبات الغداء الفاخرة ، كما كان يوم ديفيد بحق .

كان ديفيد ، وساندرا قد تقابلا منذ ثلاث سنوات فى حفلة عشاء ، كان ديفيد قد ذهب إلى هذه الحفلة مع ابنة عميل فى المؤسسة . كانت ساندرا تعمل مثله فى القانون فى شركة منافسة ، فى حفلة العشاء هذه ، دخل كل من ساندرا وديفيد فى جدال بخصوص القرار الذى صدر بشأن إحدى القضايا السياسية فى واشنطن . وبينما كان الجالسون على طاولة العشاء يشاهدونهما ، احتد النقاش بينهما ، وفى منتصف الحوار ، أدرك كل من ديفيد وساندرا أن كلا منهما لا يبالى بالقرار السياسى ، وإنما كان كل منهما يتباهى أمام الآخر ، وظلا يتبادلان ألفاظاً رنانة لافتة للنظر .

فى اليوم التالى ، اتصل ديفيد هاتفياً بساندرا وقال لها : " أريد أن أنهى معك حديثاً بخصوص القرار السياسى وأعتقد أن ذلك أمر مهم " .

وافقته ساندرا قائلة : " وأنا كذلك " .

" هل يمكننا التحدث بشأنه على العشاء الليلة ؟ " .

ترددت ساندرا ، فهى مرتبطة بالفعل بموعد على العشاء فى هذا المساء ، ولكنها قالت : " نعم ، فالليلة موعد مناسب " .

وظلا معاً منذ هذه الليلة ، فصاعداً . وبعد عام من لقائهما أول مرة تزوجا .

وقد أعطاه جوزيف كينكايد ـ الشريك الرئيسى للشركة ـ عطلة نهاية الأسبوع ليأخذها راحة بهذه المناسبة .

كان مرتب ديفيد فى " كينكايد ، وتيرنر ، وروز آند ريبلى " خمسة وأربعين ألف دولار فى العام . واحتفظت ساندرا بوظيفتها فى مجال القانون ، ولكن الآن ومع انتظارهما لقدوم المولود الجديد ، سوف تزداد مصروفاتهما ومتطلباتهما .

قالت ساندرا : " سأضطر إلى التخلى عن وظيفتى خلال الشهور القليلة التالية ، فلا أريد أن تقوم جليسة الأطفال بتربية ابنى ، يا حبيبى . أريد أن أكون هنا من أجله " ، وقد أوضحت الأشعة التليفزيونية أن الجنين ولد .

طمأنها ديفيد ، قائلاً : " سيكون بمقدورنا التعامل مع الأمر " ، فالشراكة سوف تغير حياتهما .

لقد بدأ ديفيد بالفعل يعمل ساعات أطول ، وأطول ، فهو يريد أن يضمن عدم تجاهله فى يوم الشراكة .

فى صباح يوم الثلاثاء ، وبينما كان ديفيد يرتدى ملابسه ، كان يشاهد الأخبار على شاشة التلفاز .

قال مذيع الأخبار : " لدينا أخبار مثيرة ... لقد تم إلقاء القبض على آشلى باترسون ، ابنة الطبيب البارز فى سان فرانسيسكو ستيفن باترسون لاتهامها فى سلسلة جرائم القتل التى يحقق فيها الشرطة ومكتب التحقيقات الفيدرالية ... " .

تسمر ديفيد فى مكانه أمام جهاز التلفاز .

" ... فى الليلة الماضية أعلن السيد مات داولينج مأمور بلدة سانتا كلارا كاونتى ، أنه قد تم إلقاء القبض على آشلى باترسون لاتهامها بارتكاب سلسلة من جرائم القتل ، والتى تضمنت طعنات

وتمثيلاً بالجثث ، وقال المأمور داولينج للصحفيين : " ليس هناك من شك أننا ألقينا القبض على المجرم الحقيقى ، والدليل قاطع " .

دكتور ستيفن باترسون . عاد ديفيد بذاكرته للوراء وتذكر الأحداث الماضية .

كان ديفيد يبلغ من العمر واحداً وعشرين عاماً ، وكان قد التحق لتوه بكلية الحقوق . وفى أحد الأيام عاد إلى المنزل ، ليجد أمه راقدة على أرضية غرفة النوم ، فاقدة للوعى . اتصل سريعاً بالإسعاف ، وأخذت سيارة الإسعاف أمه إلى مستشفى ميموريال فى سان فرانسيسكو . انتظر ديفيد خارج حجرة الطوارئ حتى خرج الدكتور ليتحدث إليه .

" هل ... ستكون أمى بخير ؟ " .

تردد الدكتور ، وقال : " يقوم الآن أحد أطباء القلب بفحصها . إنها مصابة بتمزق في أوتار الصمام الميترالى " .

قال ديفيد متوسلاً : " ماذا يعنى هذا ؟ " .

" آسف أن أقول لك إنه ليس هناك ما يمكننا أن نفعله حيالها ؛ فهى ضعيفة جداً بما لا يسمح أن تخضع لعملية زراعة قلب ، وجراحة القلب الصغرى جديدة وخطورة للغاية " .

شعر ديفيد فجأة بالدوار : " كم ... كم يتبقى لها ... ؟ " .

" قليل من الأيام ، ربما أسبوع ، آسف جداً يا بنى " .

وقف ديفيد مذهولاً وهو يقول : " أليس هناك أى شخص يمكنه مساعدتها ؟ " .

" للأسف ، ليس هناك . الشخص الوحيد الذى يمكنه مساعدتها هو ستيفن باترسون ، ولكنه ... " .

" من ستيفن باترسون ؟ " .

" الدكتور ستيفن باترسون ، رائد جراحات القلب . ولكن ما بين جدوله ، وأبحاثه ، ليست هناك فرصة لـ ... " .

وذهب ديفيد .

اتصل ديفيد بمكتب الدكتور ستيفن باترسون من هاتف العملة في رواق المستشفى : " أريد أن أحدد موعداً مع الدكتور باترسون . إن ذلك بخصوص أمى ؛ إنها ... " .

" للأسف ، إننا لا نقبل أى مواعيد جديدة . إن أول موعد متاح سيكون بعد ستة أشهر من الآن " .

قال ديفيد صارخاً : " ليس أمامها ستة أشهر " .

" إننى أبدى اعتذارى ، يمكننى أن أحولك ... " .

أغلق ديفيد سماعة الهاتف بشدة .

فى صباح اليوم التالى ، ذهب ديفيد إلى مكتب الدكتور باترسون ، وكانت غرفة الانتظار مزدحمة . سار ديفيد نحو موظفة الاستقبال ، وقال لها : " أريد أن أحدد موعداً لمقابلة الدكتور باترسون ، فأمى مريضة جداً ، و ... " .

رفعت نظرها نحوه وقالت : " أنت الذى اتصلت بالأمس ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" لقد أخبرتك حينها ، لا يمكننا تحديد مواعيد جديدة الآن " .

قال ديفيد بعناد : " سأنتظر الدكتور هنا " .

" لا يمكنك الانتظار ، فالدكتور ... " .

سحب ديفيد مقعداً ، وأخذ يراقب الناس في حجرة الانتظار وهم يتجهون نحو مكتب الطبيب واحداً تلو الآخر عند استدعائهم حتى النهاية ، أصبح وحيداً .

* * *

في السادسة ، قالت له موظفة الاستقبال : " ليست هناك فائدة من انتظارك هنا ، فالدكتور باترسون قد غادر إلى منزله " .

ذهب ديفيد لزيارة أمه في وحدة الرعاية المركزة في ذلك المساء .

حذرته الممرضة قائلة : " يمكنك فقط البقاء معها لدقيقة ، إنها في حالة ضعف شديد " .

دلف ديفيد إلى الحجرة ، وعيناه مليئتان بالدموع . كانت أجهزة التنفس الصناعي والأنابيب معلقة بذراعيها وأنفها ، وكان وجهها شاحباً بدرجة كبيرة ، وعيناها مغمضتين .

اقترب منها ديفيد وقال لها : " إنه أنا ، يا أمي ، لن أسمح بوقوع أي ضرر لك . ستكونين بخير " . كانت الدموع تجري على وجنتيه . " هل تسمعينني يا أمي ؟ سوف نحارب هذا المرض ، لا يمكن لأي شيء أن يهزمنا طالما نحن معاً دائماً ، سأحضر لك أفضل طبيب في العالم . فقط انتظريني وسأعود إليك غداً " ، ثم انحنى ولثم خدها .

هل ستظل على قيد الحياة حتى الغد ؟

في اليوم التالي في فترة ما بعد الظهيرة ، ذهب ديفيد إلى المرآب الموجود أسفل العمارة التي يوجد فيها مكتب الدكتور باترسون ، وكان هناك عامل يقوم بركن السيارات .

أتى هذا العامل إلى ديفيد وقال له : " هل يمكنني مساعدتك ؟ " .

قال ديفيد : " إنني في انتظار زوجتي ، إنها في زيارة للدكتور باترسون " .

قال العامل مبتسماً : " إنه دكتور عظيم حقاً " .

" لقد أخبرنا عن سيارته الرائعة التي يمتلكها " ، وتوقف ديفيد متظاهراً بأنه يحاول أن يتذكر ، ثم واصل قائلاً : " أعتقد أنها سيارة كاديلاك ، أليس كذلك ؟ " .

هز العامل رأسه ، وقال : " لا " ، ثم أشار إلى سيارة رولز رويس مركونة في أحد الجوانب وقال : " إنها السيارة الرولز هناك " .

قال ديفيد : " حسناً ، أعتقد أنه قال إن لديه سيارة كاديلاك أيضاً " .

قال العامل : " هذا لا يدهشني " ، ثم أسرع ليركن سيارة آتية .

اتجه ديفيد نحو السيارة الرولز ، وعندما تأكد أن أحداً لا يراه ، فتح باب السيارة ، ودلف إلى المقعد الخلفي ، وهبط إلى أرضية السيارة ، ورقد فيها ، وهو لا يشعر بالراحة ، وانتظر خروج الدكتور باترسون على أحر من الجمر .

في السادسة ، وخمس عشرة دقيقة ، شعر ديفيد بهزة خفيفة ، عندما فُتح الباب الأمامي للسيارة ، وجلس شخص ما على مقعد القيادة ثم سمع محرك السيارة يدور ، وبدأت السيارة تتحرك .

" طاب مساؤك ، يا دكتور باترسون " .

" طاب مساؤك ، يا ماركو " .

غادرت السيارة المرآب ، وشعر ديفيد بالسيارة تنحرف فى أحد المنعطفات ، فانتظر لدقيقتين ، ثم أخذ نفساً عميقاً ، ونهض .

رآه الدكتور باترسون فى المرآة الأمامية ، فقال بهدوء : " إن كنت لصاً ، فليس معى أموال سائلة الآن " .

" اتجه إلى شارع جانبى واكبح الفرامل " .

أومأ الدكتور باترسون برأسه ، وشاهده ديفيد بحذر ، وهو يتجه بالفعل إلى أحد الشوارع الجانبية ، ثم أوقف السيارة .

قال الدكتور باترسون : " سأعطيك ما فى حوزتى من أموال ، كما يمكنك أن تأخذ السيارة . فليس هناك داعٍ للعنف ، إذا ... " .

قفز ديفيد إلى المقعد الأمامى ، وقال له : " هذه ليست عملية سطو ، إننى لا أريد السيارة " .

فنظر إليه الدكتور باترسون بضيق وقال له : " ماذا تريد إذن ؟ " .

" اسمى سينجر ، وأمى تحتضر ، وأريدك أن تنقذها " .

ظهرت على وجه الدكتور باترسون أمارات الراحة ، ثم استبدل بها نظرة غضب .

" حدد موعداً مع ... " .

صرخ ديفيد قائلاً : " الوقت لا يسمح لمثل هذه المواعيد اللعينة . إنها ستموت ، ولن أسمح بأن يحدث ذلك " .

كان يحاول جاهداً السيطرة على نفسه وهو يقول : " أرجوك ، قال لى الأطباء الآخرون إنك الوحيد الذى يمكنك إنقاذها " .

كان الدكتور باترسون ينظر إليه بحذر وقال له : " مم تعانى ؟ " .

" إنها تعانى ... تعانى من تمزق الأربطة فى الصمام الميترالى ، ويخشى الأطباء من إخضاعها لأية عمليات جراحية ، ويقولون إنك الشخص الوحيد الذى يمكنه إنقاذ حياتها " .

هز الدكتور باترسون رأسه ، وقال : " إن جدول مواعيدى ... " .

" تباً لمواعيدك ، إننى أتحدث بشأن أمى ، ويجب عليك إنقاذها ، فهى بالنسبة لى الحياة كلها ... " .

ثم سادت فترة من الصمت ، جلس فيها ديفيد مغمض العينين ، حتى سمع صوت الدكتور باترسون وهو يقول : " لا يمكننى أن أعدك بشىء الآن ، ولكننى سأراها ، أين هى ؟ " .

التفت ديفيد لينظر إليه ، وقال : " إنها فى وحدة الرعاية المركزة ، فى مستشفى ميموريال فى سان فرانسيسكو " .

" إذن يمكنك أن تقابلنى هناك فى تمام الثامنة من صباح الغد " .

وجد ديفيد صعوبة وهو يقول له : " لا أعرف كيف ... " .

" تذكر ، إننى لا أعدك بأى شىء أيها الشاب ، كما أننى لا أقبل هذا الأسلوب الذى اتبعته معى ، وفى المرة القادمة حاول استخدام الهاتف " .

ظل ديفيد جالساً فى صمت .

نظر إليه الدكتور باترسون : " ماذا هناك ؟ " .

" هناك مشكلة أخرى " .

" أوه ، حقاً ؟ " .

" إننى لا أملك أية نقود ، إننى طالب فى كلية الحقوق ، وأشق طريقى من خلالها " .

تفرسه الدكتور باترسون .

قال ديفيد متوسلاً : " أقسم لك إننى سأجد طريقة ما لأرد لك بها مستحقاتك . حتى إن كلفنى ذلك حياتى كلها ، سأدفع لك ما تطلب ، فأنا أعرف حجم أتعابك الباهظة ، وإننى ... " .

" لا أعتقد أنك تعرف ، يا بنى " .

" ليس هناك أى إنسان آخر يمكننى اللجوء إليه غيرك يا دكتور باترسون ، إننى ... إننى أتوسل إليك " .

ثم سادت فترة أخرى من الصمت .

" كم من الأعوام درست فيها القانون حتى الآن ؟ " .

" لقد بدأت دراستى لتوى " .

" ولكنك تعتقد أنه سيكون بمقدورك دفع مستحقاتى المالية " .

" أقسم أننى سأفعل ذلك " .

" تباً لك ، اذهب بعيداً الآن " .

عندما عاد ديفيد إلى منزله ، كان على ثقة من أن الشرطة ستلقى القبض عليه بتهمة الاختطاف والتهديد ، والله وحده يعلم ما قد يحدث ، ولكن لم يحدث شىء من هذا القبيل ، بل ظل يراوده سؤال ويشغل ذهنه : " هل سيأتى الدكتور باترسون إلى المستشفى ؟ " .

عندما ذهب ديفيد إلى وحدة الرعاية المركزة فى الصباح التالى ، كان الدكتور باترسون هناك يفحص والدته .

رآه ديفيد ، فتسارعت دقات قلبه ، وجف حلقه .

التفت الدكتور باترسون إلى أحد الأطباء الموجودين معه ، وقال له : " أحضرها إلى حجرة العمليات فوراً " .

عندما كانوا ينقلون والدته إلى غرفة العمليات ، صاح ديفيد بصوت أجش : " هل هى ... ؟ " .

" سنعرف " .

وبعد مرور ست ساعات ، كان ديفيد منتظراً فى حجرة الانتظار عندما اقترب منه الدكتور باترسون .

هب ديفيد واقفاً ، وقال له : " كيف حال ... ؟ " ، وخشى أن يكمل السؤال .

" ستكون بخير ، إن والدتك امرأة قوية " .

وقف ديفيد وغمره شعور قوى بالراحة ، ثم تنفس الصعداء وحمد الله .

نظر إليه الدكتور باترسون وقال : " إننى حتى لا أعرف الاسم الأول لك " .

" ديفيد ، سيدى " .

" حسناً ، ديفيد ، ألا تعرف لماذا قررت أن أفعل ذلك ؟ " .

" لا ... " .

" سببان : أولهما أن حالة والدتك الصحية كانت تمثل لى تحدياً وأنا أحب التحدى ، والسبب الثانى كان متمثلاً فيك أنت " .

" أنا ... أنا لا أفهم شيئاً " .

" إن ما فعلته هو نفس الشىء الذى ربما كنت فعلته إذا كنت فى مثل موقفك وفى مثل عمرك " ، وتغيرت نبرة صوته وهو يقول : " قلت إنك ستقوم بدفع أتعابى المالية " .

ازدادت نبضات قلب ديفيد : " نعم يا سيدى ، فى يوم ما ... " .

" وماذا عن الآن ؟ " .

تلعثم ديفيد قائلاً : " الآن ؟ " .

" سأعقد معك اتفاقاً . هل تجيد القيادة ؟ " .

" نعم سيدى ... " .

" حسناً ، إننى أتعب كثيراً من قيادة سيارتى الكبيرة . كل ما عليك هو أن توصلنى إلى العمل فى الصباح وتعود لتوصلنى إلى المنزل فى السادسة أو السابعة مساءً ، وذلك كل يوم لمدة عام ، وفى نهاية هذه الفترة ، سأعتبرك قمت بدفع كل مستحقاتى المالية ... " .

كانت تلك هى الصفقة ، أن يقوم ديفيد بتوصيل الدكتور باترسون من وإلى العمل ، وقد أنقذ الدكتور باترسون حياة والدة ديفيد فى مقابل ذلك .

فى أثناء هذا العام ، تعلم ديفيد تبجيل واحترام الدكتور باترسون ، وعلى الرغم من نوبات الغضب العارمة التى كانت تنتاب الدكتور باترسون بين الحين والآخر ، إلا أنه كان أكثر الأشخاص الذين قابلهم ديفيد عطاءً وإيثاراً للآخرين ، فقد كان يهب كثيراً من وقته للأعمال الخيرية وأثناء اصطحاب ديفيد للدكتور باترسون من وإلى العيادة أو المستشفى ، كانت تدور بينهما حوارات طويلة .

" أى فرع من فروع القانون تدرس يا ديفيد ؟ " .

" القانون الجنائى " .

" لماذا ؟ أنت بذلك قد تساعد الأوغاد المجرمين ليفلتوا ببراءتهم مما اقترفت يداهم " .

" لا ، يا سيدى . هناك الكثير من الشرفاء الأبرياء الذين يحتاجون لمن يساعدهم ، وإننى أتوق إلى مساعدة هؤلاء " .

عندما انتهى العام ، تصافح كل من الدكتور باترسون وديفيد ، وقال الدكتور باترسون : " إننا ... " .

لم ير ديفيد الدكتور باترسون لأعوام ، ظل اسمه يتردد أمامه دائماً .

" الدكتور باترسون يفتتح عيادة مجانية للأطفال المصابين بالإيدز ... " .

" الدكتور باترسون يصل إلى كينيا اليوم لافتتاح مركز باترسون الطبى ... " .

" يبدأ اليوم افتتاح جمعية باترسون للأعمال الخيرية " .

يبدو أنه فى كل مكان ، يضحى بوقته ، وماله لهؤلاء الذين هم فى حاجة إليه .

أفاق من أحلام يقظته على صوت ساندرا وهى تقول : " ديفيد ، هل أنت بخير ؟ " .

حول بصره عن جهاز التليفزيون وقال لها : " لقد ألقوا القبض على ابنة الدكتور ستيفن باترسون بسبب اتهامها فى سلسلة جرائم القتل التى أذاعوا عنها " .

قالت ساندرا : " يا لفظاعة الأمر ، ويا للأسف يا حبيبى " .

" لقد أنقذ حياة أمى من الخطر . إننى حزين لما أصاب رجلاً مثله . إنه أعظم إنسان قابلته فى حياتى يا ساندرا . إنه لا يستحق هذا ، فكيف يمكن أن تكون له مثل هذه الابنة المتوحشة ؟ " ، ثم نظر إلى الساعة فى معصمه ، وقال : " أوه ، سأتأخر عن العمل " .

" إنك لم تتناول إفطارك " .

" إنني في حالة سيئة لا تسمح لي بتناول الطعام " .

ثم نظر إلى شاشة التلفاز : " هذا الأمر ... والشراكة التي أنتظرها اليوم ... " .

" ستحصل عليها ، ولا شك في ذلك " .

" دائماً ما يكون هناك شك في ذلك يا حبيبتي ، ففي كل عام يقع الاختيار على شخص آخر غير متوقع " .

نظرت إليه بحب وقالت : " سيكون من حظهم السعيد أن يمنحوك أنت الشراكة " .

ابتسم لها ابتسامة حانية مفعمة بالحب وقال : " شكراً ، يا حبيبتي لا أعرف ماذا كنت لأفعل بدونك " .

" لن أتخلى عنك أبداً ، رجاء اتصل بي هاتفياً فور حصولك على أية معلومات ، أرجوك افعل ذلك يا ديفيد " .

" بالطبع يا حبيبتي ، سأفعل ذلك ، وسنخرج معاً للاحتفال " ، وظل صدى هذه الكلمات يدوي في ذهنه ، فمنذ سنوات قال لإحداهن : " سنخرج معاً للاحتفال " .

وقد قتلها .

كانت مكاتب مؤسسة " كينكايد ، وتيرنر ، وروز آند ريبلي " ، تشغل ثلاثة طوابق في ترانس أميركا بيراميد في وسط مدينة سان فرانسيسكو . عندما دخل ديفيد سينجر المؤسسة في هذا الصباح ، تلقى التحية اليومية بالابتسامات المعهودة . وبدا له أن تحيات الصباح قد شابها تغير ما ، فالكل يعرف أنهم يتحدثون إلى شريك مستقبلي للشركة .

وفي طريقه لمكتبه الصغير ، مر ديفيد على المكتب الحديث المزين والذي سيخصص للشريك المختار ، ولم يستطع ديفيد مقاومة النظر داخل حجرة المكتب هذه . كانت حجرة جميلة ، وبها حمام خاص ، ومكتب ، وبعض الكراسي ، وكانت تطل على منظر بديع للخليج . وقف هناك للحظة ، محدقاً في انبهار .

وعندما وصل إلى مكتبه الخاص ، قالت له هولي سكرتيرته :

" عمت صباحاً سيد سينجر " ، وكان صوتها رشيقاً إيقاعياً .

" عمت صباحاً يا هولي " .

" لدي رسالة خاصة بك " .

" نعم ؟ " .

" السيد كينكايد يود أن يراك في مكتبه في تمام الخامسة " ، ثم أتبعت ذلك بابتسامة عريضة .

إذن لقد حدث بالفعل . " عظيم " .

اقتربت أكثر من ديفيد وقالت : " أعتقد أنه ينبغي أن أخبرك أيضاً بأنني تناولت القهوة هذا الصباح مع دوروثي - سكرتيرة السيد كينكايد - وقالت لي إنك على رأس القائمة " .

ابتسم ديفيد قائلاً : " أشكرك ، يا هولي " .

" هل ترغب في تناول بعض القهوة ؟ " .

" نعم ، بشدة " .

" سآتيك حالاً ساخنة ، ومركزة . تفضل " .

سار ديفيد متجهاً إلى مكتبه ، والذي كان مكدساً بالملفات والعقود والمستندات .

اليوم هو الأخير " السيد كينكايد يود أن يراك في مكتبه في تمام الخامسة ... إنك على رأس القائمة " .

فكر في الاتصال هاتفياً بساندرا ، ليخبرها بهذه المعلومات ، ولكن شيئاً ما منعه من عمل ذلك . سأنتظر حتى ينتهي الأمر .

قضى ديفيد ساعتين منهمكاً في دراسة الملفات المتراكمة فوق مكتبه . وفي الحادية عشرة ، دخلت هوللي إلى ديفيد : " هناك شخص يدعى الدكتور باترسون يود أن يقابلك . إنه لم يحدد موعد ... " .

نظر إليها في اندهاش : " الدكتور باترسون هنا ؟ " .

" نعم " .

نهض ديفيد قائلاً : " اسمحي له بالدخول فوراً " .

دخل ستيفن باترسون ، وحاول ديفيد أن يخفي رد فعله ، وقد بدا على الدكتور الإجهاد والتقدم في العمر .

" مرحباً يا ديفيد " .

" مرحباً ، دكتور ستيفن باترسون ، تفضل بالجلوس " .

وشاهده ديفيد وهو يجلس ببطء ، وقال : " لقد شاهدت نشرة الأخبار اليوم في التلفاز ، إنني ... لا أستطيع أن أخبرك بمدى أسفي لسماع ذلك " .

أومأ الدكتور باترسون برأسه وقال : " نعم . لقد كان ذلك بمثابة صدمة للجميع " ، ثم رفع نظره وواصل قائلاً : " إنني بحاجة إلى مساعدتك ، يا ديفيد ! " .

قال ديفيد بلهفة : " بالطبع . أي مساعدة ؟ إنني على استعداد أن أقدم لك أي شيء " .

" أريدك أن تمثل ابنتي آشلي وتدافع عنها " .

استغرق ديفيد لحظة حتى يستوعب الكلمات قبل أن يقول : " إنني ... إنني لا أستطيع عمل ذلك . إنني لا أعمل في القضايا الجنائية " .

ركز الدكتور باترسون نظره في عينيه ، وقال : " آشلي ليست مجرمة " .

" إنني أفهم ذلك ، يا دكتور باترسون ، ولكنني محامي شركات ، ويمكنني أن أرشح لك محامياً ممتازاً و ... " .

" لقد تلقيت عروضاً بالفعل من أفضل المحامين الجنائيين ، وكلهم يريدون الدفاع عنها " ، ثم انحنى بكرسيه للأمام ، وواصل قائلاً : " ولكنهم لا يهتمون بابنتي يا ديفيد ، إنها قضية رأي عام ، وجميعهم يبحث فقط عن الأضواء والشهرة . إنهم لا يبالون بها ، وهي بالنسبة لي الحياة كلها " .

" أريدك أن تنقذ حياة أمي . إنها بالنسبة لي الحياة كلها " . قال ديفيد : " إنني حقاً أريد مساعدتك ، لكن ... " .

" عندما تخرجت في كلية الحقوق ، ذهبت للعمل في مؤسسة قانون جنائي " .

بدأ قلب ديفيد يدق سريعاً : " هذا صحيح ، ولكن ... " .

" كنت محامياً للقضايا الجنائية لعدة سنوات ! " .

أومأ ديفيد برأسه : " نعم ، ولكنني .. لم أعد كذلك ، فقد كان هذا منذ وقت بعيد ، و ... " .

" ليس بعيداً للغاية ، يا ديفيد ، وقد أخبرتني عن مدى حبك لهذا الفرع من فروع القانون ، ولكن لماذا اتجهت للتخصص في قانون الشركات ؟ " .

جلس ديفيد صامتاً للحظة ، وقال : " ليس ذلك مهماً الآن " .

أخرج دكتور باترسون خطاباً مكتوباً بخط اليد ، وسلمه لديفيد ، ولكن ديفيد عرف محتوى الخطاب قبل أن يقرأه .

عزيزى الدكتور باترسون .

ليس هناك من الكلمات ما يمكن أن يعبر عن امتنانى وعرفانى بجميلك وكم أنا مدين لك . فإذا كان هناك أى شىء يمكننى أن أفعله من أجلك . فكل ما عليك فعله هو أن تخبرنى بهذا الشىء ، وسوف أقوم به دون أى سؤال أو أدنى اعتراض .

أمعن ديفيد النظر إلى الخطاب دون أن يراه .

" ديفيد ، هل ستتحدث إلى آشلى ؟ " .

أومأ ديفيد برأسه : " نعم ، بالطبع ، سأتحدث إليها ولكننى ... " .

نهض الدكتور باترسون وقال : " حسناً أشكرك " .

وراقبه ديفيد وهو يغادر مكتبه .

" لماذا تركت العمل فى القضايا الجنائية ، وتخصصت فى قانون الشركات ؟ " .

لأننى اقترفت خطأ ، وماتت امرأة بريئة كنت أحبها ، وأقسمت وقتها ألا أصبح مسئولاً عن حياة إنسان مرة أخرى . أبداً !

لا يمكننى الدفاع عن آشلى باترسون .

رفع ديفيد سماعة الهاتف الداخلى وقال : "هولى ، هل يمكنك أن تسألى السيد كينكايد إذا ما كان يمكنه أن يرانى الآن ؟ " .

" سأفعل حالاً ، يا سيدى " .

بعد ثلاثين دقيقة ، كان ديفيد متجهاً نحو المكاتب الفاخرة لجوزيف كينكايد . كان كينكايد فى الستينات من عمره ، وقد لاحت عليه علامات الشيخوخة التى تملكت منه بدنياً ، وذهنياً ، ونفسياً .

بينما دخل ديفيد إلى مكتبه ، قال له كينكايد وهو يخطو داخل مكتبه : " حسناً ، إنك رجل شغوف وقلق ، أليس كذلك ؟ لا يفترض أن يبدأ اجتماعنا قبل الخامسة " .

اقترب ديفيد من مكتبه وقال : " أعرف ذلك ، ولكننى قد جئت إلى هنا لمناقشة أمر آخر ، يا جوزيف " .

منذ سنوات ، كان جوزيف يرتكب خطأ مناداته باسم جو ، وكان هذا الرجل العجوز يعدل ذلك بقوله : " لا تنادنى أبداً باسم جو " .

" تفضل بالجلوس يا ديفيد " .

جلس ديفيد .

" هل تدخن سيجاراً ؟ إنه من كوبا " .

" لا ، أشكرك " .

" ما الذى يدور بخلدك ؟ " .

" كان الدكتور ستيفن باترسون هنا لتوه ، فقد جاء لزيارتى " .

قال كينكايد : " لقد ظهر فى نشرة الأخبار صباح اليوم ، ماذا يريد منك ؟ " .

" لقد طلب منى الدفاع عن ابنته " .

نظر كينكايد إلى ديفيد مندهشاً : " إنك لست محامياً جنائياً " .

" لقد أخبرته بذلك " .

" حسناً ، ولكن ماذا بعد ؟ " ، وذهب كينكايد بفكره لحظة .

" أنت تعرف ، إننى أرغب فى استقطاب الدكتور باترسون كعميل لنا . فهو ذو نفوذ واسع ، ويمكنه أن يجلب للمؤسسة الكثير من الصفقات ، فإن له اتصالات ببعض الهيئات والمنظمات الطبية والتى ... " .

" هناك المزيد " .

نظر كينكايد إلى ديفيد وقال بحيرة : " أوه ؟ " .

" لقد وعدته أننى سأتحدث إلى ابنته " .

" حسنا ، وأعتقد أنه ليس ثمة ضرر فى ذلك . تحدث إليها وبعد ذلك سنعثر على محام جنائي جيد ليدافع عنها " .

" هذا هو ما انتويته بالفعل " .

" رائع ، وسنرتب معه بعض النقاط . تفضل أنت الآن " ، ثم ابتسم وواصل قائلاً : " وأراك فى تمام الخامسة " .

" حسناً ، أشكرك يا جوزيف " .

وبينما كان ديفيد عائداً إلى مكتبه ، أخذ يتساءل : لماذا يصر الدكتور باترسون على أن يجعلنى أمثل ابنته وأدافع عنها ؟

الفصل الثانى عشر

فى مقاطعة سانتا كلارا ، كانت آشلى باترسون تجلس فى زنزانتها ، تجاهد كثيراً لمحاولة فهم السبب الذى دفعها إلى هذا السجن . وكانت تشعر بالسعادة والراحة لوجودها فى السجن ، لأن القضبان ستمنع من يفعل بها كل هذا من الوصول إليها . احتمت بالزنزانة ، وتلفحت بها كالبطانية ، حتى تبعد عنها كل تلك الأشياء الغريبة غير المتوقعة التى كانت تحدث لها . لقد أصبحت حياتها بالكامل عبارة عن كابوس مخيف مزعج . تذكرت آشلى كل تلك الأحداث الغامضة التى مرت بها : شخص ما يقتحم شقتها ويعبث بها ... الرحلة إلى شيكاغو ، ... الكتابة على مرآتها ... واتهام الشرطة لها بأشياء لا تعرف عنها شيئاً ، هناك بالتأكيد مؤامرة فظيعة ضدها ، ولكنها ليس لديها أية فكرة عمن يمكن أن يكون وراء ذلك ، ولماذا يفعل ذلك ؟!

في وقت مبكر من صباح ذلك اليوم ، اتجه أحد الحراس إلى آشلي في زنزانتها ، وقال لها : " زائر " .

وقادها الحارس إلى حجرة الزائرين ، حيث كان والدها في انتظارها .

ظل ينظر إليها ، في عينيه حزن شديد ، وقال لها : " حبيبتي ... لا أعرف ماذا يمكنني قوله الآن ؟ " .

قالت آشلي هامسة : " إنني لم أرتكب أياً من هذه الأشياء الفظيعة التي يتهمونني بها " .

" أعرف أنك لم تفعلي ذلك يا آشلي ، وهناك بالتأكيد شخص ما قد ارتكب خطأ ، ولكننا سنعمل على تسوية الأمور " .

نظرت آشلي إلى أبيها وتساءلت كيف أمكنها أن تفكر فيه كمذنب .

كان يقول لها : " ... لا تقلقي ، سيكون كل شيء على ما يرام ، لقد وكلت لك محامياً ، اسمه ديفيد سينجر ، إنه أحد ألمع الشباب الذين عرفتهم . سيأتي لزيارتك وأريدك أن تخبريه بكل شيء " .

نظرت آشلي إلى أبيها وقالت بنبرة يعلوها اليأس : " أبي ... إنني ... إنني لا أعرف ماذا أقول له ، إنني لا أعرف ماذا يحدث " .

" يجب أن تعرف كل شيء يا حبيبتي ، كما أنني لن أسمح لأي إنسان أن يؤذيك أو يضرك أبداً ، فأنت تعنين لي الكثير ، فأنت بالنسبة لي الحياة كلها ، يا حبيبتي " .

همست آشلي قائلة : " وأنت كذلك يا أبي كل ما أملك " .

ظل والد آشلي معها لساعة أخرى ، وعندما غادرها ، رجعت آشلي إلى عالمها الضيق في زنزانتها الصغيرة . رقدت على السرير الصغير ، وجاهدت حتى لا تفكر في أي شيء . سينتهي كل ذلك قريباً ، وستكتشف أن كل ذلك ما كان إلا مجرد حلم ... مجرد حلم ... مجرد حلم ، ثم غطت في نومها .

أيقظها صوت الحارس وهو يقول : " جاء شخص لزيارتك " .

ثم قادها الحارس إلى حجرة الزائرين ، وكان شان ميللر في انتظارها هناك . نهض من مجلسه ، عندما دخلت آشلي ، وقال لها : " آشلي ... " .

بدأ يدق قلبها : " أوه ، شان " ، فلم تشعر بمثل هذه السعادة كما شعرت عندما رأت شان ميللر . ربما جاء حسبما تعتقد لتحريرها ، أو للاتفاق معهم على السماح لها بالخروج .

" إنني سعيدة جداً لرؤيتك ، يا شان " .

فقال شان في حرج : " وأنا أيضاً سعيد لرؤيتك " .

ونظر حوله في حجرة الزائرين وقال : " على الرغم من أنني كنت أتمنى أن أقول مثل هذه الكلمات ولكن ليس في مثل هذه الظروف . فعندما سمعت أخبارك ، لم ... لم أستطع أن أصدق ما حدث . . ماذا حدث يا آشلي ؟ ما الذي دفعك لارتكاب هذا ؟ " .

تصاعدت الدماء إلى وجهها قبل أن تقول : " ما الذي دفعني ... ؟ وهل تعتقد أنني ... ؟ " .

قال شان سريعاً : " لا عليك ، لا تتحدثين كثيراً ، ولا يجب أن تذكري أي شيء إلا للمحامي الخاص بك " .

" كان دنيس تيبل يعمل فى الشركة التى أعمل بها ، وقد رأيته فى الليلة التى قتل فيها ، ولكن ليست لى أية علاقة بذلك ، فقد كنت فى شيكاغو " .

كان ديفيد يراقب وجه آشلى .

" يجب أن تصدقنى ، ليس هناك سبب يدفعنى لقتله " .

قال ديفيد : " وهو كذلك " ، ثم نظر فى الصفحة التى يدون فيها معلوماته : " كيف كانت علاقتك بجون كلود بارنت ؟ " .

" سألنى محقق الشرطة عن هذا الشخص ، ولكنى لم أسمع عنه مطلقاً ، فكيف يمكننى قتله ؟ أنا لا أعرفه ؟ " . نظرت لديفيد فى رجاء : " هلا رأيت ؟ إنهم أخطأوا فى القبض علىّ " . انخرطت فى البكاء . " إننى لم أقتل أحداً " .

" ريتشارد ميلتون ؟ " .

" إننى لا أعرفه مطلقاً هو الآخر " .

انتظر ديفيد حتى تستجمع قواها ثم سألها : " وماذا عن النائب بليك ؟ " .

هزت آشلى رأسها ، وقالت : " لقد مكث النائب بليك فى شقتى فى هذه الليلة ليحرسنى ، ونمت أنا فى حجرة النوم ، ونام هو على الأريكة . فى حجرة المعيشة ، وقد عثروا على جثته فى الممر خلف المنزل " ، وارتجفت شفتاها وهى تواصل حديثها : " لماذا أقوم بقتله ؟ لقد كان يساعدنى ! " .

كان ديفيد يتفرس آشلى فى حيرة ، هناك شىء خطأ فى هذا الأمر ، فإما أنها تقول الحقيقة ، وإما أنها ممثلة بارعة . نهض ديفيد ، وقال : " سأعود إليك ، أريد التحدث إلى المأمور " .

وبعد دقيقتين ، كان ديفيد فى مكتب المأمور .

سأله المأمور داولينج : " حسناً ، هل تحدثت إليها ؟ " .

" نعم ، ويبدو أنك أوقعت نفسك فى مأزق ، يا سيادة المأمور " .

" ماذا يعنى هذا ، يا سيادة المستشار ؟ " .

" أعنى أنك تسرعت عندما ألقيت القبض على آشلى . إنها لا تعرف الذين من الأشخاص المتهمة بقتلهم " .

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتى المأمور داولينج وقال : " لقد خدعتك أيضاً ، أليس كذلك ؟ إنها بالتأكيد قد خدعتنا جميعاً " .

" عم تتحدث ؟ " .

" سأوضح لك الأمر ، يا سيد ديفيد " ، ثم فتح ملفاً على مكتبه ، وأعطى لديفيد بعض الأوراق . " هذه نسخ من تقارير الأطباء الشرعيين ، وتقارير مكتب التحقيقات الفيدرالية ، وتقارير تحاليل الحامض النووى ، وتقارير البوليس الدولى ، وجميع هذه التقارير خاصة بالأشخاص الخمسة الذين تعرضوا للقتل بالطعن والتمثيل ، ولقد مارس كل منهم الجنس قبل قتله . وقد كان هناك بعض البصمات فى مسارح الجريمة ، وكان يفترض أن هناك ثلاث سيدات متورطات فى هذه الجرائم . حسناً ، لقد قام مكتب التحقيقات الفيدرالية بجمع الأدلة ، فتخيل ما الذى توصلوا إليه ؟ لقد ثبت فى النهاية أن السيدات الثلاثة هن فى الأصل آشلى باترسون ، فلقد كانت عينة تحاليل الحامض النووى الوراثى وبصمات الأصابع الخاصة بها إيجابية فى الجرائم الخمسة " .

كان ديفيد يحملق فى المأمور غير مصدق لما يقال : " هل أنت ، هل أنت متأكد ؟ " .

" نعم ، إلا إذا أردت أن تصدق أن الإنتربول ، ومكتب التحقيقات الفيدرالية ، ومكاتب الأطباء الخمسة الشرعيين الذين تعاملوا مع هذه القضايا قد اجتمعوا على تلفيق التهم ضد موكلتك . الأمر كله أمامك ، يا سيد ديفيد ، إن أحد الرجال الذين قتلتهم آشلي هو زوج أختي ، وسوف تخضع آشلي باترسون للمحاكمة لارتكابها جرائم القتل من الدرجة الأولى ، وسوف تدينها المحكمة . هل لديك استفسار آخر ؟ " .

" نعم " . وأخذ ديفيد نفساً عميقاً ، ثم استطرد قائلاً : " أود رؤية آشلي باترسون مجدداً " .

أحضروا آشلي إلى حجرة الزائرين مرة أخرى وعندما دخلت سألها ديفيد بغضب : " لماذا لم تصدقي القول ؟ " .

" ماذا ؟ أنا لم أكذب . إنني بريئة . إنني ... " .

" لديهم من الأدلة ما يدينك لدرجة إعدامك أكثر من مرة ، لقد أخبرتك بأنني أريد الحقيقة " .

نظرت آشلي إليه لدقيقة كاملة ، وعندما تحدثت ، قالت بصوت هادئ : " لقد أخبرتك بالحقيقة ، وليس لدىّ المزيد لأقوله " .

وبينما كان ديفيد منصتاً لحديثها حدث نفسه قائلاً : إنها فعلاً مؤمنة بما تقوله ، إنني بصدد قضية مثيرة ، ما الذى سأخبر به جيمس كوبلر ؟

هل تبغين التحدث إلى طبيب نفسانى ؟ " .

" لا ... نعم ، إذا أردت منى فعل ذلك " .

" سأقوم بالإعداد لذلك " .

وفى طريق عودته إلى سان فرانسيسكو ، حدث ديفيد نفسه قائلاً : لقد ضقت ذرعاً بهذه القضية ، إننى تحدثت معها فلو أنها حقاً تعتقد أنها تقول الحقيقة ، فهى إذن مصابة بالجنون . سأحيل قضيتها إلى جيمس ، والذى سوف يبنى دفاعه على أنها ارتكبت الجريمة فى لحظة جنون ، وستكون تلك هى النهاية .

لقد تعاطف ديفيد مع ستيفن باترسون .

فى مستشفى ميموريال فى سان فرانسيسكو ، كان الدكتور باترسون يتلقى عبارات المواساة من زملائه الأطباء .

" إنها كارثة ، يا ستيفن ، إنك بالتأكيد لا تستحق هذا ... " .

" إنه بالتأكيد حمل ثقيل على عاتقك ، هل يمكنني أن أفعل شيئاً ... ؟ " .

" لا أعرف ما الذى حدث لأبنائنا هذه الأيام . لقد كانت آشلى دائماً ما تبدو طبيعية للغاية ... " .

وكان كل منهم يحدث نفسه وهو يقدم مواساته للدكتور باترسون : حمداً لله أنها ليست ابنتى .

عندما عاد ديفيد إلى المؤسسة القانونية التى يعمل بها ، أسرع إلى رؤية جوزيف كينكايد .

رفع كينكايد نظره ، وقال : " حسناً ، لقد تجاوزت السادسة يا ديفيد ، ولكننى أنتظرك . هل رأيت ابنة الدكتور باترسون ؟ " .

" نعم رأيتها " .

" وهل عثرت على محام ليدافع عنها ؟ " .

تردد ديفيد قبل أن يقول : " ليس بعد ، جوزيف . إننى أرتب لأن ترى آشلى طبيباً نفسياً ، وسأعود فى صباح الغد للحديث معها مجدداً " .

نظر جوزيف كينكايد إلى ديفيد فى حيرة : " أوه ؟ بصراحة ، إننى مندهش لتورطك فى هذا ، ومن الطبيعى ألا نجعل لمؤسستنا علاقة بمثل هذه القضايا " .

" إننى لست متورطاً فى الواقع يا جوزيف ، إننى فقط مدين لأبيها بالكثير ، ولقد أعطيته وعداً " .

" هل هناك مستندات مكتوبة تلزمك بهذا الوعد ؟ " .

" لا " .

" إذن ، هو مجرد التزام أخلاقى " .

تفرسه ديفيد للحظة ، ثم همَّ بقول شىء ما ، ولكنه توقف ، ثم قال : " نعم ، إنه فقط التزام أخلاقى " .

" حسناً ، عندما تنتهى من أمر الآنسة باترسون ، سيكون لنا حديث آخر " .

ولكنهما لم يتطرقا بكلمة واحدة إلى الشراكة .

عندما عاد ديفيد إلى منزله ، فى تلك الليلة ، كانت الشقة تسبح فى ظلام دامس .

" ساندرا ؟ " .

لم يتلق إجابة . عندما هم بإضاءة الأنوار فى الردهة ، ظهرت ساندرا فجأة من المطبخ ، وكانت تحمل بين يديها كعكة بها شموع مشتعلة .

" مفاجأة . سنحتفل معاً .... " ، ثم رأت التعبير المرتسم على وجه ديفيد فتوقفت : " هل ثمة خطأ ما ، حبيبى ؟ ألم تحصل عليها ؟ هل حصل عليها شخص آخر غيرك ؟ " .

" لا ، لا " . قال ذلك بنبرة مطمئنة ، " كل شىء على ما يرام " .

وضعت ساندرا الكعكة ، واقتربت منه ، وقالت : " إذن ما الخطب ؟ " .

" كل ما فى الأمر ... أن هناك تأجيلاً " .

" ألم يكن موعد لقائك بجوزيف كينكايد اليوم ؟ " .

" نعم ، اجلسى ، يا حبيبتى ، فيجب أن نتحدث معاً " .

جلسا معاً على الأريكة ، وقال ديفيد : " لقد حدث شىء غير متوقع اليوم . لقد حضر ستيفن باترسون لزيارتى هذا الصباح " .

" حضر إلى زيارتك ؟ بخصوص ماذا ؟ " .

" لقد أراد منى الدفاع عن ابنته فى المحكمة " .

نظرت إليه ساندرا فى دهشة : " ولكن ، ديفيد ، ... أنت ... " .

" أعرف ذلك ، حاولت أن أوضح له ذلك ، ولكننى مارست القانون الجنائى لفترة " .

" ولكنك لم تعد تمارسه الآن . هل أخبرته أنك على وشك أن تصبح شريكاً فى مؤسستك ؟ " .

" كان مصراً على أننى الوحيد الذى يمكنه الدفاع عن ابنته . وهذا لا يعنى شيئاً بالتأكيد . حاولت أن أرشح محامياً آخر مثل جيسى كويلر ، ولكنه لم ينصت للاقتراح " .

" حسناً ، عليه أن يعثر على محامٍ آخر غيرك " .

" بالطبع ، وقد وعدته أن أتحدث إلى ابنته ، ولقد فعلت " .

عادت ساندرا للوراء ، بينما كانت جالسة على الأريكة ، وقالت : " هل يعرف السيد كينكايد شيئاً عن هذا الأمر ؟ " .

" نعم ، لقد أخبرته ، ولم يسره الأمر " ، ثم قلد صوت كينكايد وهو يقول : " ومن الطبيعي ألا نجعل لمؤسستنا علاقة بمثل هذه القضايا " .

" كيف كانت تبدو ابنة الدكتور باترسون ؟ " .

" بالمفهوم الطبي ، إنها شخصية مجنونة " .

قالت ساندرا : " إنني لست طبيبة ، فماذا يعني هذا ؟ " .

" يعني أنها تؤمن فعلا بأنها بريئة " .

" وهل هذا ممكن ؟ " .

" لقد أراني المأمور داولينج الملف الخاص بها ، فوجدت أن الحامض النووي الوراثي وبصمات أصابع اليد كانت في مسارح الجرائم جميعاً " .

" وماذا ستفعل الآن ؟ " .

" لقد اتصلت هاتفياً برويس سالم ، إنه الطبيب النفساني الذي يتعاون مع مكتب جيس كوبلر ، وسوف أجعله يفحص آشلي ، ثم يسلم التقرير لوالدها ، ويمكن للدكتور باترسون أن يحضر طبيباً نفسانياً آخر إذا أراد ، أو يسلم التقرير لأى محام آخر يترافع في هذه القضية " .

" أتفهم الأمر " ، وتفرست ساندرا وجه زوجها الشاحب المتعب .

ثم قالت : " هل ذكر السيد كينكايد أى شيء بخصوص الشراكة ، يا ديفيد ؟ " .

هز رأسه " : لا " .

قالت ساندرا بحماس : " سيفعل ذلك غداً ، وإن غداً لناظره قريب " .

كان الدكتور رويس سالم رجلاً طويلاً ، نحيفاً ، وله لحية تشبه لحية سيجموند فرويد .

تحدث ديفيد إلى نفسه قائلاً : ربما يكون ذلك مجرد تصادف ، فبالتأكيد لا يحاول هذا الشخص أن يبدو مثل فرويد .

قال الدكتور سالم : " تحدث جيس عنك كثيراً ، إنه معجب بك " .

" إنني أحبه كذلك ، يا دكتور سالم " .

" تبدو قضية باترسون مثيرة ، ومن الواضح أنها نتاج مرض نفسي . هل تخطط لأن تبني دفاعك على أنها مصابة بالجنون ؟ " .

قال ديفيد : " في الحقيقة ، إنني لن أترافع في هذه القضية ، فقبل أن أخصص لها محامياً ، أردت أولاً أن أحصل على تقييم لحالتها العقلية " ، ثم قام ديفيد بإطلاع الدكتور سالم على الحقائق التي قام بجمعها . " إنها تدعي البراءة ، ولكن الأدلة أثبتت إدانتها وارتكابها للجرائم " .

" حسناً ، هيا نفحص حالتها النفسية " .

كانت جلسة العلاج بالتنويم المغناطيسي ستتم في السجن في سانتا كلارا كاونتي ، في غرفة الاستجواب . كانت الغرفة تحتوى على منضدة خشبية مستطيلة الشكل ، وأربعة من الكراسي الخشبية .

بدت آشلي شاحبة متجهمة ، وقادتها السجانة إلى الغرفة .

قالت السجانة : " سأنتظر بالخارج " ، وانسحبت .

قال ديفيد : " آشلي ، هذا هو الدكتور سالم ، وهذه آشلي باترسون " .

قال الدكتور سالم : " أهلاً آشلي " .

أخذت تنقل بصرها بينهما في عصبية دون أن تنبس بكلمة . وشعر ديفيد بأنها على استعداد لأن تنسحب من الغرفة .

" أخبرني السيد سينجر بأنك لا تمانعين من الخضوع للعلاج بالتنويم المغناطيسي " .

وساد الصمت .

استطرد الدكتور سالم : " هل تسمحين لي بتنويمك مغناطيسياً ، يا آشلي ؟ " .

أغمضت آشلي عينيها للحظة ثم أومأت قائلة : " نعم " .

" لماذا لا نبدأ الآن ؟ " .

قال ديفيد : " حسناً ، سأخرج إذا ... " .

اتجه الدكتور سالم نحو ديفيد وقال : " انتظر لحظة ... أريدك أن تبقى " .

ظل ديفيد ، واقفاً ، وقد شعر بالإحباط والندم لأن الأمور وصلت إلى هذا الحد . قرر ديفيد : لن أتمادى في ذلك أكثر ، ستكون تلك هي النهاية .

قال ديفيد على مضض : " وهو كذلك " . كان يرغب في انتهاء ذلك الأمر سريعاً ، حتى يمكنه العودة إلى المكتب ، فالاجتماع القادم مع كينكايد شغل حيزاً كبيراً من تفكيره .

قال الدكتور سالم لآشلي : " لماذا لا تجلسين على هذا المقعد ؟ " .

جلست آشلي .

" هل تعرضت للتنويم المغناطيسي من قبل ، يا آشلي ؟ " .

ترددت ، ثم هزت رأسها وقالت : " لا " .

" إنه لا يتطلب منك ، أكثر من الاسترخاء ، والإنصات لصوتي ... فليس هناك ما يدعو للقلق إطلاقاً ، ولن يؤذيك أي شخص . استشعري استرخاء عضلاتك هذا كل ما في الأمر ، لقد تعبت كثيراً ، وأنهك جسدك . كل ما تحتاجين إليه هو أن تنامي . فقط أغلقي عينيك ، واسترخي . إنك تغطين في نوم عميق ... نوم عميق ... " .

استغرق الأمر عشر دقائق حتى تخضع آشلي للدكتور سالم ، فاتجه الدكتور سالم نحو آشلي : " آشلي هل تعرفين أين أنت ؟ " .

" نعم ، إنني في السجن " . كان صوتها يبدو أجوف كأنه يأتي من مسافة بعيدة .

" هل تعرفين سبب تواجدك في السجن ؟ " .

" يعتقد الناس أنني ارتكبت شيئاً خطيراً " .

" وهل هذا صحيح ؟ هل ارتكبت شيئاً خطيراً ؟ " .

" لا " .

" آشلي ، هل قتلت أي شخص من قبل ؟ " .

" لا " .

نظر ديفيد إلى الدكتور سالم في اندهاش . أليس من المفترض أن يصدقوا الناس القول تحت تأثير التنويم المغناطيسي ؟

" هل لديك أية فكرة عمن قد ارتكب هذه الجرائم ؟ " .

فجأة ، بدأت قسمات وجه آشلى تلتوى ألماً ، وبدأت تتنفس بصعوبة ، بأنفاس متقطعة متحشرجة ، فاندهش كلا الرجلين وهما يراقبان شخصية آشلى وهى تتغير ، فقد ضمت شفتيها وبدأت ملامحها تتغير ، ثم انتصبت فى جلستها ، وفجأة اكتسى وجهها بالحيوية ، ثم فتحت عينيها ، وكانتا لامعتين . لقد كان هذا التحول مدهشاً ، مثيراً . وعلى غير المتوقع بدأت تغنى بإثارة وبلهجة إنجليزية :

" بنصف جنيه أرز توبينى
وبنصف جنيه تحضر العسل الأسود
واخلط هذا خليطاً حلواً
لكن يهرب ذلك السنجاب " .

استمع ديفيد فى دهشة ، من الذى تعتقد أنها تخدعه ؟ إنها تتظاهر بكونها شخصاً آخر .

" أريد أن أطرح عليك مزيداً من الأسئلة يا آشلى " .

هزت رأسها ، وقالت بلهجة إنجليزية : " إننى لست آشلى " .

تبادل الدكتور سالم نظره مع ديفيد ، ثم التفت مرة أخرى نحو آشلى : " إن لم تكونى آشلى ، فمن تكونين إذن ؟ " .

" تونى ، تونى بريسكوت " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : ولعب آشلى ذلك بوجه صارم . إلى متى ستظل تخدعنا بتمثيلها هذا ؟ لقد كانت تضيع وقتهم سدى .

قال الدكتور سالم : " آشلى ! " .

" تونى " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : إنها مصرة على مواصلة اللعبة .

" وهو كذلك . تونى ، إن ما أرغبه هو ... " .

" اسمح لى أن أخبرك بما أريده أنا ، إننى أريد أن أخرج من هذا المكان العفن . هل يمكننا الخروج معاً من هنا ؟ " .

" حسب ما تسمح لنا الظروف . ماذا تعرفين عن ... " .

" ... جرائم القتل التى جاءت إلى هنا الغبية آشلى بسببها ... ؟ يمكننى أن أخبرك بأنه ... " .

وفجأة بدأت تعبيرات وجه آشلى تتغير ثانية . وبينما كان يشاهدها كل من ديفيد والدكتور سالم ، بدأت آشلى تنكمش فى مقعدها ، وبدأت قسمات وجهها تلين ، وتتغير تعبيراته تغيراً كبيراً ، حتى بدت وكأنها شخص آخر مختلف تماماً .

قالت بنبرة هادئة ، وبلهجة إيطالية : " تونى ... لا تتحدثى أكثر من ذلك من فضلك " .

نظر إليها ديفيد فى حيرة ، ودهشة .

اقترب منها الدكتور سالم وقال : " تونى ؟ " .

قال الصوت الهادئ : " أعتذر لمقاطعتك يا دكتور سالم " .

طرح الدكتور سالم سؤالاً : " من أنت ؟ " .

" إننى أليت ، أليت بيترز " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : يا إلهى ، ليس هذا تمثيلاً ، إنه حقيقى .

ثم التفت إلى الدكتور سالم .

قال الدكتور سالم بهدوء : " إن لديها عدة شخصيات بديلة " .

أمعن ديفيد النظر إليه ، وهو فى حيرة بالغة : " إنها ماذا ؟ " .

" سأوضح لك ذلك فيما بعد " .

التفت الدكتور سالم إلى آشلى : " آشلى ... أقصد أليت ... كم شخصية أنت تكونين ؟ " .

" بالإضافة إلى آشلى ، هناك تونى وأنا أليت " .

" أنت تتحدثين بلهجة إيطالية " .

" نعم ، لقد ولدت فى روما ، هل ذهبت إلى روما من قبل ؟ " .

" لا ، لم أذهب من قبل إلى روما " .

حدث ديفيد نفسه : لا أستطيع أن أصدق ما أسمع . يا للغرابة .

" إنها رائعة " .

" بالطبع . هل تعرفين تونى ؟ " .

" نعم بالطبع " .

" إن لها لهجة إنجليزية " .

" لقد ولدت فى لندن " .

" حسناً أليت ، أريد أن أتحدث إليك بخصوص جرائم القتل والتى ارتكبت . هل لديك أية فكرة عن ... ؟ " .

وشاهد كل من ديفيد والدكتور سالم ملامح آشلى وشخصيتها وهى تتغير مرة أخرى أمام أعينهما ، ودون أن تنبس ببنت شفة ، عرفوا أنها أصبحت تونى .

" إنك تضيع وقتك معها ، يا حبيبى " .

وكانت هذه الكلمات باللهجة الإنجليزية .

" أليت لا تعرف شيئاً . إننى الوحيدة التى يجب أن تتحدث معها " .

" حسناً ، يا تونى ، سأتحدث إليك . لدىّ بعض الأسئلة التى أود أن أطرحها عليك " .

" بالطبع ، ولكننى متعبة " . ثم تثاءبت ، " لقد جعلتنا الآنسة الغبية آشلى مستيقظتين طوال الليل ، فيجب أن أحصل على قسط من النوم " .

" ليس الآن يا تونى ، أنصتى لى ، يجب أن تساعدينا حتى ... " .

تصلب وجهها وهى تقول : " لماذا يجب علىّ مساعدتك ؟ ماذا فعلت الآنسة الغبية لى أو لأليت ؟ إن كل ما تفعله هو حرماننا من المتعة واللهو ، حسناً لقد ضقت ذرعاً بها . هل تسمعنى ؟ " ، وكانت تصرخ ، ووجهها يتلوى ألماً .

قال الدكتور سالم : " سأعيدها إلى حالتها الطبيعية " .

كان ديفيد يتصبب عرقاً حينما قال : " نعم " .

انحنى الدكتور سالم نحو آشلى : " آشلى ... آشلى ... كل شىء على ما يرام . أغمضى عينيك الآن ، إنهما مجهدتان للغاية وثقيلتان ، واسترخى تماماً . آشلى ، إن عقلك هادئ الآن وجسمك مسترخ . ستستيقظين عندما أعد حتى خمسة ، وأنت الآن فى استرخاء تام . واحد ... " . ثم نظر إلى ديفيد ، ثم إلى آشلى " اثنان ... " . بدأت آشلى تتقلب ، ولاحظا تعبيرات وجهها وهى تتغير .

" ثلاثة ... " .

وبدأت قسمات وجهها تلين .

" أربعة ... " .

شعرا بعودتها إلى حالتها الطبيعية ، وكان شعوراً غريباً مخيفاً .

" خمسة ... " .

فتحت آشلي عينيها ، وجالت بنظرها في الحجرة وقالت : " أشعر ... هل كنت نائمة ؟ " .

وقف ديفيد ، معناً النظر فيها مندهشاً .

قال الدكتور سالم : " نعم " .

اتجهت آشلي نحو ديفيد : " هل قلت أي شيء ؟ أقصد ... هل كنت متعاونة ؟ " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : يا إلهي ، إنها لا تعرف ! إنها حقاً لا تعرف ! ثم قال لها ديفيد : " لقد أبليت بلاءً حسناً يا آشلي . أريد التحدث إلى الدكتور سالم بمفردنا الآن " .

" حسناً " .

" أراك لاحقاً " .

وقف الرجلان يشاهدان السجانة تقود آشلي إلى زنزانتها .

جلس ديفيد على أحد المقاعد وقال : " ماذا ... بالله عليك ما هذا الذي يحدث ؟ " .

تنهد الدكتور سالم قائلاً : " طوال السنوات التي مارست فيها عملي ، لم أر أبداً حالة واضحة كهذه " .

" وما هذه الحالة ؟ " .

" هل سمعت من قبل عن اضطراب تعدد الشخصيات ؟ " .

" ما هذا ؟ " .

" إنها الحالة التي تحدث عندما يكون هناك عدد من الشخصيات المختلفة تماماً في نفس الجسد . وإنها أيضاً تعرف باسم الانفصام في الشخصية ، وهو مفهوم متعارف عليه في عالم الطب النفسي من مائتي عام . إنه يحدث بسبب صدمة في مرحلة

الطفولة ، حيث تتغلب الضحية على هذه الصدمة بخلق هوية جديدة ، في بعض الأحيان يكون لدى الشخص عدد كبير من الشخصيات المختلفة أو البدائل الأخرى " .

" وهل تعرف كل منهن الأخرى ؟ " .

" أحياناً يعرفن ، وأحياناً أخرى لا ، فتوني وأليت تعرفان بعضهما البعض ، ومن الواضح أن آشلي لا تعرفهما ، وقد ظهرت هذه الشخصيات البديلة لأن آشلي لم تتحمل ألم صدمة ما . إنها طريقة للهروب ، وفي كل مرة تحدث صدمة جديدة ، تظهر شخصية جديدة وقد أوضح الطب النفسي أن هذه الشخصيات يمكن أن تكون مختلفة عن بعضها البعض ، فبعض هذه الشخصيات قد يكون غبياً ، بينما يكون البعض الآخر ذكياً لامعاً . كما يمكن أن تتحدث هذه الشخصيات بلغات مختلفة ، ولهما أذواق مختلفة ، وكذلك اتجاهات مختلفة " .

" وما ... ما مدى انتشار هذه الحالة ؟ " .

" تشير بعض الدراسات إلى أن واحداً بالمائة من مجموع السكان يعاني من اضطراب تعدد الشخصيات ، وتصل هذه النسبة إلى عشرين بالمائة بين جميع المرضى بالمستشفيات النفسية " .

قال ديفيد : " ولكن آشلي تبدو طبيعية للغاية ، و ... " .

" الأشخاص المصابون بهذا المرض طبيعيون ... حتى تظهر إحدى الشخصيات البديلة ، وقد يكون للشخصية الأصلية وظيفة ، وأسرة ، وتحيا حياة طبيعية للغاية ، ويكون لها السيطرة على الشخصية البديلة ولكن الشخصية البديلة قد تظهر في أية لحظة ، لساعة ، أو ليوم ، أو حتى لأسبوع ، ثم تعاني الشخصية الأصلية بعد ذلك من الذهان الأصلي ، وهو فقدان الشعور بالزمن ،

والذاكرة ، ذلك طوال الفترة التى تكون فيها الشخصية البديلة هى المسيطرة " .

" إذن آشلى - الشخصية الأصلية - لا يمكنها أن تتذكر أى شىء تقوم به الشخصيات البديلة . أليس كذلك ؟ " .

" لا شىء . مطلقاً " .

أنصت ديفيد بذهول .

" إن أشهر حالة من حالات اضطراب تعدد الشخصيات كانت حالة بريدى مورفى ، وهى أول حالة تجذب الانتباه لهذا المرض . ومنذ ذلك الحين ، ظهرت حالات لا حصر لها ، ولكن لم يعلن عن أحدها " .

" ياه ... أمر لا يصدقه عقل " .

" إنه موضوع أثار دهشتى وفضولى لفترة طويلة ، وهناك أنماط محددة لا تتغير أبداً ، فعلى سبيل المثال ، تستخدم الشخصيات البديلة فى أغلب الأحيان أسماء تبدأ بالحروف الأولى لاسم الشخصية الأصلية . آشلى باترسون ... أليت بيترز ... تونى بريسكوت .... " .

هم ديفيد بأن يسأل : " تونى ... ؟ " ، ثم أدرك فوراً

" أنتونيت هو الاسم الأصلى لتونى ؟ " .

" نعم ، هل سمعت عن مصطلح الأنا الأخرى ؟ " .

" نعم " .

" إننا جميعاً لدينا هذه الأنا الأخرى ، أو تعدد الشخصيات ، فالشخص العطوف قد يرتكب سلوكاً ينم عن القسوة والشخص القاسى قد يرتكب سلوكاً ينم عن العطف . ليس هناك حدود للمشاعر الإنسانية التى لا يمكن تصديقها ، فالدكتور جيكل ومستر

هايد هى حقاً قصة خيال علمى ، ولكنها قائمة على أفكار واقعية " .

كانت الأفكار تتدافع فى عقل ديفيد فسأله : " إذا كانت آشلى قد ارتكبت جرائم القتل .... " .

" فلن تكون على وعى بذلك . فإن من ارتكبها هى إحدى الشخصيات البديلة " .

" يا إلهى ، كيف يمكننى أن أشرح ذلك فى المحكمة ؟ " .

نظر الدكتور سالم إلى ديفيد بفضول وقال : " أعتقد أنك قلت إنك لن تدافع عنها " .

هز ديفيد رأسه : " إننى لا .... أقصد ، لا أعرف ، إننى ... عند هذه النقطة ، أعانى أيضاً تعدد الشخصيات " .

قال ديفيد بعد فترة من الصمت : " هل يمكن علاج هذا المرض ؟ " .

" فى الغالب ، نعم " .

" وإذا لم يكن من الممكن علاجه ، فماذا يحدث ؟ " .

وسادت فترة أخرى من الصمت . " قد يؤدى ذلك إلى الانتحار " .

" وهل تعرف آشلى أى شىء عن هذا الأمر ؟ " .

" لا " .

" هل ... هل ستشرح لها الأمر ؟ " .

" نعم ، بالطبع " .

دون صرخة عالية : " لا " . كانت جاثمة أمام الحائط فى الزنزانة ، والفزع يملأ عينيها . " أنت تكذب ، ليس هذا صحيحاً ! " .

قال الدكتور سالم : "بل صحيح يا آشلى ، وعليك أن تواجهى الموقف ، ولقد أوضحت لك أن ما حدث ليس خطأك ، ولست مسئولة عنه . إننى ... " .

" لا تقترب منى ! " .

" لن يؤذيك أحد " .

" أريد أن أموت . ساعدنى على الموت " ، وانخرطت فى بكاء شديد .

نظر الدكتور سالم إلى الحارسة ، وقال لها : " من الأفضل أن تعطى لها عقاراً مسكناً ، وكلفى أحد الحراس بمراقبتها حتى لا تحاول الانتحار " .

اتصل ديفيد هاتفياً بالدكتور باترسون : " إننى بحاجة للتحدث معك " .

" لقد كنت أتطلع لاتصالك ، هل رأيت آشلى ؟ " .

" نعم ، هل يمكننا اللقاء فى أى مكان ؟ " .

" سأنتظرك فى مكتبى " .

* * *

بينما كان ديفيد عائداً بسيارته إلى سان فرانسيسكو ، كان يحدث نفسه قائلاً : لا يمكننى مواصلة هذه القضية ، فسوف أخسر من ورائها الكثير .

سأكلف لها محامياً جنائياً كفئاً ، وستكون هذه هى النهاية .

كان الدكتور باترسون ينتظر ديفيد فى مكتبه ، وقال له فور وصوله : " هل تحدثت إلى آشلى ؟ " .

" نعم " .

" هل هى بخير ؟ " .

كيف يمكننى الإجابة عن هذا السؤال ؟ أخذ ديفيد نفساً عميقاً ، ثم قال : " هل سمعت أبداً عن اضطراب تعدد الشخصيات ؟ " .

تجهم الدكتور باترسون وقال : " لا أفهم ... " .

" يحدث هذا عندما يتواجد عدد من الشخصيات البديلة داخل إنسان واحد ، وتظهر إحداها بين الحين والآخر ، ولا يدرى هذا الشخص بها . إن ابنتك مصابة باضطراب تعدد الشخصيات " .

نظر إليه الدكتور باترسون فى دهشة : " ماذا ؟ إننى ... لا أستطيع أن أصدق هذا . هل أنت متأكد ؟ " .

" لقد استمعت إلى آشلى بينما كان الدكتور سالم يضعها تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، إن لديها شخصيتين بديلتين ، وتفرض كل شخصية من هاتين الشخصيتين سيطرتها بين الحين والآخر " .

ثم أخذ ديفيد يتحدث فى عجالة وهو يقول : " لقد أرانى المأمور داولينج دليل الإدانة ضد ابنتك ، وليس هناك أدنى شك فى أنها قد ارتكبت هذه الجرائم " .

قال الدكتور باترسون : " أوه ، يا إلهى ! إذن هى ... هى مذنبة " .

" لا ، لأننى لا أعتقد أنها كانت على دراية عند ارتكابها لهذه الجرائم ، لأنها كانت واقعة تحت تأثير إحدى الشخصيتين البديلتين ، وليس هناك من مبرر ليدفع آشلى لارتكاب هذه

الجرائم . ليس لديها أى دافع وراء ذلك ، ولم تكن تسيطر على نفسها حينئذ ، وأعتقد أنه أمام المحكمة وقت طويل حتى تثبت دافعها أو سبق إصرارها " .

" إذن ، سيكون دفاعك عنها ... " .

قاطعه ديفيد : " إننى لن أدافع عنها . بل سأكلف لك جيس كوبلر ، فهو محام بارع . لقد عملت معه كثيراً وهو الأفضل ... " .

" لا " ، وكان صوت الدكتور باترسون حاداً صارماً : " يجب عليك الدفاع عن ابنتى " .

قال ديفيد بهدوء : " يجب أن تعرف جيداً أننى لست الشخص المناسب للدفاع عنها ، إنها بحاجة ... " .

" أخبرتك من قبل أنك الوحيد الذى أثق به ، وابنتى بالنسبة لى هى الحياة كلها يا ديفيد ، وأنت من سينقذ حياتها " .

" لا يمكننى ذلك ، فأنا لست مؤهلاً لـ ... " .

" بالطبع أنت مؤهل ، فلقد كنت محامياً جنائياً " .

" نعم ، ولكننى ... " .

" لن ألجأ لأى شخص غيرك " ، ولاحظ ديفيد أن الدكتور باترسون يحاول الاحتفاظ بهدوئه والسيطرة على نفسه ، فحدث ديفيد نفسه : لن يجدى كل هذا . وحاول مرة أخرى بقوله : " جيس كوبلر هو أفضل ... " .

انحنى الدكتور باترسون للأمام ، تصاعدت الدماء إلى وجهه وقال : " ديفيد ، كانت حياة أمك تعنى لك الكثير ، وكذلك حياة ابنتى تعنى لى الكثير ، والكثير . لقد طلبت مساعدتى مرة ، ووضعت حياة أمك بين يدى ، وأنا أطلب مساعدتك الآن ، وأضع

حياة آشلى بين يديك . أريدك أن تدافع عن آشلى فأنت مدين لى بذلك " .

حدث ديفيد نفسه فى يأس : لن ينصت لما أقوله ، ماذا حدث له ؟ تقافز إلى ذهن ديفيد العديد من الاعتراضات ، ولكنها اختفت جميعاً عندما سمعه يقول : " أنت مدين لى بذلك " .

حاول ديفيد مرة أخيرة : " دكتور باترسون ... " .

" نعم أم لا ، يا ديفيد ؟ " .

الفصل الثالث عشر

عندما عاد ديفيد إلى منزله ، كانت ساندرا فى انتظاره .

" طاب مساؤك ، يا حبيبتى " .

أحاطها بذراعيه ، وحدث نفسه قائلاً : يا إلهى ، إنها جميلة للغاية . من هذا الأحمق الذى قال إن السيدات الحوامل لسن جميلات ؟

قالت ساندرا بدلال : " لقد ركلنى الجنين عدة مرات اليوم " .

ثم وضعت يد ديفيد على بطنها عند موضع الجنين .

" هل يمكنك أن تستشعره ؟ " .

بعد لحظات قليلة ، قال ديفيد : " لا ، إنه عنيد هذا الشيطان الصغير ! " .

" بالمناسبة ، لقد اتصل بك السيد كراوثر " .

" كراوثر ؟ " .

" سمسار العقارات ، فالعقود جاهزة للتوقيع " .

قال ديفيد : " أوه " .

قالت ساندرا بشغف : " أريد أن أريك شيئاً ما ، لا تتحرك من هنا " .

رآها ديفيد تعدو سريعاً نحو غرفة النوم ، فحدث نفسه قائلاً : ماذا سأفعل ؟ يجب أن أتخذ قراراً .

عادت ساندرا إلى الحجرة ممسكة بعض العينات من ورق الحائط الأزرق . " سنجعل لون حجرة الأطفال أزرق ، وحجرة المعيشة أزرق مع الأبيض ، فهذه هى ألوانك المفضلة . أى لون تفضل فى ورق الحائط ، الفاتح ، أم الداكن ؟ " .

جاهد ديفيد محاولاً التركيز ، فقال : " الفاتح يبدو أجمل " .

" إننى أفضل ذلك أيضاً ، ولكن المشكلة الوحيدة هى أن السجادة الصغيرة ستكون أزرق داكناً . هل تعتقد أنه سيكون هناك انسجام فى الألوان ؟ " .

لا يمكننى التخلى عن الشراكة ، لقد بذلت جهداً مضنياً لأحصل عليها ، فهى تعنى لى الكثير .

" ديفيد ، هل تعتقد أنه سيكون هناك انسجام فى الألوان ؟ " .

نظر إليها ، وقال : " ماذا ؟ آه . نعم ، كما ترين يا حبيبتى " .

" إننى سعيدة للغاية جداً ، سيكون ذلك جميلاً " .

لن يمكننا سداد ثمنها إذا لم أحصل على هذه الشراكة .

جالت ساندرا بنظرها فى شقتها الصغيرة ، وقالت : " يمكننا استخدام بعض من هذا الأثاث ، ولكننا للأسف سنكون بحاجة لابتياع بعض الأشياء الجديدة " ، ثم نظرت إليه فى قلق ،

وقالت : " يمكننا التعامل مع هذا الأمر ، أليس كذلك ؟ لا أريد أن أتعدى حدود ميزانيتى " .

قال ديفيد ، فى شرود : " نعم ، أنت على حق " .

اقتربت منه وقالت : " سنحيا حياة جديدة تماماً ، أليس كذلك ؟ الطفل ، والشراكة ، والمنزل الجديد . لقد مررت هناك اليوم ، فقد أردت أن أرى الملاعب ، والمدارس ، لقد كان الملعب رائعا ، ففيه زلاقات ، وأرجوحات ، أريدك أن تأتى معى يوم السبت لترى ذلك . سيحبه ابننا جيفرى كثيراً " .

ربما يمكننى إقناع كينكايد أن ذلك سيكون فى مصلحة شركتنا .

" أما عن المدرسة ، فهى تبدو لطيفة . إنها تبعد عن موضع سكننا ببنايتين ، وهى ليست كبيرة جداً ، وأعتقد أن هذا مهم " .

أنصت ديفيد إليها وحدث نفسه قائلاً : لا أريد أن أخذلها ، أو أقضى على أحلامها . سأخبر كينكايد فى صباح الغد بأننى لن أقبل قضية باترسون ، وعلى باترسون أن يكلف محامياً آخر .

" من الأفضل أن نستعد الآن يا عزيزتى ، يجب أن نصل إلى كويلر فى الثامنة تماماً " .

شعر ديفيد بالتوتر وهو يقول لها : " هناك شىء ما يجب أن أتحدث معك بشأنه " .

" ماذا ؟ " .

" ذهبت لرؤية آشلى باترسون صباح اليوم " .

" آه ؟ ماذا حدث ؟ هل هى مذنبة ؟ هل قامت بارتكاب هذه الجرائم البشعة ؟ " .

" نعم ، ولا " .

" إنك تتحدث الآن بأسلوب المحامين ، ماذا يعنى هذا ؟ " .

" لقد ارتكبت الجرائم ... ولكنها ليست مذنبة " .

" ديفيد ... ! " .

" آشلى مصابة بحالة مرضية تدعى اضطراب تعدد الشخصيات بمعنى أن لديها انفصاماً فى الشخصية ، وبذلك فهى تقوم بعمل أشياء دون أن تدرى " .

نظرت إليه ساندرا بإمعان : " يا للبشاعة ! " .

" وهناك شخصيتان بديلتان ، وقد سمعتهما " .

" سمعتهما ؟ " .

" نعم ، وهما حقيقيتان ، فهى لا تدّعى " .

" وهل تعرف أنها ... " .

" مطلقاً " .

" إذن هل هى بريئة ، أم مدينة ؟ " .

" من شأن المحكمة أن تقرر ذلك ، لن يقوم أبوها بالاتفاق مع جيس كويلر ، لذا سأقوم بتكليف محامٍ آخر " .

" ولكن جيس ممتاز ، فلماذا لن يتفق معه ؟ " .

تردد ديفيد : " إنه يريدنى أن أدافع عنها " .

" ولكنك أوضحت له عدم استطاعتك ، أليس كذلك ؟ " .

" بالطبع ! " .

" إذن ... ؟ " .

" لم يستمع لحديثى " .

" ماذا قال ؟ " .

أجاب ديفيد : " هذا ليس مهماً الآن " .

كررت عليه السؤال : " ماذا قال ؟ " .

أجاب ديفيد ببطء : " قال إنني وثقت به لدرجة أنني وضعت حياة أمي بين يديه ، وقام هو بإنقاذها ، والآن هو يثق بي لدرجة أنه وضع حياة ابنته بين يدى ، ويريدني أن أنقذها " .

تفرسته ساندرا وقالت : " وهل تعتقد أنه بإمكانك القيام بذلك ؟ " .

" لا أعرف ، ولكن كينكايد لا يريدني أن أقبل هذه القضية . وإذا قبلتها فربما أفقد الشراكة " .

" أوه " .

ثم سادت فترة من الصمت .

قال ديفيد : " لدىّ الآن خياران ، إما أن أرفض عرض الدكتور باترسون وأصبح شريكاً فى المؤسسة ، أو أدافع عن ابنته وأحصل على إجازة بدون مرتب ، ثم أنتظر ما سيحدث بعد ذلك " .

كانت ساندرا تستمع إليه بهدوء .

" هناك الكثير ممن هم أفضل منى للدفاع عن آشلى ، ولكن لسبب ما ، لا يريد أبوها أى محام آخر ، وهو مُصرٌ على ذلك ، ولا أعرف سبب عناده فى هذا الشأن ، فإذا قبلت القضية ولم أحصل على الشراكة ، فيجب أن ننسى أمر الانتقال إلى المنزل الجديد . يجب أن ننسى أمر الكثير من خططنا يا ساندرا " .

قالت ساندرا بهدوء : " أتذكر أنك قد أخبرتنى بأنه كان أكثر الأطباء انشغالاً فى العالم ، ولكنه - على الرغم من ذلك - استقطع من وقته ليساعدك بلا أى مقابل . لقد كان بطلاً فى عينيك يا ديفيد ، ولقد قلت إننا إن رزقنا الله بولد فإنك تريده أن يكبر ليصبح مثل ستيفن باترسون " .

أومأ ديفيد برأسه .

" ومتى ستتخذ قرارك ؟ " .

" سأقابل كينكايد أولاً فى الصباح الباكر " .

أمسكت ساندرا بيده وقالت : " أنت لست بحاجة لذلك ، لقد أنقذ الدكتور باترسون حياة أمك وأنت ستنقذ حياة ابنته " ، ثم نظرت حولها وابتسمت ، واستطردت قائلة : " على أية حال ، يمكننا أن ندهن شقتنا هذه بالأزرق والأبيض " .

كان جيس كويلر من أفضل المحامين الجنائيين فى البلد . كان رجلاً طويلاً ، صارماً ، بسيطاً ، غير متكلف ، مما يجعل المحلفين يشعرون بالألفة معه وكأنه واحد منهم ، فيساعدونه دائماً . وهذا هو أحد الأسباب التى تجعله لا يخسر قضاياه إلا فيما ندر ، ومن الأسباب الأخرى أيضاً أن له ذاكرة قوية ، وعقلاً متفتحاً لامعاً .

وبدلاً من الاستمتاع بإجازته الصيفية كان يقوم بتدريس القانون ، ومنذ سنوات كان ديفيد أحد طلابه ، وعندما تخرج ديفيد ، دعاه كويلر للانضمام إلى مؤسسته المتخصصة فى القضايا الجنائية ، وبعدها بعامين ، أصبح ديفيد شريكاً ، وكان يحب ممارسة القانون الجنائى ، وكان بارعاً فى القضايا الجنائية . وأصبح على ثقة من أنه على الأقل عشرة بالمائة من قضاياه كانت من أجل المصلحة العامة ، وبعد أن أصبح شريكاً بثلاثة أعوام ، استقال ديفيد على نحو مفاجئ ، ثم ذهب للعمل فى مؤسسة كينكايد ، وتيرنر ، وروز آند ريبلى ، حتى يمارس العمل فى قانون الشركات .

وطوال هذه السنوات ، ظل ديفيد وكويلر صديقين حميمين ، وكانا يتناولان العشاء معًا بصحبة زوجتيهما مرة كل أسبوع .

كان جيمس كويلر دائماً ما يواعد الشقراوات الحسناوات ، ثم قابل إميلى ، ووقع فى غرامها . وكانت إميلى بعيدة كل البعد عن النساء اللاتي واعدهن كويلر ، فقد كانت قصيرة وبدينة ولكنها كانت عطوفاً ، وحنوناً وكانت طباعها مختلفة ، ولكن زواجهما كان ناجحاً لأن كليهما كان يحب الآخر بشدة .

فى كل يوم ثلاثاء ، كان ديفيد وزوجته ، وكويلر وزوجته يتناولون العشاء معاً ، ثم يقضون وقتاً ممتعاً ولطيفاً .

عندما وصل ديفيد وساندرا إلى منزل كويلر الرائع فى شارع هايس ، قابلهما جيمس عند الباب ، وقال : " تفضلا ، فنحن فى انتظاركما ، إنه يوم رائع بالتأكيد بالنسبة لكما ، أليس كذلك ؟ المنزل الجديد ، والشراكة . أم أنها الشراكة والمنزل الجديد ؟ " .

نظر ديفيد وساندرا كل إلى الآخر .

" إميلى فى المطبخ ، تعد العشاء من أجل الاحتفال " ، ثم نظر إلى وجهيهما : " أعتقد أننا فى عشاء احتفال . هل هناك شيء ما لا أعرفه ؟ " .

قال ديفيد : " لا يا جيمس ، إن ما فى الأمر هو أننا ... نواجه مشكلة بسيطة " .

قال موجهاً حديثه لساندرا : " لا عليكما ، هل ترغبان فى تناول بعض من القهوة ؟ " .

قالت ساندرا : " أشكرك ، فلا أريد أن يعتاد طفلى على المنبهات " .

قال كويلر بحرارة : " إنه طفل محظوظ لكونكما أبويه " .

ثم وجه حديثه إلى ديفيد قائلاً : " هل تريد أن تتناول شيئاً ؟ " .

قال ديفيد : " لا ، شكراً " .

اتجهت ساندرا نحو المطبخ قائلة : " سأذهب لأساعد إميلى " .

" تفضل بالجلوس يا ديفيد ، يبدو عليك الاستياء " .

قال ديفيد بنبرة اعتراف : " إننى فى ورطة " .

" دعنى أخمن ، هل هى الشراكة ، أم المنزل الجديد ؟ " .

" كلاهما " .

" كلاهما ؟ " .

" نعم . هل سمعت عن قضية ابنة الدكتور باترسون ؟ " .

" أشلى باترسون ؟ بالتأكيد . ما علاقة هذا بـ ... ؟ " توقف ثم واصل : " انتظر لحظة ، لقد أخبرتنى عن ستيفن باترسون ، عندما كنت فى كلية الحقوق . إنه من أنقذ حياة أمك " .

" نعم ، وهو يريد منى الآن الدفاع عن ابنته ، وقد حاولت أن أرشحك لتتولى هذه القضية ، ولكنه لا يريد أى إنسان غيرى ليدافع عن ابنته " .

تجهم كويلر وقال : " هل يعرف أنك لم تعد تتولى القضايا الجنائية ؟ " .

" نعم ، وهذا هو الغريب فى الأمر . هناك الكثير من المحامين الذين يمكنهم القيام بذلك أفضل منى " .

" هل يعرف أنك كنت متخصصاً فى القضايا الجنائية ؟ " .

" نعم " .

قال كويلر بحرص : " وما شعوره حيال ابنته ؟ " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : يا له من سؤال غريب : " إنها تعنى له العالم بأكمله " .

" حسناً ، نفترض أنك قبلت القضية ، فالضرر هو ... " .

" الضرر أن كينكايد لا يريدنى أن أتولى هذه القضية ، وإن فعلت فإننى أشعر بأننى لن أحصل على الشراكة فى المؤسسة " .

" فهمت ، ومن هنا لن تستطيع ابتياع المنزل الجديد " .

قال ديفيد بغضب : " وهذا يتعلق بمستقبلى كله . فمن الغباء أن أفعل ذلك ، يا جيس ، نعم من الغباء " .

" وما الذى يغضبك فى الأمر ؟ " .

أخذ ديفيد نفساً عميقاً ، ثم قال : " لأننى سأقبل القضية " .

ابتسم جيس : " لماذا لم أندهش لذلك ؟ " .

مسح ديفيد جبهته بيده : " إن رفضت الأمر ، وخذلت باترسون ، ثم أدينت ابنته ، وحكم عليها بالإعدام ، ولم أقدم له المساعدة ، لن أسامح نفسى أبداً " .

" أفهم ذلك . ولكن ما رأى ساندرا فى الأمر ؟ " .

ابتسم ديفيد : " أنت تعرف ساندرا " .

" أوه ، بالطبع تريدك أن تتولى هذه القضية ؟ " .

" نعم " .

انحنى كويلر للأمام : " سأفعل كل ما فى استطاعتى لمساعدتك يا ديفيد " .

تنهد ديفيد : " لا ، للأسف . فمن شروط المساومة التى عرضها علىّ باترسون أن أتعامل مع القضية وحدى " .

تجهم كويلر وقال : " هذا غير منطقى على الإطلاق ! " .

" نعم ، أعرف ذلك ، وحاولت أن أوضح الأمر للدكتور باترسون ولكنه لم ينصت لى على الإطلاق " .

"هل أخبرت كينكايد بذلك ؟ " .

" سأقابله فى الصباح " .

" وفى اعتقادك ماذا سيكون رأيه ؟ " .

" سينصحنى بألا أقبل القضية ، وإذا أصررت ، فسيطلب منى الحصول على إجازة بدون مرتب " .

" فلنتناول الغداء معاً غداً ، فى مطعم رابيكون ، فى تمام الواحدة " .

أومأ ديفيد برأسه : " حسناً " .

أتت إميلى من المطبخ وهى تجفف يديها فى منشفة مطبخ فنهض كل من ديفيد وكويلر .

قالت إميلى بحرارة : " مرحباً ، ديفيد " ، فصافحها ديفيد بحرارة .

" أعتقد أنكما تشعران بالجوع الآن ، فنحن على وشك الانتهاء من إعداد العشاء ، وساندرا معى فى المطبخ تساعدنى . إنها رفيقة غالية " .

أخذت صينية ، وعادت مسرعة نحو المطبخ .

التفت كويلر إلى ديفيد : " إن أمرك يهمنى يا ديفيد وأنصحك بأن تتجاهل الأمر برمته " .

ظل ديفيد صامتاً .

" كان هذا منذ وقت بعيد يا ديفيد ، وما حدث لم يكن خطأك أنت ، فقد كان من الممكن أن يحدث لأى إنسان آخر " .

نظر ديفيد إلى كويلر : " لقد حدث لي يا كويلر ، إنني قتلتها " .

* * *

كان الموقف شبيهاً بذلك تماماً ، عاد ديفيد بذاكرته إلى الوراء ، إلى مكان وزمان آخرين .

لقد كانت قضية رأى عام ، وقال ديفيد وقتها لجيس كويلر :

" سأتعامل مع هذه القضية " .

كانت هيلين وودمان شابة جميلة متهمة بقتل زوجة أبيها الثرية ، وقد كان هناك شجار دائم بين الاثنتين ، وكانت كل الأدلة والبراهين تدين هيلين ، بعد أن ذهب ديفيد إلى السجن ، وتقابل معها ، اقتنع تماماً ببراءتها ، ومع كل لقاء بدأ يهتم أكثر بالقضية وتنمو مشاعره تجاه هيلين ، وفي النهاية خالف ديفيد القاعدة الرئيسة التي تقول : " لا تقع أبداً في حب موكلك " .

لقد تعامل ديفيد مع القضية بمهارة ، وقام بدحض وتفنيد الأدلة التى قدمها وكيل النيابة ، واستطاع أن يجعل هيئة المحلفين يؤيدونه ، ويقتنعون بموقف المتهمة . وعلى غير المتوقع حدثت الكارثة ، فقد كان المبرر الذى أنقذ هيلين من الجريمة هو كونها فى المسرح مع صديقة لها فى نفس وقت ارتكاب الجريمة ، وعندما تم استجواب صديقتها ، اعترفت بأن هذه الحجة المساقة ليست حقيقية ، بل زائفة ، كما حضر شاهد ليقول إنه رأى هيلين فى منزل زوجة أبيها فى وقت ارتكاب الجريمة ، ومن هنا ضعف موقف هيلين وفقدت مصداقيتها تماماً ، وقد اتهمها المحلفون بعدها بالقتل من الدرجة الأولى ، وحكم عليها القاضى بالإعدام ، وهنا انهار ديفيد تماماً .

سألها ديفيد : " كيف فعلت ذلك يا هيلين ؟ لماذا كذبت ولم تصدقيني القول ؟ " .

" إنني لم أقتل زوجة أبى ، يا ديفيد . فعندما ذهبت إلى منزلها ، وجدتها ملقاة على الأرض . ميتة . وكنت أخشى ألا تصدقني ، وبناءً عليه ... اخترعت قصة وجودى فى المسرح مع صديقتى " .

ظل يستمع إليها وعلى وجهه تعبيرات التشاؤم والإحباط .

" إنني أقول لك الحقيقة ، يا ديفيد " .

" حقاً ؟ " واستدار وغادرها .

وفى تلك الليلة ، انتحرت هيلين .

وبعدها بأسبوع تم القبض على المتهم الحقيقى واعترف بارتكابه جريمة قتل زوجة أبى هيلين .

فى اليوم التالى ، استقال ديفيد من مؤسسة جيس كويلر ، وحاول كويلر أن ينصحه بالعدول عن قراره .

" أنت لست مسئولاً عن ذلك يا ديفيد ، فقد كذبت عليك ، و ... " .

" تلك هى المشكلة ، لقد تخليت عنها ، ولم أقم بمهمتى على أكمل وجه ، إننى لم أتحر الدقة من قولها ، وأردت فقط أن أصدقها وبذلك تسببت فيما حدث لها " .

وبعد أسبوعين ، عمل ديفيد فى مؤسسة كينكايد ، وتيرنر ، وروز آند ريبلى .

" لن أكون أبداً مسئولاً عن حياة أى شخص آخر " .

لقد أقسم ديفيد على ذلك .

وهو الآن سيدافع عن آشلى باترسون !

قال كينكايد : " حسنا ؟ هل أخبرت الدكتور باترسون بأنك قمت بترشيح محام آخر له ؟ " .

" لا . لقد اتخذت قرارى بالدفاع عن ابنة الدكتور باترسون أمام المحكمة " ، فتلاشت ابتسامة كينكايد ، وقال : " هل حقا ستدافع عن هذه المرأة ، يا ديفيد ؟ إنها قاتلة محترفة ، ومن سيدافع عنها سيجنى من ورائها سوء السمعة " .

" إننى لن أفعل ذلك رغبة منى يا جوزيف ، بل إننى مضطر . إننى مدين للدكتور باترسون بمعروف كبير ، وهذه هى الطريقة الوحيدة التى يمكننى أن أرد له بها الدين " .

جلس كينكايد ، صامتاً ، وعندما تحدث أخيراً قال : " إن كنت قد قررت فعلاً أن تمضى قدماً فى ذلك ، فإننى أرى أنه من المناسب أن تحصل على إجازة بدون مرتب " .

وداعاً أيتها الشراكة .

" وبعد انتهاء القضية ، ستعود إلينا وستكون الشراكة فى انتظارك " .

أومأ ديفيد برأسه : " طبعاً " .

" سيتولى كوليس القيام بأعمالك ، فإننى متأكد أنك تريد أن تبدأ التركيز فى القضية " .

بعد ثلاثين دقيقة ، اجتمع شركاء كينكايد ، وتيرنر ، وروز ، آند ريبلى .

قال هنرى تيرنر معترضاً : " لا يمكننا أن نقبل تورط مؤسستنا فى قضية مثل هذه " .

الفصل الرابع عشر

فى العاشرة من صباح اليوم التالى ، اتجه ديفيد نحو مكتب جوزيف كينكايد ، وكان كينكايد يقوم بتوقيع بعض المستندات ، فرفع نظره إلى ديفيد عندما دخل .

" آه ، تفضل بالجلوس يا ديفيد ، دقائق وسأكون معك " .

جلس ديفيد ، وانتظر .

عندما انتهى كينكايد ، ابتسم وقال : " أعتقد أن لديك أخباراً جديدة " .

تساءل ديفيد : أخباراً جديدة من أجل من ؟ ولكن كينكايد واصل حديثه ، قائلاً : " أمامك مستقبل باهر جداً هنا يا ديفيد ، وإننى على ثقة من أنك لا تريد أن تفسد هذا بإقدامك على أى تصرف خاطئ ، فالشركة ستمنحك الكثير " .

ظل ديفيد صامتاً ، محاولاً أن يعثر على الكلمات المناسبة .

رد عليه جوزيف كينكايد مسرعاً : " إننا لسنا متورطين يا هنرى ، فلقد منحنا هذا المحامى إجازة " .

تحدث ألبرت روز : " أعتقد أنه يجب فصله من الشركة " .

" ليس الآن ، وإلا سيكون ذلك سوء تقدير ، فالدكتور باترسون يمكنه أن يكون عميلاً مهماً لشركتنا فهو يعرف الجميع ، وسيكون ممتناً لنا لأننا سمحنا لديفيد بالدفاع عن ابنته بصرف النظر عما سيتم فى القضية ، فإننا الرابحون فى جميع الأحوال ، فإذا نجحت القضية ، فإن الدكتور سيصبح عميلنا ، ونمنح لديفيد الشراكة التى يتطلع إليها ، أما إذا فشلت القضية ، فسوف نفصل ديفيد ، ونحتفظ بعلاقتنا بالدكتور ، وأعتقد أننا لن نخسر شيئاً على أية حال " .

سادت لحظة من الصمت ، ثم ابتسم جون ريبلى قائلاً : " هذا رأى سديد يا جوزيف " .

عندما غادر ديفيد مكتب كينكايد ، ذهب إلى الدكتور باترسون ، فقد كان قد اتصل به ، وكان الدكتور فى انتظاره .

" حسناً ديفيد ، ما قرارك ؟ " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : إجابتى الآن سوف تغير حياتى ، ولكن لن تغيرها للأفضل . " سوف أقوم بالدفاع عن ابنتك يا دكتور باترسون " .

تنفس الدكتور باترسون الصعداء ، وقال : " كنت أعرف ذلك ، لقد راهنت بحياتى على ذلك " ، ثم تردد لحظة وقال : " بل أراهن على حياة ابنتى " .

" لقد منحتنى المؤسسة إجازة بدون مرتب ، وسوف أحصل على الدعم من أفضل المحامين فى الـ ... " .

رفع دكتور باترسون يده قائلاً : " ديفيد ، أعتقد أننى تحدثت إليك بوضوح بخصوص هذا الأمر من قبل ، فإننى لا أريد أى شخص آخر يتولى هذه القضية غيرك " .

قال ديفيد : " أتفهم ذلك ، ولكن جيس كويلر ... " .

نهض الدكتور باترسون : " لا أريد أن أسمع أى كلمة أخرى عن جيس كويلر أو أى شخص آخر . إننى أعرف كثيراً من المحامين ، يا ديفيد ، ولكنهم جميعاً يهتمون بالمال ، والشهرة فقط ، بينما قضيتى لا علاقة لها بالمال أو بالشهرة ، إنها تتعلق فقط بآشلى " .

همّ ديفيد بالحديث ، ولكنه توقف ، فليس هناك شيء يمكن قوله ، فالدكتور باترسون مُصرٌ للغاية ، وبتعصب شديد . فحدث نفسه قائلاً : يمكننى الحصول على المساعدة التى أحتاج إليها ، فلماذا لا يدعنى أفعل ذلك ؟

" هل اتضح لك الأمر ؟ " .

أومأ ديفيد : " نعم " .

" وسأتكفل بالطبع بأتعابك ، ونفقاتك " .

" لا ، إننى سأدافع عن ابنتك دون مقابل " .

" بدون مقابل ؟ " .

ابتسم ديفيد : " نعم ، بدون مقابل ، فهذا رد لجميلك ، هل تستطيع القيادة ؟ " .

" ديفيد ، إن كنت فى إجازة ، فستكون بحاجة إلى المال . إننى مُصرٌ على ذلك " .

قال ديفيد بهدوء : " إنهما ليسا شخصين يا آشلى ، إنهما فى عقلك أنت ، جزء منك ، وعن طريق العلاج المناسب ستكونين فى أفضل حال " .

عندما عاد ديفيد إلى منزله هذا المساء ، حيته ساندرا بحرارة ، وقالت له : " هل أخبرتك من قبل بمدى فخرى واعتزازى بك ؟ " .

سألها ديفيد : " هل لأننى أجبرت على ترك وظيفتى ؟ " .

" ولهذا أيضاً . بالمناسبة ، لقد اتصل هاتفياً السيد كراوثر ، سمسار العقارات ، وقال إن المستندات جاهزة للتوقيع ، وإنه يريد المبلغ المبدئى والذى يقدر بستين ألف دولار ، للأسف سنضطر لإخباره بأننا لن نستطيع دفع ... " .

" صبراً ، لدى الكثير من المال فى حساب التقاعد ، كما أن الدكتور باترسون سيمنحنا بعض النفقات ، أعتقد أنه يمكننا حينئذ تدبر الأمر " .

" إن هذا لا يعنى الكثير بالنسبة لى يا ديفيد ، كما أننى لا أريد أن أفسد حياة ابنى بالسكن منذ صغره فى منزل فخم كهذا " .

" حسناً ، لدى بعض الأخبار الجيدة ، فسوف يسمح لى جيس بـ ... " .

" علمت بالأمر ، لقد تحدثت إلى إميلى ، وسوف تنتقل إلى مكتب جيس معاً " .

قال ديفيد : " معاً ؟ " .

" أنسيت أنك متزوج محامية ؟ بالتأكيد يا حبيبى سأكون لك عوناً كبيراً ، وسأعمل معك حتى ... " ، ثم وضعت يدها على بطنها : " يحضر ولى العهد جيفرى ، وعندئذ سترى " .

" مدام سينجر ، هل لديك أية فكرة عن مدى حبى لك ؟ " .

" لا ، ولكن لديك متسع من الوقت ، فلن أنتهى من إعداد العشاء قبل ساعة من الآن " .

قال ديفيد : " لا تكفى ساعة واحدة " .

اقتربت منه وهمست إليه : " لماذا لا تقوم بتغيير ملابسك ، أيها النمر ؟ " .

" ماذا ؟ " . ابتعد عنها ونظر إليها ، وقال بقلق : " وماذا بخصوص ... ماذا قال الدكتور بيلى ؟ " .

قال الدكتور " إنك إذا لم تغير ملابسك مسرعاً ، فينبغى على مهاجمتك " .

ابتسم ديفيد : " تكفينى كلماته " .

فى الصباح التالى ، انتقل ديفيد للمكتب الذى خصصه له جيس كويلر فى مؤسسته . لقد كان مكتباً تتوافر فيه كل سبل الراحة ، وكان فى بناية مكونة من خمسة مكاتب .

قال جيس موضحاً لديفيد : " لقد توسعنا قليلاً منذ أن كنت معنا يا ديفيد . إننى على ثقة من أنك ستجد كل ما تحتاج إليه ، فمكتبة القانون فى الحجرة المجاورة ، وستجد أجهزة الفاكس ، وأجهزة الكمبيوتر ، وكل شىء سوف تحتاج إليه ، إذا اكتشفت أنك بحاجة لأى شىء آخر ، رجاء اطلبه منى " .

قال ديفيد : " شكراً جزيلاً ، إننى ... إننى لا أستطيع أن أعبر عن مدى تقديرى لكل هذا يا جيمس " .

ابتسم جيمس : " ستدفع لى مقابل ذلك يا ديفيد ، أتذكر ؟ " .

وصلت ساندرا بعد دقائق قليلة ، وقالت : " إننى على أهبة الاستعداد ، أين يمكننا أن نبدأ ؟ " .

" سنبدأ بالاطلاع على كل القضايا التى ارتبطت بعرض اضطراب تعدد الشخصيات ، وبالتأكيد سنجد منها الكثير على شبكة الإنترنت . سنحاول بداية من موقع القانون الجنائى لجامعة كاليفورنيا ، وموقع جلسات المحكمة التليفزيونية ، وبعض المواقع الأخرى المتعلقة بالقانون الجنائى ، وسنجمع كل المعلومات المفيدة والتى يمكننا الحصول عليها من شركة ويستلو وليكسيس نيكسيس . وبعد ذلك ، سنتصل بالأطباء المتخصصين فى اضطراب تعدد الشخصيات ، حيث يمكن لهم أن يقدموا لنا أمثلة حقيقية لمثل هذه الحالة ، كما سنحتاج لمقابلتهم ونحدد ما إذا كان من الممكن الاستفادة بشهادتهم فى المحكمة ، فذلك من شأنه أن يدعم موقف القضية . يجب علىّ كذلك إنعاش ذاكرتى واسترجاع جميع الإجراءات الخاصة بالمحاكمة الجنائية ، والاستعداد لعملية اختيار المحلفين . علينا كذلك أن نحصل على قائمة بأسماء الشهود من مكتب الادعاء وكذلك إفادات الشهود ، أريد جمع المعلومات الخاصة بذلك " .

" وعلينا أن نرسل له كذلك ما لدينا . هل ستجعل آشلى تقف أمام القضاة فى منصة الشهادة ؟ " .

هز ديفيد رأسه : " إنها متعبة للغاية ، ولن يرحمها وكيل النيابة " ، ثم رفع نظره لساندرا ، وقال : " أعتقد أن هذه القضية معقدة لدرجة يصعب معها نجاحها " .

ابتسمت ساندرا : " ولكنك ستكسبها ، إننى واثقة فى ذلك " .

قام ديفيد بإجراء مكالمة هاتفية إلى هارفى أدل ، وهو المحاسب الخاص لشركة كينكايد ، وتيرنر ، وروز ، آند ريبلى .

" هارفى ، إننى ديفيد سينجر " .

" مرحباً ، ديفيد . سمعت أنك فى إجازة قصيرة " .

" نعم " .

" يا لها من قضية مثيرة ، تلك التى توليت الدفاع عنها ، فقد ملأت أحداثها جميع الجرائد . كيف يمكننى مساعدتك ؟ " .

قال ديفيد : " لدىّ ستون ألف دولار فى حساب التقاعد ، إننى لن أنهى خدمتى مبكراً هكذا ، ولكننى وساندرا قد اشترينا منزلاً جديداً ، وإننى بحاجة لسداد دفعة مقدمة " .

" منزلاً جديداً ! حسناً تهنئتى لكما " .

" أشكرك . متى يمكننى الحصول على المال ؟ " .

تردد هارفى قليلاً قبل أن يقول : " هل يمكننى معاودة الاتصال بك ؟ " .

" بالتأكيد " ، وأعطاه ديفيد رقم هاتفه .

" سأعاود الاتصال بك فوراً " .

" أشكرك " .

وضع هارفى أدل سماعة الهاتف ، ثم التقطها مرة أخرى .

" أخبر السيد كينكايد أننى أود رؤيته حالاً " .

بعد ثلاثين دقيقة ، كان هارفي في مكتب كينكايد .

" ما الخطب يا هارفي ؟ " .

" تحدث إلى ديفيد سينجر هاتفياً ، يا سيد كينكايد . لقد اشترى مؤخراً منزلاً جديداً ، وهو بحاجة للمبلغ الموجود في حساب التقاعد الخاص به ، حتى يسدد الدفعة المقدمة للمنزل . أعتقد أننا لسنا ملزمين بدفع هذا المبلغ الآن ، فهو في إجازة ، وهو ليس ... " .

" إنني أتساءل إذا ما كان يعرف كم يتكلف صيانة هذا المنزل ؟ " .

" محتمل أنه لا يعرف ، فقط سأخبره بأننا لا نستطيع ... " .

" أعطه المال الذي يحتاج إليه " .

نظر هارفي في دهشة : " ولكن ليس من الواجب علينا أ... " .

انحنى كينكايد للأمام في كرسيه وقال : " سنجعله يورط نفسه يا هارفي ، فبمجرد أن يسدد الدفعة المقدمة للمنزل هذا ... تكون قد ملكناه " .

اتصل هارفي هاتفياً بديفيد : " لديّ أخبار سارة لك يا ديفيد . إن المبلغ الخاص بك في حساب التقاعد ستحصل عليه مبكراً إلى حد ما ، ولكن لا مشكلة في ذلك على الإطلاق ، فقد أخبرني السيد كينكايد أن نعطي لك كل ما تطلبه " .

* * *

" السيد كراوثر ، إنني ديفيد سينجر " .

" انتظرت اتصالك كثيراً يا سيد سينجر " .

" الدفعة المقدمة الخاصة بالمنزل ستكون جاهزة ، وستحصل عليها غداً " .

" رائع . وكما أخبرتك ، هناك بعض العملاء الآخرين الذين يرغبون في الحصول على هذا المنزل ، ولكنني أشعر بأنك وزوجتك الأصلح له ، ستكونان سعداء للغاية في هذا المنزل " .

فقال ديفيد لنفسه : " كل ما يتطلبه شراء المنزل هو حدوث بعض المعجزات " .

تمت عملية استدعاء آشلي باترسون إلى المحكمة العليا في مقاطعة سانتا كلارا في شارع نورث فيرست في سان خوسيه . استمر النزاع القانوني لأسابيع فلقد كانت القضية معقدة ، حيث وقعت جرائم القتل في بلدين مختلفين ، وكذلك ولايتين مختلفتين ، ولقد عقد اجتماع في سان فرانسيسكو ، حضره الضابط جاي فونتاين من الشرطة والمأمور داولينج من مقاطعة سانتا كلارا ، والمحقق إيلجان من مدينة بيدفورد ، والنقيب رادفورد من إدارة شرطة سان فرانسيسكو ، وروجر تولاند رئيس المباحث في سان خوسيه .

قال فونتاين : " نريد أن تكون المحاكمة في كيبيك حيث لدينا الدليل الدامغ لإدانتها ، وهناك لا يمكن أبداً أن تفلت من الحكم الرادع " .

قال إيلجان : " وكذلك نحن ، يا سيد فونتاين ، فإن جيم كليري هو الضحية الأولى لها ، وأرى أنه يجب أن تتم إجراءات محاكمتها عن هذه الجريمة أولاً " .

قال النقيب رادفورد من شرطة سان فرانسيسكو : " أيها السادة ، ليس هناك من شك أنه بإمكاننا جميعاً إثبات إدانتها ، ولكن ثلاثاً من هذه الجرائم قد وقعت فى كاليفورنيا ، ويجب أن تخضع للمحاكمة هناك ، وهذا يجعل موقفنا أقوى كثيراً " .

قال المأمور داولينج : " إننى أتفق مع هذا الرأى ، وجريمتان من هذه الجرائم قد وقعتا فى مقاطعة سانتا كلارا ، لذا فيجب أن تتم الإجراءات القضائية هناك " .

قضى الجميع يتحدثون لساعتين بعد ذلك عن مواقفهم ومدى قوتها وصحتها ، وفى النهاية قرروا أن تكون محاكمة آشلى فيما يخص مقتل كل من دنيس تيبل ، وريتشارد ميلتون ، والنائب سام بليك ، فى محكمة العدل فى سان خوسيه ، أما الجريمتان اللتان تم ارتكابهما فى بيدفورد وكيبيك يتم إرجاؤهما .

فى يوم الاستجواب ، وقف ديفيد بجوار آشلى .

سأله القاضى فوق المنصة : " ما دفاعكما ؟ " .

" إنها ليست مذنبة ، ليست مذنبة ، بسبب مرض عقلى " .

أومأ القاضى : " حسناً " .

" سيدى القاضى ، إننا فى هذه الجلسة نطلب الخروج المؤقت بكفالة " .

وهنا نهض النائب العام وقال : " إننا نعترض بشدة ، إن الآنسة آشلى متهمة بارتكاب ثلاث جرائم قتل شنيعة ، وتنتظر الحكم عليها بالإعدام . فإذا ما أتيحت لها الفرصة ، فإنها سوف تهرب إلى خارج البلاد " .

قال ديفيد : " هذا ليس صحيحاً ، فليس هناك ... " .

قاطعه القاضى : " لقد راجعت ملف القضية ، وشهادة القسم الخاصة بالنيابة ، ولقد تم رفض خروجها بكفالة . لقد تم تكليف القاضية وليامز بهذ القضية ، وسوف تظل المتهمة فى الحجز فى سجن مقاطعة سانتا كلارا حتى تنتهى المحاكمة " .

تنهد ديفيد : " حسناً ، سيدى القاضى " ، ثم التفت إلى آشلي : " لا تقلقى ، ستصير الأمور على أفضل حال ، وتذكرى دائماً ... أنت لست مذنبة " .

عندما عاد ديفيد إلى المكتب ، قالت ساندرا : " هل قرأت العناوين الرئيسية للأخبار ؟ أطلقت الصحف على آشلى اسم " السفاحة " ، كما تذاع القصة كاملة على شاشة التلفاز " .

قال ديفيد : " كنا نتوقع أن الأمور تسير على نحو أسوأ من ذلك ، فتلك فقط هى البداية . هيا نواصل العمل " .

وكانت المحاكمة ستُجرى بعد ثمانية أسابيع .

كانت الأسابيع الثمانية التالية ، مليئة بالنشاط المكثف .

فقد مارس ديفيد وزوجته عملهما طوال النهار وحتى أوقات متأخرة من الليل ، عاكفين على فحص المخططات وملفات القضايا والمتهمين المصابين باضطراب تعدد الشخصيات ، وكان بالفعل هناك العديد من القضايا الشبيهة بذلك ، وخضع العديد من المتهمين للمحاكمة لارتكابهم جرائم القتل والاغتصاب ، والسرقة ، وتجارة المخدرات ، وإحراق المبانى عمداً ... إلخ . وفى هذا الصدد أدين البعض ، والبعض حصل على براءته .

قال ديفيد لساندرا : " سوف نجعل آشلي تحصل على حكم بالبراءة " .

جمعت ساندرا أسماء الشهود المتوقع الاستفادة بهم في القضية ، واتصلت بهم هاتفياً .

" الدكتور تاكاموتو ، إنني أعمل لدى الأستاذ ديفيد سينجر ، وأعرف أنك كنت شاهداً في القضية التي بين أورجان وبوهنان . السيد ديفيد هو المتولي قضية آشلي ... هل تعرف ذلك ؟ إننا نرغب منك المجيء إلى سان خوسيه والشهادة لصالح آشلي ... " .

" الدكتور بوث ، إنني أتصل بك من مكتب الأستاذ ديفيد سينجر . إنه يدافع عن آشلي باترسون ، ولقد كنت شاهداً في قضية ديكرسون . إننا نتطلع إلى شهادتك المتخصصة لصالح الآنسة باترسون . نحن بحاجة إلى خبرتك ... " .

" الدكتور جيمسون ، إنني ساندرا سينجر ، إننا نريد منك أن تأتي إلى ... " .

وهكذا واصلت ساندرا مهامها ، منذ الصباح الباكر ، حتى منتصف الليل . وأخيراً ، اكتملت قائمة بالعديد من الشهود . نظر ديفيد إلى القائمة ، وقال : " إن ذلك رائع جداً ، أطباء ، وعميد ... في كلية الحقوق " .

ثم رفع نظره نحو ساندرا وابتسم : " أعتقد أننا نتبع الطريقة السليمة " .

بين الحين والآخر ، كان جيس كويلر يتردد على مكتب ديفيد الذي أعاره له : " كيف تسير الأمور ؟ هل يمكنني مساعدتكما ؟ " .

جال كويلر بنظره في المكتب وقال : " هل يتوافر لديك كل ما تحتاج إليه ؟ " .

ابتسم ديفيد : " كل شيء ، بالإضافة إلى أقرب أصدقائي " .

في صباح يوم الاثنين ، تلقى ديفيد مظروفاً من مكتب النيابة ، به كل ما توصلت إليه النيابة ، وعندما قرأ ديفيد هذه المادة ، سيطر عليه الشعور بالإحباط .

نظرت إليه ساندرا في قلق وقالت : " ما هذا ؟ " .

" انظري إلى هذا ، لقد استدعى وكيل النيابة أطباء متخصصين ذوي خبرة وثقل للشهادة ضد مرض اضطراب تعدد الشخصيات " .

سألته ساندرا : " كيف يمكنك أن تتعامل مع ذلك ؟ " .

" يجب أن نعترف بوجود آشلي في مسرح الجرائم وقت ارتكابها ، ولكن الأنا الأعلى هي من ارتكبت هذه الجرائم بالفعل " . هل يمكنني إقناع هيئة المحلفين والمستشارين بذلك ؟

* * *

قبل بداية المحاكمة بخمسة أيام ، تلقى ديفيد مكالمة هاتفية تفيد بأن القاضية وليامز ترغب في مقابلته .

ذهب ديفيد إلى مكتب جيس كويلر : " جيس ، ما نصيحتك لي بخصوص القاضية وليامز ؟ " .

رجع جيس بظهره إلى الوراء في كرسيه ، وشبّك أصابع يديه خلف رأسه ، وقال : " تيسا ويليامز ... هل كنت عضواً في فريق كشافة من قبل ، يا ديفيد ؟ " .

" نعم ... " .

" هل تتذكر شعار فريق الكشافة ... " كن دائماً مستعداً " ؟ " .

" بالتأكيد " .

" عندما تذهب إلى تيسا ويليامز كن على أهبة الاستعداد . إنها قاضية لامعة ، ودائماً ما تسلك الطرق الوعرة . كانت أفراد أسرتها يعملون مزارعين عند وادي المسيسبي ، وقد وصلت إلى الجامعة من خلال منحة دراسية ، وكان سكان قريتها فخورين بها ، وجمعوا النقود لكي تلتحق بكلية القانون . لقد رفضت مركزاً مرموقاً في واشنطن لأنها لم ترغب في مغادرة بلدتها لحبها الشديد لها . لقد كانت هذه المرأة أسطورة " .

قال ديفيد : " رائع " .

" هل ستكون المحاكمة في مقاطعة سانتا كلارا ؟ " .

" نعم " .

" إذن سيكون صديقي القديم ميكى بريننان هو النائب المكلف بهذه القضية " .

" أخبرني عنه " .

" إنه رجل أيرلندي صارم ، قاس ، متحجر المشاعر ، وهو سليل عائلة مرموقة . كان أبوه يدير أعمالاً هائلة في مجال النشر ، وكانت أمه طبيبة ، وأخته أستاذة جامعية ، وكان بريننان نجماً في رياضة كرة القدم في أيام الجامعة ، كما كان متفوقاً على أقرانه في كلية الحقوق " ، ثم انحنى للأمام وواصل قائلاً : " إنه ممتاز

يا ديفيد ، فاحذر . إنه دائماً ما يجرد الشهود من أسلحتهم ويرغب دائماً في التشكيك في شهادتهم ... لماذا تريد القاضية ويليامز أن تراك ؟ " .

" ليس لديّ فكرة . لقد أخبرتني الكاتبة الهاتفية أنها فقط تريد مناقشتي بخصوص قضية باترسون " .

قطب جيس كوبلر جبينه ثم قال : " ليس من المعتاد أن يحدث مثل هذا الأمر . متى ستقابلها ؟ " .

" صباح الأربعاء " .

" كن حذراً للغاية في كل لحظة " .

" أشكرك يا جيس ، سأعمل بنصيحتك " .

كانت المحكمة العليا في مقاطعة سانتا كلارا مبنى أبيض مكوناً من أربعة طوابق في شارع نورث فيرست . وعند مدخل البناية مباشرة كان يوجد مكتب أحد الحراس الذي كان يرتدي زياً رسمياً ، وكذلك كانت توجد بوابة كشف المعادن والأسلحة ، وسور معدني من القضبان ومصعد ، ويحتوي المبنى على سبع قاعات للمرافعات والمحاكمات ، وكل قاعة لها قاض وموظفون .

في العاشرة صباح يوم الأربعاء ، كان ديفيد سينجر يتجه إلى مكتب القاضية تيسا ويليامز . كان معها في مكتبها ميكي بريننان . كان وكيل النيابة في الخمسينات من عمره ، قصيراً ، قوي البنية ، مرتدياً حذاء سميكاً قوياً . كانت تيسا ويليامز في أواخر الأربعينات من عمرها ، رشيقة ، جذابة ، أمريكية من أصل إفريقي ، ولها طباع أخلاقية صارمة ، حازمة .

" طاب صباحك يا سيد سينجر ، إننى القاضية ويليامز ، وهذا هو السيد بريتان " .

تصافح الرجلان .

" تفضل بالجلوس يا سيد سينجر . إننى أريد أن أتحدث معك بشأن قضية باترسون . لقد قدمت بياناً للمحكمة بعدم الإدانة ، والسبب مرض عقلى . أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، سيادة القاضية " .

قالت القاضية ويليامز : " لقد أحضرتكما لأنني أعتقد أنه بإمكاننا توفير الكثير من الوقت والنفقات . إننى دائما ما أعارض الاتفاق على الدعوى ، ولكن فى هذه القضية ، أعتقد أن ذلك سيكون مفيداً " .

كان ديفيد ينصت إليها وعلى وجهه علامات الحيرة .

التفتت القاضية إلى بريتان : " لقد قرأت البيان التمهيدى الذى قمت بتقديمه ، ولا أجد مبرراً لأن تخضع هذه القضية للمحاكمة . إننى أريد من الولاية أن تتنازل عن عقوبة الإعدام وتقبل دعوى الإدانة ، وتطبق عقوبة السجن مدى الحياة " .

قال ديفيد : " انتظرى لحظة ، لا يمكن الجدال فى هذا الأمر " .

التفت الاثنان ينظران إليه .

" سيد ديفيد " .

" إن موكلتى ليست مذنبة ، إنها خضعت لجهاز كشف الكذب ، والذى أثبت ... " .

" إن ذلك لا يثبت شيئاً ، وكما تعرف جيداً إن مثل هذه الأمور غير مسموح بها فى المحكمة ، وبسبب كل ما نالته هذه القضية من شهرة ، فسوف تكون المحاكمة طويلة وبلا جدوى " .

" إننى متأكد من ... " .

" إننى أمارس القانون منذ وقت طويل يا سيد سينجر ، واطلعت على الآلاف من الدعاوى القضائية ، ودعاوى الدفاع عن النفس ، والتى تعد ادعاءات مقبولة ، أو دعاوى القتل بسبب الجنون المؤقت وهذه دعوى مقبولة أيضاً ... ولكنى سأخبرك بما لا أومن به أن يكون المتهم غير مذنب لأن الأنا الأعلى هى التى ارتكبت الجرائم . إن استخدام مصطلح كهذا يعد هراءً لا يمكن الأخذ به ، إن المتهم إما أنه ارتكب الجريمة ، أو لم يرتكبها . وإذا ما غيرت ادعاءك وقلت إنها مُدانة ، فيمكننا توفير الكثير من ... " .

" لا ، سيدتى القاضية ، لن أفعل ذلك ... " .

تفرسته القاضية ويليامز للحظة ، ثم قالت : " إنك شديد العناد ، وكثير من الناس يعتقدون أن العناد سمة تبعث على الإعجاب " ، ثم انحنت للأمام فى مقعدها وقالت : " أما أنا فلا " .

" سيدتى ... " .

" إنك تجبرنا على الخوض فى هذه القضية ، والتى ستستمر لمدة ثلاثة أشهر على الأقل ، وربما أكثر من ذلك " .

أومأ بريتان : " وأنا أوافقك الرأى " .

" إننى آسف لـ ... " .

" سيد سينجر ، لقد استدعيتك لأسدى لك معروفاً ، إذا ما قمنا بمحاكمة المتهمة ، فسوف تموت " .

" انتظرى لحظة ، إنك تصدرين حكماً مسبقاً على القضية بدون ... " .

" حكماً مسبقاً ؟ هل لديك الدليل ؟ " .

" نعم ، إننى .... " .

" بالله عليك أيها المستشار ، إن بصمات أصابع آشلى باترسون وكذلك الحامض النووى الخاص بها موجودان على كل مسارح الجرائم ، ولم أر فى حياتى قضية واضحة لدرجة كبيرة مثل هذه القضية ، وإذا واصلت إصرارك هذا ، فسوف تكون مهزلة ولن أسمح لذلك أن يحدث . هيا ننته من هذه القضية الآن ، وسأطرح عليك سؤالى مرة أخرى وأخيرة . هل توافق على عقوبة موكلتك بالسجن مدى الحياة ؟ " .

قال ديفيد بعناد : " لا " .

أمعنت النظر إليه : " حسناً ، أراك الأسبوع القادم " .

وأصبح لديفيد الآن عدو !

الفصل الخامس عشر

امتلأت سان خوسيه بمراسلى وسائل الإعلام من جميع أنحاء العالم ، وقد تم حجز جميع غرف الفنادق عن بكرة أبيها ، واضطر المراسلون والصحفيون للنزول فى فنادق المدن المجاورة لمقاطعة سانتا كلار ، أحاط ديفيد عدد كبير من الصحفيين والإعلاميين .

" سيد سينجر ، أخبرنا عن القضية . هل ستدافع عن موكلتك بدعوى عدم الإقرار بالذنب .... ؟ " .

" هل ستجعل آشلى باترسون تقف على منصة الشهود ... ؟ " .

" هل سيشهد الدكتور باترسون ... ؟ " .

" سوف تدفع المجلة التى أعمل بها خمسين ألف دولار إذا أجريت مقابلة مع موكلتك ... " .

* * *

طارد الإعلاميون السيد ميكى بريشان أيضاً .

" سيد بريشان . هل تخبرنا بأى شىء عن القضية ؟ " .

التفت بريشان ، وابتسم للكاميرات التليفزيونية .

" نعم ، يمكننى تلخيص القضية فى كلمتين " سوف نكسبها " ، ولا تعليق أكثر من ذلك " .

" انتظر لحظة ، هل تعتقد أنها مصابة حقاً بالجنون ... ؟ " .

" هل ستطالب الولاية بتطبيق عقوبة الإعدام ... ؟ " .

" هل ستطلق عليها القضية المنتهية ... ؟ " .

قام ديفيد بتأجير مكتب فى سان خوسيه حتى يكون على مقربة من المحكمة ، حيث يمكنه مقابلة الشهود وتجهيزهم للقضية ، وقرر أن تقوم ساندرا بمباشرة العمل من مكتب كويلر ، فى سان فرانسيسكو حتى بدء القضية . وصل الدكتور سالم إلى سان خوسيه .

قال ديفيد : " أريد منك أن تقوم بتنويم آشلى مغناطيسياً مرة أخرى ، إننى أريد أن أحصل على أكبر قدر من المعلومات منها ، ومن شخصياتها البديلة قبل أن تبدأ القضية " .

قابلا آشلى فى حجرة الزيارة فى سجن المقاطعة ، وحاولت آشلى جاهدة أن تخفى قلقها وتوترها الشديدين ، وكانت بالنسبة لديفيد ، تبدو كالغزالة التى وقعت فى فخ .

" طاب صباحك يا آشلى ، هل تذكرين الدكتور سالم ؟ " .

أومأت برأسها .

" إنه سوف يخضعك للتنويم المغناطيسى مجدداً ، هل تقبلين ذلك ؟ " .

قالت آشلى : " وهل سوف يتحدث مع ... الأخريين ؟ " .

" نعم ، هل تمانعين ؟ " .

" لا ، ولكنى لا أريد التحدث إليهما " .

" حسناً ، لن تتحدثى إليهما " .

انفجرت آشلى غاضبة : " إننى أكره ذلك ! " .

قال ديفيد محاولاً تهدئتها : " أعرف ذلك ، لا تقلقى ، سينتهى ذلك قريباً " ، ثم أشار إلى الدكتور سالم .

" اهدئى ، واسترخى فى جلستك يا آشلى ، تذكرى كيف كان ذلك يسيراً . أغمضى عينيك ، واسترخى . فقط حاولى أن يكون ذهنك صافياً ، استشعرى استرخاء جسدك . وأنصتى جيداً لصوتى ، وتغاضى عن أى شىء آخر ، إنك الآن تشعرين بالنعاس ، وعيناك ثقيلتان ، أنت الآن نائمة ... نائمة ... " .

فى غضون عشر دقائق أصبحت آشلى تحت تأثير التنويم المغناطيسى ، ثم أشار الدكتور سالم إلى ديفيد ، فاتجه ديفيد نحو آشلى .

" أريد التحدث إليك يا أليت ، هل أنت حاضرة يا أليت ؟ " .

وشاهدا قسمات وجه آشلى تلين وتتحول بنفس الطريقة التى رأوها من قبل ، ثم سمعا صوتها وهى تتحدث باللهجة الإيطالية الرقيقة .

" طاب صباحكما " .

" طاب صباحك يا أليت . كيف تشعرين ؟ " .

" أشعر بالتعب ، فياله من وقت عصيب للغاية " .

طمأنها ديفيد : " إنه عصيب لنا جميعاً ، ولكن كل شىء سيكون على ما يرام " .

" أتمنى ذلك " .

" أليت ، أريد أن أطرح عليك القليل من الأسئلة " .

" بالطبع ... " .

" هل تعرفين جيم كليري ؟ " .

" لا " .

" هل تعرفين ريتشارد ميلتون ؟ " .

وشاب صوتها حزن عميق وهي تقول : " نعم ، لقد كان ... لقد كان ما حدث له أمراً فظيعاً ومؤسفاً للغاية " .

نظر ديفيد إلى الدكتور سالم ، ثم واصل حديثه إليها قائلاً : " نعم ، كان أمراً فظيعاً ومؤسفاً ، ولكن متى كانت آخر مرة رأيته ؟ " .

" لقد زرته في سان فرانسيسكو ، وذهبنا إلى أحد المتاحف ، ثم تناولنا العشاء معاً . وقبل أن أغادره ، طلب مني اصطحابه إلى شقته " .

" وهل ذهبت معه ؟ " .

" لا ، ولكن ليتني ذهبت " ، قالت أليت بنبرة ندم ، ثم واصلت قائلة : " ربما استطعت إنقاذ حياته " ، ثم سادت فترة صمت للحظة ثم استطردت قائلة : " ودع كل منا الآخر ، ثم عدت بالسيارة إلى كويرتينو " .

" وكانت تلك هي المرة الأخيرة التي رأيته فيها ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" أشكرك يا أليت " .

اقترب ديفيد من آشلي ثم قال : " توني ؟ هل أنت حاضرة يا توني ؟ أريد التحدث إليك " .

وشاهد وجه آشلي يتحول مرة أخرى ، وتغيرت شخصيتها تماماً ، وبدأت تغني بصوتها الجهوري الواضح :

" هنا ، وهناك في طرق المدينة
تأتي ، وتذهب هذي النسور ،
بهذي الطريقة ، تفنى النقود ،
ولكن يهرب ذاك السنجاب " .

نظرت إلى ديفيد وقالت : " هل تدري لماذا أحب أن أردد هذه الأغنية ، يا حبيبي ؟ " .

" لا " .

" لأن أمي كانت تكرهها ، وكانت تكرهني " .

" لماذا كانت تكرهك ؟ " .

" حسناً ، لا يمكننا سؤالها الآن ، أليس كذلك ؟ " ، ثم ضحكت توني وواصلت : " لا يمكن سؤالها الآن ، ولا يمكنني أن أفعل أي شيء حيالها . كيف كانت أمك أنت يا ديفيد ؟ " .

" كانت أمي امرأة عظيمة " .

" إنك محظوظ إذن ، أليس كذلك ؟ إنها مشيئة الله التي لا دخل لنا فيها " .

" هل أنت متدينة يا توني ؟ " .

" لا أعلم ، ولكن أليت على درجة كبيرة من التدين ، فإنها ترتاد دور العبادة كثيراً " .

" وهل ترتادينها أنت كذلك ؟ " .

ضحكت تونى ضحكة قصيرة : " نعم ، عندما تذهب هى ، أكون هناك أنا أيضاً " .

" هل تؤمنين بأنه من الصواب قتل الآخرين ؟ " .

" بالطبع لا " .

" إذن ... " .

" إلا إذا اضطررت لذلك " .

تبادل ديفيد النظرات مع دكتور سالم .

" ماذا تقصدين بهذا ؟ " .

تغيرت نبرة صوتها ، ثم بدأت فجأة تتحدث بلهجة دفاعية : " نعم ، أنت تعرف أنه قد يضطر المرء لذلك إذا أراد الدفاع عن نفسه ، إذا ما أذاه شخص ما " ، ثم ثارت بشكل هيستيرى وقالت : " إذا ما حاول شخص وقح بأن يمارس معك سلوكه القذر ، ... " .

" تونى ... " .

ثم بدأت تنتحب : " لماذا لا يتركوننى وشأنى ؟ لماذا يضطرون إلى ... " ، ثم صرخت .

" تونى ... " .

صمت .

" تونى ... " .

لا شئ .

قال الدكتور سالم : " لقد ذهبت ، أريد أن أوقظ آشلى " .

تنهد ديفيد : " حسناً " .

بعد دقائق قليلة ، فتحت آشلى عينيها .

سألها ديفيد : " كيف حالك ؟ " .

" إننى متعبة ... هل سارت الأمور على ما يرام ؟ " .

" نعم ، لقد تحدثنا إلى أليت ، وتونى . إنهما ... " .

" لا أريد أن أعرف " .

" حسناً ، أفضل أن تذهبى وترتاحى الآن يا آشلى . سأعود إليك بعد الظهيرة " .

ثم قادتها الحارسة وابتعدتا .

قال الدكتور سالم : " يجب أن تضعها على منصة الشهادة فى المحكمة يا ديفيد ، فهذا بشأنه أن يقنع أى هيئة محلفين فى العالم بأن ... " .

" لقد فكرت فى ذلك كثيراً ، ولكننى لا أعتقد أنه يمكننى الإقدام على هذه الخطوة " .

نظر إليه للحظة ، ثم قال : " لِمَ لا ؟ ! " .

" إن بريتان ، وهو النائب المسئول عن القضية ، قاس للغاية ، ولن يرحمها ، ولا يمكننى أن أمنح له هذه الفرصة " .

كان ديفيد وساندرا يتناولان العشاء مع كويلر وإميلى قبل بدء جلسات المحكمة بيومين .

قال ديفيد : " لقد قمت بالحجز فى فندق ويندهام ، وقام المدير بإسداء معروف لى ، فسوف تأتى ساندرا معى إلى هناك ، وهذا كرم من جانبه لأن المدينة مزدحمة بشكل لا يصدقه عقل " .

قالت إميلى : " إذا كانت المدينة مزدحمة منذ الآن ، فتخيل ما سوف تكون عليه عندما تبدأ جلسات المحاكمة " .

نظر كويلر إلى ديفيد ، وقال : " هل يمكنني عمل أى شىء لمساعدتكم ؟ " .

هز ديفيد رأسه ، وقال : " هناك قرار خطير يجب أن أتخذه ، وهو يتمثل فى الاختيار ما بين وضع آشلى على منصة الشهادة أم لا " .

قال كويلر : " إنه قرار صعب ، فكلا الخيارين مرٌّ ، كما أن المشكلة تتمثل فى أن بريننان سيتعامل مع آشلى من منطلق كونها وحشاً قاتلاً ، فإذا لم تضعها على منصة الشهادة ، فسوف تصل تلك الصورة الشنيعة إلى هيئة المحلفين ، وذلك عندما يذهبون إلى غرفة المحلفين لإصدار حكمهم . وعلى الجانب الآخر ، ومن خلال ما أخبرتنى به ، إذا وضعت آشلى على منصة الشهود فلن يرحمها بريننان " .

" سوف يأتى بريننان بكل الخبراء النفسيين حتى يكذبوا إصابتها باضطراب تعدد الشخصيات " .

" يجب عليك يا ديفيد أن تقنعهم بوجود هذا المرض " .

" هذا ما أنوى فعله ، ولكن هل تدرى ما الذى يزعجنى ، يا جيمس ؟ السخرية والنكات اللاذعة ، فآخر مزحة تقول لقد أردت أن أطلب تغيير محل انعقاد المحاكمة ، ولكنى قررت ألا أفعل ذلك ، حيث إن آشلى لم تترك مكاناً إلا وترتكب فيه جريمة قتل . أما هؤلاء الضيوف الذين تستضيفهم العروض التليفزيونية التى تذاع فى ساعة متأخرة من الليل ، فهم جميعاً ينتقدون آشلى نقداً لاذعاً ويسخرون منها بشدة " .

" ديفيد ؟ " .

" نعم " .

قال جيمس كويلر بهدوء : " سوف يزداد الأمر سوءاً " .

لم يكن ديفيد سينجر قادراً على النوم طوال الليلة التى سبقت ذهابه إلى المحكمة . لم يكن بمقدوره طرد الأفكار السلبية عن ذهنه . وعندما استسلم أخيراً للنوم ، استمع لصوت يقول له : لقد تسببت فى موت موكلتك السابقة ، فماذا سيحدث لو تسببت فى قتل موكلتك هذه أيضاً ؟

نهض وجلس فى فراشه ، وهو يتصبب عرقاً .

فتحت ساندرا عينيها ، وقالت : " هل أنت بخير يا عزيزى ؟ " .

" نعم ... لا ... بالله ، ما الذى أفعله ؟ كان كل ما يجب علىّ فعله هو رفض طلب الدكتور باترسون " .

مدت ساندرا ذراعها ، وقالت بهدوء : " ولماذا لم تفعل ذلك ؟ " .

قال : " حقاً ، لم أستطع ذلك " .

" وكان هذا هو الصواب . والآن لماذا لا تحصل على قدر كافٍ من النوم حتى تصبح نشيطاً ومفعماً بالحيوية ؟ " .

" يا لها من فكرة جيدة " .

ثم ظل يقظاً طوال الليل ، ولم يغمض له جفن .

كانت القاضية ويليامز محقة بشأن ما قالته عن الإعلام ، فقد حضر الصحفيون من جميع أنحاء العالم ، وهم تواقون لتغطية القضية التى سوف تحاكم امرأة شابة بتهمة ارتكاب سلسلة من جرائم القتل والتى مثلت فيها بجثث ضحاياها .

لقد أزعجت ميكى برينان كثيراً حقيقة أنه من غير المسموح له أن يذكر اسم كل من جيم كليرى أو جون كلود بارنت فى المحكمة ، ولكن الإعلام قد حل له المشكلة ، فقد قدمت برامج التليفزيون ، والمجلات ، والجرائد ، أحداثاً مثيرة عن جرائم القتل الخمس ، وما حدث فيها من تمثيل بالجثث . الأمر الذى أسعد ميكى برينان للغاية .

عندما وصل ديفيد إلى قاعة المحكمة ، كانت الصحافة والإعلام بالخارج بأعداد كبيرة فأحاطوا ديفيد جميعاً .

" سيد سينجر ، هل مازلت تعمل لدى كينكايد ، وتيرنر ، وروز ، آند ريبلى ... ؟ " .

" انتبه إلىّ من فضلك يا سيد سينجر ... " .

" هل صحيح أنك فصلت من عملك لأنك توليت هذه القضية ... ؟ " .

" هل من الممكن أن تخبرنا عن هيلين ؟ ألم تدافع عنها فى قضية القتل التى اتهمت فيها ... ؟ " .

" هل أخبرتك آشلى باترسون بما دفعها لارتكاب ذلك ... ؟ " .

" هل سوف تضع آشلى على منصة الشهادة ... ؟ " .

قال ديفيد على نحو مقتضب : " ليس لدى أى تعليق " .

عندما كان ميكى برينان فى طريقه إلى قاعة المحكمة ، حاصرته أعداد هائلة من الصحفيين .

" سيد برينان ، ما سير القضية فى اعتقادك ... ؟ " .

" هل قمت بالتعامل مع قضية عن الانفصام فى الشخصية من قبل ... ؟ " .

ابتسم برينان بذكاء ، وقال : " لا ، ليس لدىّ وقت كافٍ للتحدث إلى جميع المتهمين " ، ثم أطلق ضحكته المفضلة وقال : " إذا كان هناك ما يكفى منهم ، فليكن لكل منهم ما يخصه " ، ثم أطلق ضحكة أخرى قائلا : " يجب أن أدخل الآن " .

بدأت المحاكمة بطرح القاضية ويليامز أسئلة عامة على المحلفين المنتظر قبولهم ، وعندما انتهت من طرح أسئلتها طلبت من الدفاع توجيه أسئلته ، ثم بعده سيأتى دور النيابة .

يبدو للعامة أن اختيار هيئة المحلفين أمر سهل : أختار المحلف الذى يبدو ودوداً وأستبعد الآخرين . فى الحقيقة يتم هذا الموقف بطقوس مخطط لها بعناية ، فالمحامون الماهرون لا يطرحون أسئلة مباشرة تتضمن إجابات بـ : نعم أو لا ، بل إنهم يطرحون أسئلة عامة تحفز المحلفين على التحدث وإظهار ما بداخلهم ، ومشاعرهم الحقيقية .

كان لكل من ميكى برينان وديفيد سينجر خطط مختلفة فى هذه القضية ، أراد برينان أن يحصل على الأغلبية من أعضاء هيئة المحلفين ، من الذين يصابون بالصدمة من جراء معرفتهم بفكرة ارتكاب امرأة لجرائم قتل بطعن الضحايا والتمثيل بجثثهم . ومن هذا المنطلق ، كانت أسئلة برينان تعنى بالتحديد الأشخاص ذوى الأفكار التقليدية ، وهؤلاء الذين يقل احتمال اعتقادهم بالأرواح ، أو الانفصامات الشخصية وفكرة ما يسمى بالأشخاص البديلة . أما ديفيد فقد اتخذ السبيل المضاد .

" السيد هاريس ، أليس كذلك ؟ إننى ديفيد سينجر . إننى أمثل التهمة . هل كنت عضواً فى هيئة محلفين من قبل ؟ " .

" لا " .

" إننى أقدر وقتك ومعاناتك للقيام بذلك " .

" إن الأمر يبدو شيقاً ، خاصة فى مثل هذه الجريمة الهائلة " .

" نعم ، أعتقد أن الأمر سيكون كذلك " .

" فى الحقيقة ، إننى كنت أتطلع إلى ذلك " .

" حقاً ؟ " .

" نعم " .

" أين تعمل يا سيد هاريس ؟ " .

" فى يونيتد ستيل " .

" أعتقد أنك وزملاؤك فى العمل قد تحدثتم عن قضية آشلى باترسون " .

" نعم ، فى الحقيقة تحدثنا عن هذه القضية " .

" بالطبع ، فالجميع يتحدثون عن هذه القضية ، ولكن ما الرأى الغالب بينهم ؟ هل يعتقد زملاؤك فى عدم براءة آشلى ؟ " .

" نعم ، ويجب أن أعترف بذلك " .

" وهل تعتقد أنت ذلك ؟ " .

" نعم ، بالتأكيد تبدو كذلك " .

" ولكنك يجب أن تنصت إلى الدليل قبل أن تكون رأيك ؟ " .

" نعم ، هذا ما سوف أفعله " .

" ماذا تحب أن تقرأ ، يا سيد هاريس ؟ " .

" إننى لا أقرأ كثيراً ، فى حين أننى أحب الترحال ، والصيد " .

" يا لك من رجل تحب الطبيعة ! عندما تكون فى رحلة أو معسكر وتنظر إلى السماء ، هل تساءلت أبداً ما إذا كانت هناك عوالم أو حياة أخرى فى كواكب أخرى بعيدة ؟ " .

" إننى لا أومن بكل هذه الخرافات " .

التفت ديفيد نحو القاضية : " فلنكتف بهذا سيادة القاضية " .

استجواب عضو آخر من هيئة المحلفين :

" ماذا تفضل أن تفعل فى وقت فراغك ، يا سيد ألين ؟ " .

" أفضل القراءة ومشاهدة التلفاز " .

" هناك عروض ممتازة فى مساء أيام الخميس ، ومن الصعب الاختيار من بينها ، حيث تذاع جميعها فى نفس الوقت " .

" أنت على حق ، إنه أمر مزعج " .

" هل شاهدت حلقات إكس فايل من قبل ؟ " .

" نعم ، أطفالى يحبونه " .

" وماذا عن صابرينا الساحرة الصغيرة ؟ " .

" أوه ، إننا جميعاً نشاهدها . إنه عرض رائع " .

" ماذا تحب أن تقرأ ؟ " .

" آن رايس ، ستيفن كينج ، ... " .

نعم

* * *

استجواب عضو آخر من هيئة المحلفين :

" ماذا تفضل أن تشاهد على شاشة التلفاز يا سيد ماير ؟ " .

" ستون دقيقة ، أحداث الساعة مع جيم ليهرر ، الأفلام الوثائقية ... " .

" وماذا تحب أن تقرأ ؟ " .

" كتب التاريخ والسياسة على وجه الخصوص " .

" أشكرك " .

كلا .

جلست القاضية تيسا ويليامز على المنصة ، منصتة إلى الاستجوابات ، ولكن لم تظهر على وجهها أية تعبيرات ، ولكن ديفيد تمكن من استشعار عدم استحسانها في كل مرة تنظر إليه .

وفي النهاية وعندما تم اختيار أعضاء هيئة المحلفين والتي تكونت من سبعة رجال وخمس سيدات ، نظر بريشان إلى ديفيد بنظرة تنم عن النصر ، وكأنه يقول : سيصدر ضدها حكم بالإعدام !

الفصل السادس عشر

في وقت مبكر من صباح اليوم الذى كانت ستبدأ فيه محاكمة آشلي باترسون ، ذهب ديفيد إلى آشلي في حجرة الحجز ، ووجدها في ثورة هيستيرية .

قالت آشلي : " لا أستطيع تحمل ذلك ، لا أستطيع . اطلب منهم أن يتركوني وشأني " .

" آشلي ، سيكون كل شيء على ما يرام ، سنواجههم ، وسنفوز بها " .

" أنت لا تعرف ... أنت لا تعرف مدى معاناتي ، إنني أشعر وكأنني في واد من الجحيم " .

سوف ننتشلك من هذا الجحيم ، وتلك هي الخطوة الأولى " .

كانت ترتجف قائلة : " إنني أخشى أن ... ، أن يدينوني ويصدروا حكماً بالإعدام " .

قال ديفيد بحزم : " لن أدعهم يفعلون ذلك ، وأريدك أن تثقى بى ، وتذكرى ، أنت لست مسئولة عما حدث ، أنت لم ترتكبى أى خطأ ، إنهم فى انتظارنا " .

أخذت نفساً عميقاً ، وقالت : " حسناً سأكون بخير ، سأكون بخير " .

كان الدكتور ستيفن باترسون جالساً بين الحضور ، وكان قد استجاب لوابل الأسئلة التى طرحها عليه المراسلون الإعلاميون خارج قاعة المحكمة بإجابة واحدة ، وهى : " ابنتى بريئة " .

وخلفه بعدة صفوف ، كان يجلس جيس وزوجته إميلى كوبلر ، وذلك للدعم المعنوى .

وكان ميكى بريتان يعتلى منصة النيابة العامة ومعه اثنان من المرافقين ، هما : سوزان فريمان ، واليانور تاكر .

كانت ساندرا وآشلى تجلسان على طاولة المتهمين ويتوسطهما ديفيد ، وكانت ساندرا قد تقابلت مع آشلى منذ أسبوع .

" ديفيد ، بإمكانك النظر إلى آشلى لتعرف أنها بريئة " .

" ساندرا ، وعندما ترين الدليل الذى خلفته مع ضحاياها ستدركين أنها القاتلة ، ولكن القتل دون وعي والقتل عن سبق إصرار وترصد يختلفان ، وكل ما يجب أن أفعله هو إقناع هيئة المحلفين " .

دخلت القاضية ويليامز إلى قاعة المحكمة ، واتجهت نحو المنصة ، وأعلن الحاجب قائلاً : " قيام ، الآن تبدأ الجلسة ، وتترأسها القاضية المبجلة تيسا ويليامز " .

قالت القاضية ويليامز : " تفضلوا بالجلوس ، هذه القضية يتنازع فيها طرفان هما : سكان ولاية كاليفورنيا ضد آشلى باترسون ، والآن لنبدأ الجلسة " ، ثم نظرت القاضية ويليامز إلى بريتان ، وقالت له : " هل يرغب وكيل النيابة فى إلقاء كلمة افتتاحية ؟ " .

نهض ميكى بريتان قائلاً : " نعم ، يا سيادة القاضية " ، ثم التفت إلى هيئة المحلفين واتجه نحوهم قائلاً : " عمتم صباحاً سيداتى ، وسادتى ، إن المتهمة الآن خاضعة للمحاكمة ، وهى متهمة بارتكاب ثلاث جرائم قتل بأساليب التنكر والاحتيال " ، ثم أومأ برأسه نحو آشلى ، واستطرد قائلاً : " وحيلتها تتمثل فى كونها امرأة صغيرة وترتدى قناع البراءة والضعف . ولكن النيابة سوف تبرهن أمامكم بالدليل القاطع والمعقول أن المتهمة قد ارتكبت بوعى وإرادة كاملين ثلاث جرائم قتل وتمثيل لثلاثة أبرياء . كما استخدمت اسماً مستعاراً فى ارتكاب إحدى هذه الجرائم آملة ألا يكشف أمرها ، ولكنها كانت تعرف تماماً ما كانت تفعله . إننا نتحدث عن قاتلة باردة المشاعر ، ولكننى سأظهر لكم الدلائل والبراهين ، الواحد تلو الآخر ، والتى تربط هذه القضية بالمتهمة الجالسة هناك وأشكركم " .

ثم عاد بريتان إلى مجلسه .

نظرت القاضية ويليامز إلى ديفيد ، وقالت : " هل يرغب الدفاع فى إلقاء كلمة افتتاحية ؟ " .

" نعم يا سيادة القاضية " ، ثم نهض وواجه المحلفين ، وأخذ نفساً عميقاً وقال : " سيداتى ، سادتى ، سوف أثبت لكم خلال المحاكمة أن آشلى باترسون ليست مسئولة بالمرة عما حدث ، فهى

ليس لديها أى دافع لارتكاب أى من هذه الجرائم ، كما أنها لا تعلم بأمرها شيئاً . إن موكلتى ضحية ، إنها ضحية مرض اضطراب تعدد الشخصيات والذى سوف أشرحه لكم بالتفصيل خلال جلسات المحاكمة " .

نظر ديفيد للقاضية ويليامز ، ثم قال بحسم وثبات : " إن اضطراب تعدد الشخصيات هو حقيقة طبية لا تقبل الجدال ، ويعنى أن هناك شخصيات أخرى بديلة تسيطر على الشخصية الرئيسية وتتحكم فى جميع تصرفاتها ، إن لهذا المرض تاريخاً طويلاً . إن السيد بنيامين راش ، وهو طبيب ، ومنظم إعلان الاستقلال ، قد ناقش تاريخ هذا المرض فى محاضراته . ولقد تم الإعلان عن العديد من حالات اضطراب تعدد الشخصيات فى القرن التاسع عشر ، وكذلك القرن العشرين ، والذى تسيطر فيه الشخصيات البديلة على الشخصية الرئيسية " .

كان بريتان منصتاً لديفيد ، وعلى وجهه ابتسامة ماكرة ساخرة .

" سوف نبرهن لكم أن الشخصية البديلة هى التى فرضت سيطرتها وارتكبت جرائم القتل التى لم يكن لآشلى أى مبرر أو دافع لارتكابها إطلاقاً . إنها ليست مسئولة عما حدث ، حيث لم تمتلك التحكم أو السيطرة عليه . وأثناء سير جلسات المحاكمة ، سوف أقوم بإحضار أبرز الأطباء حتى يفسروا بالتفصيل المسهب كل ما يخص مرض اضطراب تعدد الشخصيات ، ولحسن الحظ ، فإن هذا المرض يمكن معالجته " .

نظر ديفيد إلى أعضاء هيئة المحلفين ، وقال : " إن آشلى باترسون لا تملك السيطرة إطلاقاً أو التحكم فيما اقترفته من أفعال ،

وباسم العدالة ، نطلب ألا تدان آشلى باترسون لارتكابها جرائم هى ليست مسئولة عنها " .

ثم عاد ديفيد إلى مجلسه .

نظرت القاضية ويليامز إلى بريتان ، وقالت : " هل النيابة على استعداد للتعقيب ؟ " .

نهض بريتان ، وقال : " نعم ، سيادة القاضية " ، ثم اعتلت وجهه ابتسامة لامعة وَجَّهها إلى مرافقيه ، ثم اتجه إلى منصة المحلفين . وقف بريتان هناك للحظة ثم أصدر صوت تجشؤ بصوت عال وعن عمد وقصد منه ، فحملق إليه المحلفون باندهاش .

نظر إليهم بريتان للحظة كما لو أنه فى حيرة من أمره ، ثم عاد لوجهه طبيعته ، وقال : " آه ، إنكم تتوقعون منى أن أعتذر الآن ، ولكن ، لن أعتذر ، لأننى لم أفعل شيئاً ، فإن الشخص البديل والذى يدعى بيت هو من فعل ذلك " .

نهض ديفيد ، فى ثورة وقال : " أعترض ، يا سيادة القاضية ، فهذا أمر مشين ومهين إلى أقصى حد " .

اعتراض مقبول .

ولكن الضرر قد وقع بالفعل .

أعطى بريتان لديفيد ابتسامة انتصار ، ثم التفت إلى المحلفين واستطرد قائلاً : " حسناً ، أعتقد أنه ليس هناك دفاع كهذا منذ قضايا الساحر سالم منذ ثلاثمائة عام " ، ثم التفت لينظر إلى آشلى التى صاحت قائلة : " إننى لم أفعل هذا ، لم أفعله يا سيدى ، ولكن الشيطان هو من دفعنى لعمل ذلك " .

نهض ديفيد بثورة مرة أخرى : " أعترض ، إن ... " .

اعتراض مرفوض .

عاد ديفيد إلى مجلسه في غضب .

اقترب بريتان من منصة المحلفين ، وقال : " لقد وعدت بأنني سأثبت أن هذه المتهمة ذات الشاعر المتبلدة قد ارتكبت عن قصد وتعمد جرائم قتل وتمثيل بثلاثة رجال أبرياء ، هم : دنيس تيبل ، وريتشارد ميلتون ، ورئيس الشرطة سام بليك . ثلاثة رجال ، برغم ما يقوله الدفاع " .

ثم التفت بريتان وأشار لأشلي مرة أخرى : " هناك متهمة واحدة تجلس هناك ، وهي التي ارتكبت جرائم القتل الثلاث . وماذا يطلق السيد ديفيد سينجر على ذلك : اضطراب تعدد الشخصيات ؟ حسناً ، سوف أقوم بإحضار بعض الأطباء البارزين ، ليعلمونا - بعد أدائهم القسم - أنه ليس هناك ما يسمى بذلك ، ولكن دعونا نستمع أولاً إلى بعض الخبراء الذين سيربطون ما بين المتهمة والجرائم " .

اتجه بريتان إلى القاضية ويليامز وقال : " أرغب في استدعاء الشاهد الأول الخاص بي ، إنه العميل الخاص فينسنت جوردان " .

قام رجل قصير أصلع واتجه نحو منصة الشهود .

قال الحاجب : " رجاء ، أبلغ عن اسمك ، بدقة للتسجيل " .

" الوكيل الخاص ، فينسنت جوردان " .

انتظر بريتان حتى أدى الشاهد اليمين وجلس في مكانه المخصص .

" أنت تعمل في مكتب التحقيقات الفيدرالي في واشنطن دي سي ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى يا سيدي " .

" وما مجال عملك في مكتب التحقيقات الفيدرالية ، أيها العميل الخاص ، جوردان ؟ " .

" إنني مسئول عن قسم بصمات الأصابع " .

" كم المدة التي عملت فيها بهذه الوظيفة حتى الآن ؟ " .

" خمسة عشر عاماً " .

" خمسة عشر عاماً ، هل صادفت طوال هذه المدة بصمات أصابع مشابهة لأناس مختلفين ؟ " .

" لا ، يا سيدي " .

" كم عدد البصمات المسجلة حالياً في مكتب التحقيقات الفيدرالية ؟ " .

" حسب آخر إحصائيات ، يوجد أكثر من مائتين وخمسين مليوناً ، ولكننا نتلقى أكثر من أربعة وثلاثين ألف بصمة كل يوم " .

" ولا تتشابه أي منها مع الأخرى ، أليس كذلك ؟ " .

" بالطبع لا تتشابه يا سيدي " .

" كيف تتعرف على البصمة ؟ " .

" إننا نستخدم سبعة أنماط مختلفة لتحديد البصمات ، ومن المعروف عن البصمات أنها فريدة وتتشكل قبل الميلاد ، وتستمر مع المرء طوال حياته ، وبناءً عليه لا يمكن أن تتشابه بصمتان إلا إذا تم تغييرها عمداً أو من جراء حادث " .

" أيها العميل الخاص جوردان ، هل تسلمتم بصمات الأصابع التي تم رفعها من مسارح الجرائم الثلاث المتهمة فيها آشلي باترسون ؟ " .

" نعم يا سيدي ، لقد تم إرسالها إلينا " .

" وهل تم إرسال بصمات الأصابع الخاصة بالمتهمة آشلى باترسون ؟ " .

" هل قمت أنت شخصياً بفحص هذه البصمات ؟ " .

" نعم " .

" وإلام توصلت ؟ " .

" توصلت إلى أن البصمات التى وجدت فى مسارح الجرائم الثلاث تتطابق تماماً مع بصمات أصابع آشلى باترسون " .

ثم صدرت صيحة جماعية فى قاعة المحكمة .

" هدوء ! ، هدوء ! " .

انتظر بريتان حتى ساد القاعة الهدوء وأردف قائلاً : " هل البصمات متطابقة ؟ هل هناك أدنى شك فى اعتقادك ، أيها العميل جوردان ؟ هل يحتمل أن يكون هناك خطأ ما ؟ " .

" لا يا سيدى ، فالبصمات جميعها واضحة ويسهل تحديدها " .

" ولكى يتضح الأمر ... إننا نتحدث عن البصمات الموجودة فى مسارح الجرائم الخاصة بكل من دنيس تيبل وريتشارد ميلتون ، والمأمور سام بليك ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

" وقد وجدت بصمات أصابع المتهمة آشلى باترسون فى جميع أماكن الجرائم الثلاث ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، بالضبط " .

" أشكرك أيها العميل جوردان " ، ثم اتجه بريتان إلى ديفيد سينجر ، وقال له : " شاهدك " .

جلس ديفيد للحظة ، ثم نهض ، وسار نحو منصة الشهادة :

" أيها العميل جوردان ، عندما تقوم بفحص البصمات ، هل تجد أن بعضها قد اختفى أو تم إزالته عن تعمد حتى يتمكن المجرم أن يخفى جريمته ؟ " .

" نعم ، ولكننا عادة ما تكون لدينا القدرة على ضبطهم بواسطة أساليب الليزر ذات الكثافة العالية " .

" هل اضطررت لعمل ذلك فى قضية آشلى باترسون ؟ " .

" لا يا سيدى " .

" ولماذا ؟ " .

" حسناً ، بسبب ما قلته آنفاً ... لأن البصمات كانت واضحة " . نظر ديفيد فى اتجاه المحلفين ، وقال : " إذن ما قلته يؤكد أن المتهمة لم تحاول أن تمحو أى آثار لبصماتها ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " .

" أشكرك ، وليس لدى أسئلة أخرى " ، ثم التفت ديفيد إلى هيئة المحلفين ، وقال : " لم تحاول آشلى باترسون مطلقاً أن تخفى بصماتها لأنها بريئة و.... " .

اندفعت القاضية ويليامز قائلة : " يكفى هذا ، أيها المستشار ، ستحصل على فرصتك لعرض دفاعك فيما بعد " .

عاد ديفيد إلى مجلسه .

التفتت القاضية ويليامز إلى العميل الخاص جوردان وقالت له : " يمكنك المغادرة " ، فابتعد العميل الخاص جوردان عن منصة الشهادة .

قال بريتان : " أود أن أستدعى الشاهد التالى ، وهو السيد ستانلى كلارك " .

دخل إلى قاعة المحكمة رجل فى مقتبل عمره ذو شعر طويل ، ثم اتجه إلى منصة الشهادة . ساد الهدوء والصمت القاعة حتى ردد الشاهد القسم ثم جلس فى المقعد المخصص .

قال بريتان : " ما مهنتك ، يا سيد كلارك ؟ " .

" إننى أعمل فى معمل التكنولوجيا الحيوية القومى ، وأعمل فى مجال الحامض النووى " .

" الذى هو شائع بيننا نحن غير المتخصصين باسم البصمة الوراثية أو الدى إن إيه ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم يا سيدى " .

" كم المدة التى عملت فيها فى معمل التكنولوجيا الحيوية القومى حتى الآن ؟ " .

" سبع سنوات " .

" وما وضعك فى المؤسسة ؟ " .

" إننى أعمل مشرفاً " .

" إذن ومن خلال هذه السنوات السبع ، أعتقد أنك اكتسبت خبرة كبيرة فى تحليل هذا الحامض النووى " .

" بالتأكيد ، فهذا يحدث كل يوم " .

رمق بريتان هيئة المحلفين بنظرته المعهودة ، ثم قال : " أعتقد أننا جميعاً نعرف تماماً مدى أهمية الحامض النووى الوراثى " .

أشار إلى الحضور وقال : " هل تعتقد أنه ربما يوجد بيننا هنا عدد من الأشخاص فى قاعة المحكمة لديهم نفس البصمة الوراثية ؟ " .

" بالطبع لا يا سيدى . إذا قمنا بتحليل الحمض النووى ثم قارناه بقاعدة البيانات المجمعة ، فسيكون هناك فقط واحد من بين خمسة بلايين شخص متطابق مع هذه البصمة " .

اندهش بريتان : " واحد من خمسة بلايين شخص يا سيد كلارك ، كيف تحصل على البصمة الوراثية من مسرح الجريمة ؟ " .

" من خلال العديد من الطرق ، فربما نجد الحامض النووى فى سائل اللعاب ، أو نقطة دم ، أو خصلة شعر أو سنة ، ... إلخ " .

" ومن خلال هذه الأشياء يمكنك أن تطابقها بشخص بعينه ؟ " .

" بالطبع " .

" هل قمت أنت شخصياً بمقارنة الحامض النووى الذى تم العثور عليه فى مسارح الجرائم الثلاث الخاصة بمقتل دنيس تيبل وريتشارد ميلتون ، وسام بليك ؟ " .

" نعم " .

" وهل قمت مؤخراً بالحصول على بعض من خصلات شعر المتهمة آشلى باترسون ؟ " .

" نعم " .

" وعندما قارنت الحامض النووى الذى حصلت عليه من مسارح الجرائم الثلاث مع خصلات الشعر التى حصلت عليها من المتهمة ، فما الذى توصلت إليه ؟ " .

" كانت متطابقة " .

فى هذه المرة كان رد فعل الحضور عنيفاً ، فطرقت القاضية ويليامز بالمطرقة وقالت : " هدوء ! ، هدوء ! ، من فضلكم ، وإلا سأخلى القاعة " .

انتظر برينان حتى ساد القاعة الهدوء ، ثم قال : " سيد كلارك ، هل قلت إن الحامض النووى الذى حصلت عليه من مسارح الجرائم متطابق مع الحامض النووى الذى حصلت عليه من خصلات شعر المتهمة ؟ " .

وقد أكد برينان على لفظة متطابق .

" نعم يا سيدى " .

نظر برينان إلى الطاولة التى كانت آشلى جالسة عليها ، ثم التفت مرة أخرى إلى منصة الشهود ، وقال : " وماذا بشأن التلوث ؟ إننا جميعاً نعرف أمر القضية الجنائية الشهيرة التى تلوث فيها الحامض النووى ، فهل يمكن للحامض النووى الخاص بهذه القضية أن يكون قد ساء استخدامه ، فلم يعد صالحاً ، أو ... ؟ " .

" لا يا سيدى ، إن الحامض النووى فى هذه القضايا قد تم التعامل معه بحرص شديد " .

" إذن ، فإن هذا الحامض النووى لا تشوبه شائبة ، ويفيد بأن المتهمة قد ارتكبت جرائم القتل الثلاث ... ؟ " .

هب ديفيد من مجلسه وقال : " أعترض ، يا سيادة القاضية ، إن السيد وكيل النيابة ، يوجه الشاهد ، و ... " .

" اعتراض مقبول " .

عاد ديفيد إلى مجلسه .

" أشكرك يا سيد كلارك " ، ثم التفت برينان إلى ديفيد قائلاً : " أكتفى بذلك " .

قالت القاضية ويليامز : " شاهدك يا سيد سينجر " .

" ليست لدىّ أسئلة " .

نظر المحلفون فى دهشة إلى ديفيد .

دهش برينان قائلاً : " ليست لديك أسئلة ؟ " .

نظر برينان إلى المحلفين ، وقال : " إننى مندهش ، من أن الدفاع لا يستجوب الشاهد ، لأن شهادته تثبت بلا شك أن المتهمة قامت فعلاً بقتل الرجال الثلاثة الأبرياء ، وقامت كذلك بالتمثيل بجثثهم ، و ... " .

نهض ديفيد سريعاً ، وقال : " سيادة القاضية ... " .

" اعتراض مقبول كأنك تتخطى حدودك سيد برينان " .

" أعتذر سيادة القاضية وليست لدى أسئلة أخرى " .

كانت آشلى تنظر إلى ديفيد فى خوف شديد .

فهمس ديفيد إليها : " لا تقلقى ، سيحين دورنا قريباً " .

شهدت فترة بعد الظهر الكثير من الشهود الذين أحضرهم وكيل النيابة السيد برينان ، وكانت إفاداتهم جميعاً ليست فى صالح القضية .

" لقد استدعاك حارس البناية إلى منزل دنيس تيبل أيها المحقق لايتمان ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" هلا تخبرنا بما شاهدت عندما ذهبت إلى هناك ؟ " .

" كانت هناك فوضى ، ودماء فى كل مكان " .

" وكيف كان حال الضحية ؟ " .

" لقد طعن حتى الموت ، وتم التمثيل بجثته " .

نظر بريتان إلى المحلفين ، واكتسى وجهه بعلامات الفزع ، ثم أردف قائلاً : " لقد طعن حتى الموت ، وتم التمثيل بجثته . هل عثرت على أى دليل فى مسرح الجريمة ؟ " .

" آه ، نعم . لقد مارس القتيل العلاقة الحميمة قبل موته ، كما أننا عثرنا على بعض بصمات أصابع " .

" لماذا لم تلق بالقبض على أى شخص على الفور ؟ " .

" لأن بصمات الأصابع التى تم العثور عليها لم تتوافق مع أية بصمات مسجلة لدينا ، فانتظرنا حتى نعثر على صاحب هذه البصمات " .

" ولكنكم عندما حصلتم أخيراً على بصمات آشلى باترسون وكذلك الحامض النووى الوراثى الخاص بها تطابقت تماماً مع ما لديكم ؟ " .

" بالتأكيد تطابقت تماماً " .

كان الدكتور باترسون يحضر المحاكمة كل يوم ، وكان يجلس خلف منصة الدفاع تماماً .

وفى أى وقت يغادر قاعة المحكمة أو يدخل إليها يحوطه رجال الإعلام والصحفيون .

" دكتور باترسون ، كيف ترى مسار القضية ؟ " .

" إنها تسلك مساراً جيداً " .

" وماذا تتوقع ؟ " .

" سوف تحصل ابنتى على براءتها " .

فى وقت متأخر بعد ظهيرة أحد الأيام ، وعندما عاد ديفيد وساندرا إلى الفندق ، كانت هناك رسالة فى انتظارهما : " رجاءً اتصل هاتفياً بالسيد كوونج فى المصرف الخاص بك " .

نظر كل من ديفيد وساندرا إلى بعضهما البعض ، فسألت ساندرا : " هل هناك دفعة مالية تستوجب السداد الآن ؟ " .

قال ديفيد : " نعم ، عندما يستمتع المرء بوقته فإن هذا الوقت يمر كالبرق " .

ثم فكر للحظة قبل أن يستطرد : " سوف تنتهى القضية قريباً يا حبيبتى ، ولدينا ما يكفى من حسابنا بالبنك لسداد دفعة هذا الشهر " .

نظرت ساندرا بقلق ، ثم قالت : " ديفيد ، إذا لم نتمكن من سداد جميع الدفعات ... فهل سنخسر كل ما لدينا ؟ " .

" نعم ، ولكن لا تقلقى ، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً " .

ثم فكر فى هيلين وودمان .

* * *

كان براين هيل واقفاً فى منصة الشهود ، بعد أن ردد القسم ، ثم ابتسم له ميكي بريتان ابتسامة ودودة .

" هل تخبرنا بعملك ، يا سيد هيل ؟ " .

" نعم يا سيدى ، إننى أعمل حارساً فى متحف دى يونج فى سان فرانسيسكو " .

" آه ، يا لها من وظيفة شيقة " .

" نعم ، إنها كذلك لمن يحب الفنون ، وإننى رسام ولكن بلا فائدة " .

" كم المدة التي عملت فيها حارساً للمتحف حتى الآن ؟ " .

" أربع سنوات " .

" هل يكرر كثير من الأشخاص زيارتهم إلى المتحف ؟ " .

" نعم ، البعض يفعل ذلك " .

" إذن أعتقد أنه بعد فترة من الوقت يصبح هؤلاء الأشخاص مألوفين بالنسبة لك ، أو على الأقل وجوههم ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " .

" وعرفت كذلك أن الرسامين بإمكانهم الحصول على تصاريح كتابية للحضور إلى المتحف ونقل نسخ بعض اللوحات الموجودة فيه ، صحيح ؟ " .

" نعم ، فلدينا الكثير من هؤلاء الرسامين " .

" هل قابلت أحدهم من قبل يا سيد هيل ؟ " .

" نعم ، وبعد فترة غالباً ما نصبح أصدقاء " .

" هل قابلت من قبل شخصاً يدعى ريتشارد ميلتون ؟ " .

تنهد براين هيل ، وقال : " نعم ، وكان يتمتع بموهبة كبيرة " .

" مما جعلك تطلب منه أن يعلمك الرسم ، أليس كذلك ؟ " .

نهض ديفيد من مجلسه ، وقال : " سيادة القاضية ، هذا أمر رائع ، ولكنني لا أرى أنه يخدم القضية وإذا كان السيد بريندان ... " .

" إنه متعلق بالقضية ، يا سيادة القاضية . إنني أرى أن السيد هيل يمكنه التعرف على الضحية بمجرد الرؤية ، وبمعرفة الاسم ، كما يمكنه أن يخبرنا عمن كان مع الضحية " .

" اعتراض مرفوض ، يمكنك أن تواصل استجوابك " .

" وهل علمك أن ترسم ؟ " .

" نعم ، وقتما توفر لدينا الوقت لذلك " .

" عندما كان السيد ميلتون في المتحف ، هل رأيت معه من قبل أية سيدات شابات ؟ " .

" نعم ، ولكن ليس في البداية ، ثم تقابل مع إحداهن وكان مهتماً بها إلى حد ما ، واعتدت رؤيته معها " .

" ماذا كان اسمها ؟ " .

" أليت بيترز " .

نظر بريندان في حيرة ، وقال : " أليت بيترز ؟ هل أنت على ثقة من أن هذا هو الاسم الصحيح ؟ " .

" نعم يا سيدي ، فقد قدمها لنا بهذا الاسم " .

" إنك لم تصادف رؤيتها هنا في قاعة المحكمة يا سيد هيل ، أليس كذلك ؟ " .

" بل رأيتها " ، ثم أشار ناحية آشلي : " إنها تجلس هناك " .

قال بريندان : " ولكن هذه ليست أليت بيترز ، إنما هي المتهمة آشلي باترسون " .

نهض ديفيد : " سيادة القاضية ، لقد قلنا بالفعل إن أليت بيترز هي جزء من القضية ، إنها إحدى الشخصيات البديلة التي تفرض سيطرتها على آشلي ، و ... " .

" إنك متسرع يا سيد سينجر وتسبق الأحداث ، رجاءً اصبر يا سيد بريندان " .

" الآن يا سيد هيل ، أنت واثق من أن المتهمة التي توجد هنا تحت مسمى آشلي باترسون ، كانت معروفة لريتشارد ميلتون باسم أليت بيترز ؟ " .

" هذه هي الحقيقة يا سيدي " .

" أليس هناك أي شك في أن هذه السيدة ليست هي نفس السيدة التي نتحدث عنها ؟ " .

تردد براين هيل للحظة ثم قال : " حسناً ..... آه ، إنها نفس السيدة " .

" وهي التي رأيتها مع ريتشارد ميلتون في نفس اليوم الذي قتل فيه ؟ " .

" نعم يا سيدي " .

" أشكرك " ، ثم اتجه بريننان نحو ديفيد وقال له : " إنه الآن تحت طوعك يا سيد ديفيد " .

نهض ديفيد ، وسار ببطء نحو منصة الشهود ، وقال : " سيد هيل ، أعتقد أنها مسئولية ضخمة أن تكون حارساً في مكان فيه مئات من ملايين الدولارات في صورة تحف فنية " .

" نعم يا سيدي " .

" لكي تكون حارساً ممتازاً ، ينبغي عليك أن تظل منتبهاً طول الوقت " .

" هذا صحيح " .

" ينبغي عليك أن تظل مدركاً لكل ما يحدث طوال الوقت " .

" بكل تأكيد " .

" هل تريد أن تخبرنا بأنك تدربت جيداً على الملاحظة يا سيد هيل ؟ " .

" نعم ، بالطبع " .

" إنني أطرح عليك هذا التساؤل ، لأنني لاحظت أنه عندما سألك السيد بريننان ما إذا كانت لديك أي شكوك فيما يخص كون آشلي باترسون هي نفس السيدة التي كانت مع ريتشارد ميلتون ، ترددت قبل أن ترد عليه ، ألم تكن متأكداً ؟ " .

ساد الصمت للحظة ثم قال : " إنها تبدو نفس السيدة ، ولكنها تختلف بشكل ما " .

" وما وجه الاختلاف ؟ " .

" كانت أليت بيترز تبدو إيطالية الشكل ، كما أنها كانت تتحدث بلكنة إيطالية ... وكانت تبدو أصغر من هذه المتهمة " .

" هذا صحيح يا سيد هيل ، إن السيدة التي رأيتها في سان فرانسيسكو كانت شخصية بديلة لآشلي باترسون ، ولقد ولدت في روما ، وتصغرها بثماني سنوات ... " .

نهض بريننان وقال : " أعترض " .

التفت ديفيد إلى القاضية ويليامز وقال : " سيادة القاضية ، إنني ... " .

" اقتربا من فضلكما ؟ " . اقترب ديفيد وبريننان من القاضية ، وقالت : " إنني لا أريد أن أخبرك بذلك مرة أخرى ، يا سيد سينجر ، سيحصل الدفاع على فرصته عندما ينتهي وكيل النيابة ، وحتى ذلك الوقت ، امتنع عن عرض قضيتك " .

وقفت على منصة الشهادة برنيس جينكيس .

" هل تخبريننا بمهنتك ، يا آنسة جينكيس ؟ " .

" إنني أعمل نادلة " .

" وأين تعملين ؟ " .

" في مقهى متحف دى يونج " .

" كيف كانت علاقتك بالسيد ريتشارد ميلتون ؟ " .

" كنا صديقين وفيين " .

" هل توضحين لنا ذلك بشكل أكثر تفصيلاً ؟ " .

" لقد جمعتنا في وقت ما ، علاقة رومانسية ، ثم حالت الظروف دون اكتمالها " .

" وماذا حدث بعد ذلك ؟ " .

" أصبحنا بعدها كأخوين . أعني أنني كنت أحكي له عن جميع مشاكلي ، وهو كذلك عرض عليّ جميع مشاكله " .

" هل تحدث معك من قبل عن المتهمة ؟ " .

" نعم ، ولكنها كانت تطلق على نفسها اسماً مغايراً " .

" وما الاسم ؟ " .

" أليت بيترز " .

" ولكن هل كان يعلم أنها كانت في الحقيقة آشلي باترسون ؟ " .

" لا ، إنه اعتقد أن اسمها أليت بيترز " .

" أتقصدين أنها خدعته ؟ " .

نهض ديفيد في ثورة وقال : " أعترض " .

" اعتراض مقبول ، توقف عن توجيه الشاهدة يا سيد برينان " .

" أعتذر يا سيادة القاضية " ، ثم التفت إلى منصة الشهود : " إنه تحدث إليك بخصوص أليت بيترز ، ولكن هل رأيتهما معاً ؟ " .

" نعم ، لقد أحضرها إلى المطعم في أحد الأيام وقدمها لنا " .

" إن من تتحدثين عنها هي المتهمة آشلي باترسون ؟ " .

" نعم ، ولكنها كانت تطلق على نفسها اسم أليت بيترز " .

وقف جاري كينج على منصة الشهود .

سأله برينان : " لقد كنت زميل ريتشارد ميلتون في سكنه ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" هل كنتما أيضاً صديقين ؟ هل كنت تخرج معه ؟ " .

" نعم بالتأكيد خرجنا معاً كثيراً " .

" هل كان السيد ميلتون مهتماً بأي امرأة على وجه الخصوص ؟ " .

" نعم " .

" هل تعرف اسمها ؟ " .

" كانت تطلق على نفسها أليت بيترز " .

" هل رأيتها هنا في قاعة المحكمة ؟ " .

" نعم ، إنها جالسة هناك " .

" ولكنك تشير إلى المتهمة آشلي باترسون ، وتذكّر أن كل ما تقوله يتم تدوينه " .

" نعم " .

" عندما عدت إلى منزلكما في مساء جريمة القتل ، وجدت جثة ريتشارد ميلتون في الشقة ؟ " .

" هذا ما حدث بالتأكيد " .

" كيف كانت حالة الجثة وقت العثور عليها ؟ " .

" غارقة في دمائها " .

" هل تم التمثيل بها ؟ " .

انتابته قشعريرة وقال : " آه ، يا سيدى ، كان ذلك فظيعاً " .

نظر برينان إلى المحلفين ليرى ردود أفعالهم ، وكانت تماماً كما تمنى أن تكون .

" وماذا فعلت بعد ذلك ، يا سيد كينج ؟ " .

" استدعيت الشرطة " .

" أشكرك " ، ثم التفت برينان إلى ديفيد ، وقال له : " الشاهد طوعك يا سيد ديفيد " .

نهض ديفيد وسار نحو جارى كينج .

" أخبرنا عن ريتشارد ميلتون ، وكيف كانت صفاته الشخصية ؟ " .

" كان إنساناً عظيماً " .

" هل كان مجادلاً ؟ هل كان يحب الدخول فى مهاترات أو خلافات ؟ " .

" ريتشارد ؟ لا ، بل العكس من ذلك تماماً ؛ فقد كان هادئاً ، مسالماً " .

" ولكنه كان يحب أن يرافق السيدات القاسيات واللاتى يتمتعن بشخصيات قوية . أليس كذلك ؟ " .

نظر إليه جارى فى اندهاش وقال : " لم يكن ذلك يحدث إطلاقاً . كان ريتشارد يحب المرأة الهادئة الدقيقة " .

" هل كان يحدث مشاجرات بينه وبين أليت ؟ هل كان صوتها يعلو أمامه كثيراً ؟ " .

قال جارى فى حيرة : " إن كل ما تقوله ليس صحيحاً ؛ ولم يحدث بينهما أى من هذه الأشياء التى تذكرها ، بل كانت تجمعهما علاقة هادئة للغاية " .

" هل لاحظت أى شىء بإمكانه أن يجعلك تعتقد أن أليت بيترز قد ترتكب أى شىء لإيذائه ... ؟ " .

" أعترض . إنه يضغط على الشاهد " .

" اعتراض مقبول " .

قال ديفيد : " ليس لدىّ مزيد من الأسئلة " .

وعندما جلس ديفيد ، قال لآشلى : " لا تقلقى ، إن كل ما يفعلونه فى صالح قضيتنا ، وليس ضدها " .

وكان يبدو واثقاً أكثر مما يشعر .

كان ديفيد وساندرا يتناولان العشاء فى مطعم سان فرنسكو ، فى فندق ويندهام ، عندما حضر رئيس النُّدُل إلى ديفيد وقال له :

" هناك مكالمة هاتفية عاجلة لك يا سيد سينجر " .

" أشكرك " . قال ديفيد لساندرا : " سأعود سريعاً " .

قاد رئيس الندل ديفيد إلى الهاتف : " إننى ديفيد سينجر ، من المتحدث ؟ " .

" ديفيد ، إننى جيس . اصعد إلى غرفتك وحادثنى ، إن الأمور انقلبت رأساً على عقب ! " .

الفصل السابع عشر

" جيمس ... ؟ " .

" ديفيد ، أعرف أنه ليس من المفترض أن أتدخل ، ولكني أعتقد أنه ينبغي عليك أن تطلب إسقاط الدعوى " .

" ماذا حدث ؟ " .

" هل دخلت على شبكة الإنترنت في الأيام القليلة الماضية ؟ " .

" لا ، لقد كنت مشغولاً إلى حد ما " .

" إذن ، فإن القضية تملأ الشبكة بأكملها ، وهي الشيء الذي يتحدث عنه كل من يدخل إلى حجرات الدردشة " .

" هذا شيء وارد ، ومحتمل ، ولكن ما ... ؟ " .

" تتناول جميع الأحاديث القضية بشكل سلبي ، فهم يقولون إن آشلي مذنبة ، ويجب إعدامها ، وهم يقولون ذلك بلغة بذيئة للغاية ، لا يمكنك أن تتخيلها " .

أدرك ديفيد الأمر سريعاً ، وقال : " يا إلهي ، إذا دخل أحد أعضاء هيئة المحلفين إلى شبكة الإنترنت ، ف... " .

" للأسف ، بعضهم يفعل ذلك ، وسوف يؤثر ذلك على أفكارهم . سأطلب وقف المحاكمة أو على الأقل عزل هيئة المحلفين " .

" أشكرك ، يا جيمس ، سنفعل ذلك " ، ثم وضع ديفيد السماعة ، وعندما عاد إلى المطعم حيث تجلس ساندرا في انتظاره ، سألته : " هل هناك من أمر سيئ ؟ " .

" نعم " .

قبل أن تنعقد المحاكمة في صباح اليوم التالي ، طلب ديفيد مقابلة القاضية ويليامز ، قاده أحد الحراس إلى حجرة مكتبها ، وكان معها ميكي بريدان .

" هل طلبت رؤيتي ؟ " .

" نعم سيادة القاضية ، عرفت الليلة السابقة أن هذه القضية هي الموضوع الأول على شبكة الإنترنت ، وهي الموضوع الذي يتحدث فيه الجميع من خلال حجرات الدردشة ، وهم بالفعل أدانوا المتهمة ، وهذا الأمر غير منصف على الإطلاق ، وحيث إنني على ثقة من أن بعض المحلفين لديهم أجهزة كمبيوتر يدخلون من خلالها على شبكة الإنترنت ، أو يتحدثون إلى أصدقاء لديهم أجهزة

كمبيوتر ، فإن هذا الأمر يمكنه أن يفسد القضية بشكل خطير . ولذا ، فإننى أطلب رسمياً إسقاط الدعوى " .

فكرت القاضية ويليامز للحظة قبل أن تقول : " طلبك مرفوض " .

ظل ديفيد يحاول جاهداً السيطرة على نفسه : " إذن أطلب عزل المحلفين فوراً حتى ... " .

" يا سيد سينجر ، فى كل يوم تمتلئ المحكمة بالإعلاميين والصحفيين بشكل هائل ، وتعد القضية الموضوع الأول والأهم على شاشة التلفاز ، والراديو ، والجرائد فى جميع أنحاء العالم ، ولقد حذرتك بأن الأمر سيكون مهزلة ، وأنت لا تنصت " ، ثم انحنت للأمام وقالت : " إذا أردت أن يتم عزل المحلفين ، فكان من الأجدى أن تفعل ذلك قبل بداية المحاكمة ، وكنت وقتها لن أمانع فى ذلك . هل لديك أى استفسار آخر ؟ " .

جلس ديفيد بينما يشعر بالامتعاض ، وقال : " لا يا سيادة القاضية " .

" إذن هيا بنا إلى قاعة المحكمة " .

كان ميكى بريشان يقوم باستجواب المأمور داولينتج .

" اتصل النائب بليك بك هاتفياً ليخبرك بأنه سيقضى الليلة فى منزل المتهمة حتى يحميها ، أليس كذلك ؟ لقد أخبرته أن هناك شخصاً ما يهدد حياتها . صحيح ؟ " .

" نعم ، حدث ذلك بالضبط " .

" متى تحدثت إلى النائب بليك ، بعد ذلك ؟ " .

" لم أتحدث إليه ، بل تلقيت مكالمة هاتفية فى الصباح تفيد بأن ... أن جثته وجدت فى الممر الخلفى للبناية التى توجد بها شقة الآنسة باترسون " .

" وبالطبع ذهبت إلى هناك على الفور ؟! " .

" بالطبع " .

" وماذا وجدت هناك ؟ " .

ازدرد لعابه وقال : " جثة سام ملفوفة فى ملاءة مخضبة بالدماء ، فلقد تلقى الطعنات حتى الموت ثم تم التمثيل بجثته كالضحيتين الأخريين " .

" كالضحيتين الأخريين ، إذن جميع القتلى قد تعرضوا لطريقة مشابهة فى قتلهم والتمثيل بهم ؟! " .

" نعم يا سيدى " .

" كما لو أن شخصاً واحداً هو الذى قتلهم ؟ " .

نهض ديفيد : " أعترض " .

" اعتراض مقبول " .

" سأتغاضى عن هذا السؤال ، ولكن ماذا فعلت بعد ذلك أيها المأمور ؟ " .

" حتى تلك اللحظة ، لم يكن هناك شك فى أن آشلى هى التى ارتكبت الجريمة ، ولكن بعد حدوث ذلك . ألقينا القبض عليها ، ورفعنا بصماتها " .

" وبعد ذلك ؟ " .

" أرسلناها إلى مكتب التحقيقات الفيدرالية ، واتضح أن البصمات متطابقة " .

" هل يمكن أن تشرح لهيئة المحلفين ماذا تعنى بتطابق البصمات ؟ " .

استدار المأمور داولينج مواجهاً هيئة المحلفين ، وقال : " تطابقت بصماتها مع البصمات الموجودة فى الملف والتى كانوا يحاولون التعرف عليها من جرائم القتل السابقة " .

" أشكرك أيها المأمور " ، ثم التفت برينان إلى ديفيد ، وقال : " الشاهد فى انتظار استجوابك " .

نهض ديفيد ، وسار نحو منصة الشهود ، وقال : " سيادة المأمور ، سمعنا شهادة فى هذه المحكمة بأنه تم العثور على سكينة ملطخة بالدماء فى مطبخ الآنسة آشلى باترسون . هذا صحيح ؟ " .

" نعم " .

" كيف كانت مختبئة ؟ هل كانت ملفوفة فى شىء ما ؟ أو موضوعة فى مكان بحيث لا يمكن العثور عليها ؟ " .

" لا . بل كانت أمام الأعين مباشرة " .

" أمام الأعين مباشرة ! تركها هناك شخص ما ليس لديه ما يخفيه . شخص ما برىء لأنه ... " .

" اعتراض ! " .

" اعتراض مقبول ! " .

" ليس لدى المزيد من الأسئلة " .

" ويمكن للشاهد أن ينصرف " .

قال برينان : " إذا سمحت هيئة المحلفين ... " ، ثم أشار لشخص ما فى نهاية قاعة المحكمة ، فدخل رجل يرتدى زياً يبدو أنه زى عامل ، ويحمل المرآة التى كانت فى خزانة أدوية آشلى . وكان مكتوباً عليها بأحمر الشفاه : " سوف تموتين ! " .

نهض ديفيد ، وقال : " ما هذا ؟ " .

التفتت القاضية ويليامز إلى ميكى برينان وسألته : " ما هذا يا سيد برينان ؟ " .

" إنها الذريعة التى ساقتها المتهمة لتحضر النائب بليك إلى شقتها حتى يمكنها أن ترتكب جريمتها وتقتله . أريد أن يدون ذلك باعتباره دليل الإثبات الرابع ، وهو مرآة خاصة بخزانة الأدوية من شقة المتهمة " .

" اعتراض ، يا سيادة القاضية ، فهذا ليس له علاقة بالقضية " .

" سأثبت أن ذلك له علاقة بالقضية " .

" سنرى ، والآن ، استمر " .

وضع برينان المرآة أمام هيئة المحلفين بحيث يمكنهم رؤيتها بالكامل .

" هذه المرآة كانت فى الحمام الخاص بمنزل المتهمة " .

نظر برينان للمحلفين ، وواصل قائلاً : " وكما ترون ، مكتوب عليها " سوف تموتين ! " ، وكانت هذه هى الحجة التى لجأت إليها المتهمة لتأتى بالنائب بليك إلى منزلها ، فى تلك الليلة ، ليحميها " ، ثم التفت إلى القاضية ويليامز : " أريد استدعاء الشاهد التالى ، وهى الآنسة لورا نيفين " .

دخلت امرأة فى منتصف العمر ، سارت بعكاز نحو منصة الشهود ، ثم رددت اليمين .

" أين تعملين يا آنسة نيفين ؟ " .

" إننى مستشارة فى بلدة مقاطعة خوسيه " .

" وماذا تعملين ؟ " .

" إنني خبيرة خطوط " .

" ما المدة التي عملت فيها في مقاطعة سان خوسيه حتى الآن ؟ " .

" اثنان وعشرون عاماً " .

أشار بريننان برأسه نحو المرآة ، وقال : " هل رأيت هذه المرآة من قبل ؟ " .

" نعم " .

" وقمت بفحصها ؟ " .

" نعم " .

" لقد رأيت كذلك مثالاً لخط يد المتهمة ، أليس كذلك ؟ " .

" هل أتيحت لك الفرصة لفحص خط يدها ؟ " .

" نعم " .

" وإلام توصلت ؟ " .

" كتبهما نفس الشخص " .

اندهش جميع الحضور في قاعة المحكمة .

" إذن ، ما قولك في أن آشلي باترسون قد كتبت تهديداً لنفسها ؟ " .

" هذا صحيح " .

نظر ميكي بريننان إلى ديفيد ، وقال له : " الشاهد مستعد للرد على أسئلتك " .

تردد ديفيد ، ونظر إلى آشلي ، وكانت تنظر إلى الطاولة ، وتهز رأسها ، وقال ديفيد : " ليس لديّ أي أسئلة " .

تفرست القاضية ويليامز ديفيد ، ثم قالت : " ليس لديك أي أسئلة ، يا سيد سينجر ؟ " .

نهض ديفيد ، قائلاً : " نعم ، ليس لديّ أي أسئلة ، إن كل إفادات هؤلاء الشهود لا معنى لها " ، ثم التفت إلى هيئة المحلفين وقال : " يجب على النيابة أن تبرهن أن آشلي باترسون لها معرفة مسبقة بالضحايا ، ولها من الدوافع ما يجعلها ... " .

قالت القاضية ويليامز بغضب : " لقد حذرتك من قبل ، ليس من المفترض أن توجه تعليماتك لهيئة المحلفين فيما يخص القانون ، إذا ... " .

انفجر ديفيد غاضباً وقال : " مَنْ إذن يمكنه فعل ذلك ؟ إنك تسمحين له أن يفعل كل ما يحلو له ... " .

" يكفيك هذا يا سيد سينجر . رجاء اقترب من منصة القاضي هنا " .

سار ديفيد نحو المنصة .

" إنك توجه إهانة للمحكمة ، وإنني أصدر قراراً الآن بحبسك لمدة يوم في الزنزانة اللطيفة ، وذلك لحين انتهاء هذه المحاكمة " .

" انتظري سيادة القاضية ، فلا يمكنك أن ... " .

قالت بهدوء : " لقد قررت حبسك ليوم . هل ترغب أن تجرب الحبس ليومين ؟ " .

نظر إليها ديفيد بغضب ، وتسارعت أنفاسه وقال : " من أجل مصلحة موكلتي ، سأحتفظ بهدوء أعصابي " .

قالت القاضية بهدوء : " قرار حكيم . رفعت الجلسة " ، ثم اتجهت نحو أحد الحراس ، وقالت : " عندما تنتهي محاكمة اليوم ، أريدك أن تقود السيد سينجر إلى الحبس " .

" نعم ، يا سيادة القاضية " .

التفتت آشلي نحو ساندرا : " يا إلهي ! ماذا يحدث ؟ " .

ضمت ساندرا ذراعيها وقالت : " لا تقلقى ، يجب عليك أن تكونى واثقة فى ديفيد " .

اتصلت ساندرا هاتفياً بجيس كوبلر .

قال : " سمعت ، فالأحداث تملأ الوسائل الإعلامية ، يا ساندرا . إننى لا ألوم على ديفيد فقدانه السيطرة على أعصابه ، فقد كانت القاضية تثير أعصابه منذ البداية . ما الذى فعله ديفيد ليجعلها تتخذ هذا الموقف ؟ " .

" لا أعرف يا جيس ، ويا له من أمر مروع . ليتك رأيت أوجه المحلفين ، إنهم يكرهون آشلى ، وليس باستطاعتهم الانتظار حتى يصدروا حكماً بإدانتها . حسناً إنها مهمة الدفاع التالية . سوف يعمل ديفيد على تغيير أفكارهم ومواقفهم " .

أتمنى ذلك .

* * *

" القاضية وليامز تكرهنى يا ساندرا ، وهذا يزعج آشلى . إذا لم أستطع أن أفعل أى شىء حيال ذلك فسوف تموت آشلى ولا يمكن أن أسمح بأن يحدث ذلك " .

سألته ساندرا : " ماذا بإمكانك أن تفعل ؟ " .

أخذ ديفيد نفساً عميقاً ، وقال : " التنحى عن القضية " .

وكلاهما يعرف ما يعنيه ذلك ، فسوف تتناول وسائل الإعلام جميعها فشله فى القضية .

قال ديفيد فى مرارة : " لم يكن من المفترض أبداً أن أقبل هذه القضية ! " .

" لقد وثق الدكتور باترسون فى قدرتى على إنقاذ حياة ابنته ، وأنا ... " . لم يتمكن من مواصلة حديثه .

أحاطته ساندرا بذراعيها واقتربت منه ، وقالت : " لا تقلق يا عزيزى ، فكل شىء سيصبح على ما يرام " .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : لقد خذلت الجميع . آشلى ، وساندرا ، ... وسوف يتم فصلى من العمل ، ولن أحصل على وظيفة ، ونحن فى انتظار الوليد الجديد .

" كل شىء سيصبح على خير ما يرام " .

حقاً .

فى الصباح ، طلب ديفيد رؤية القاضية وليامز فى مكتبها ، وكان ميكى بريتان موجوداً هناك .

قالت القاضية وليامز : " أطلبت رؤيتى ، يا سيد سينجر ؟ " .

" نعم ، يا سيادة القاضية ، أريد التنحى عن هذه القضية " .

قالت القاضية وليامز : " وما السبب فى ذلك ؟ " .

قال ديفيد بحرص : " لا أعتقد أننى المحامى المناسب لهذه القضية . أعتقد أننى أضر بموكلتى ، وأريد أن يحل محلى محامٍ آخر " .

قالت القاضية وليامز بهدوء : " سيد سينجر ، إذا كنت تعتقد بأننى سأسمح لك بأن تنأى بنفسك عن كل هذا وتبدأ من جديد وتضيع المزيد من الوقت والمال ، فأنت مخطئ تماماً ، فإننى أرفض طلبك هذا ، هل تعى ذلك ؟ " .

أغلق ديفيد عينيه للحظة ، مجبراً نفسه على أن يظل هادئاً ، ورفع نظره ، وقال : " نعم يا سيادة القاضية ، إنني أعى ذلك " .

وأصبح الآن فى مأزق !

الفصل الثامن عشر

مر أكثر من ثلاثة شهور منذ بدأت القضية ، ولا يستطيع ديفيد أن يتذكر متى كانت آخر مرة حصل فيها على قدر وفير من النوم .

بعد ظهيرة أحد الأيام ، وعندما عاد كل من ساندرا وديفيد من المحكمة . قالت ساندرا : " أعتقد يا ديفيد أنه ينبغى علىّ العودة إلى سان فرانسيسكو " .

نظر ديفيد إليها فى دهشة : " لماذا ؟ إننا فى منتصف ... آه ، يا إلهى " ، ثم أحاطها بذراعيه ، وقال : " الوليد ؟ هل حان وقت مولده ؟ " .

ابتسمت ساندرا ، وقالت : " سيحضر فى أية لحظة ، وسأكون هناك في أمان أكثر حيث سأكون على مقربة من الدكتور بيلى ، وقد قالت أمى إنها ستأتى لتقيم معى " .

قال ديفيد : " بالتأكيد يجب أن تعودى إلى سان فرانسيسكو ، لقد فقدت الشعور بالزمن ، فسوف يحضر خلال ثلاثة أسابيع ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

تجهم وقال : " ولن يمكننى التواجد معك هناك " .

أمسكت ساندرا بيديه ، وقالت : " لا تقلق ، يا عزيزى . ستنتهى هذه القضية قريباً " .

" هذه القضية اللعينة تدمر حياتنا " .

" ديفيد ، ستتحسن أمورنا ، ووظيفتى السابقة فى انتظارى الآن . بعد حضور وليدنا ، يمكننى ... " .

قال ديفيد : " إننى شديد الأسف ، يا ساندرا ، فكم أتمنى ... " .

" ديفيد ، لا تأسف لعملك شيئاً تؤمن بصحته " .

" إننى أحبك " .

" إننى أحبك " .

ثم وضع يديه على بطنها : " إننى أحبكما " ، وتنهد قائلاً : " وهو كذلك ، سأساعدك على حزم حقائبك ، سأصطحبك بالسيارة إلى سان فرانسيسكو الليلة ، و ... " .

قالت ساندرا بشكل حاسم : " لا ، لا يمكنك أن تأتى معى وتترك عملك ، سأطلب من إميلى أن تقوم بذلك " .

" اسأليها إذا ما كان بإمكانها المجىء لتتناول العشاء معنا الليلة " .

" حسناً ، وهو كذلك " .

كانت إميلى مسرورة ، وقالت : " بالطبع يمكننى اصطحابك " .

ووصلت إلى سان جوز بعد ساعتين تقريبا .

تناول ثلاثتهم العشاء فى ذاك المساء فى مطعم شاى جان .

قالت إميلى : " إنه توقيت غير مناسب ، فكم يضايقنى أن تبتعدا عن بعضكما البعض فى مثل هذا الوقت ؟ " .

قال ديفيد بنبرة رجاء : " لقد أشرفت القضية على الانتهاء وربما تنتهى حتى قبل مجىء المولود " .

قالت إميلى مبتسمة : " وحينها سنحتفل بمناسبتين " .

إنه وقت رحيل ساندرا ، فأحاطها ديفيد بذراعه وقال : " سأتحدث إليك كل ليلة " .

" أرجوك لا تقلق بشأنى ، سأكون بخير ، إننى أحبك ، حباً جماً " ، ثم نظرت إليه وقالت : " فقط اعتن بنفسك يا ديفيد ، فأنت تبدو متعباً " .

ولم تكد ترحل ساندرا حتى أدرك ديفيد كم سيكون وحيداً بكل ما تحمله الكلمة من معان .

انعقدت جلسة المحاكمة .

نهض ميكى برينان ، وتوجه إلى المنصة ، وقال : " أريد استدعاء الدكتور لورانس لاركين ، باعتباره الشاهد التالى " .

دخل رجل أنيق الملابس رمادى الشعر ، وردد يمينه ووقف على منصة الشهود .

" إننى أشكرك جزيلاً على حضورك إلى هنا يا دكتور لاركين ، فأنا أعرف أن وقتك ثمين . هل يمكنك أن تخبرنا بالقليل عن حياتك العملية ؟ " .

" إننى طبيب ناجح فى شيكاغو ، وكنت رئيساً سابقاً لمؤسسة الطب النفسى فى شيكاغو " .

" كم من الأعوام قضيتها فى هذه المهنة يا دكتور ؟ " .

" تقريباً ثلاثين عاماً " .

" وباعتبارك طبيباً نفسياً ، أعتقد أنك رأيت العديد من حالات انفصام الشخصية المتعدد ؟ " .

" لا " .

تجهم بريتان : " بقولك لا ، هل تعنى أنك لم ترَ الكثير منها ؟ ربما حالات معدودة ؟ " .

" إننى لم أر أبداً حالة واحدة لانفصام الشخصية المتعدد " .

نظر بريتان إلى هيئة المحلفين ، نظرة تحمل الدهشة ، ثم عاد إلى سؤال الدكتور ، وقال : " خلال ثلاثين عاماً من العمل مع الأمراض الذهنية ، ولم تصادف حالة واحدة لمرض الانفصام المتعدد للشخصية ؟ " .

" هذا صحيح " .

" إننى مندهش ، ولكن ما تفسيرك لذلك ؟ " .

" ببساطة ، إننى لا أعتقد أن هناك ما يسمى انفصام الشخصية المتعدد " .

" إننى فى حيرة شديدة ، ألم يتم التبليغ عن حالات من انفصام الشخصية المتعدد من قبل ؟ " .

اعترض الدكتور لاركين : " إن التبليغ عنها لا يعنى كونها حقيقية . هناك بعض الأطباء الذين يعتقدون فى وجود اضطراب الشخصية التعددى ، وهم يخلطون ما بينه ، وبين الشيزوفرينيا ، والاكتئاب المرضى ، واضطرابات التوتر المختلفة الأخرى " .

" إنه أمر مثير ، إذن فى رأيك كطبيب نفسانى محنك ، فأنت لا تعتقد أن اضطراب الشخصية المتعدد يوجد حقاً ، أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " .

" أشكرك يا دكتور " ، ثم التفت إلى ديفيد ، وقال : " الشاهد مستعد لأسئلتك " .

نهض ديفيد وسار نحو منصة الشهود ، وقال : " ذكرت من قبل أنك رئيس سابق لمؤسسة الطب النفسى فى شيكاغو ، صحيح ؟ " .

" نعم " .

" بالتأكيد قابلت الكثير من زملائك الأطباء " .

" نعم ، وإننى أفخر بقولى ذلك " .

" هل تعرف الطبيب رويس سالم ؟ " .

" نعم ، أعرفه جيداً " .

" هل هو طبيب ماهر ؟ " .

" ممتاز ، وأحد أفضل الأطباء " .

" هل قابلت من قبل الدكتور كلايد دونوفان ؟ " .

" نعم ، قابلته عديداً من المرات " .

" هل تعتقد أنه طبيب نفسانى ماهر ؟ " .

" كنت سألجأ إليهم ـ ضحكة خافتة ـ إذا احتجت لأحدهم " .

" وماذا عن الدكتور انجرام ؟ هل تعرفه ؟ " .

" راى انجرام ؟ بالطبع أعرفه ، رجل ماهر " .

" طبيب نفسانى حاذق ؟ " .

" نعم " .

" أريدك أن تخبرنى : هل يمكن أن يتفق جميع الأطباء النفسيين على كل حالة ذهنية ؟ " .

" بالطبع لا . بالطبع هناك بعض الاختلافات ، إن الطب النفسانى ليس علماً يقينياً بل نسبيًا " .

" هذا أمر مثير ، يا دكتور ، لأن الدكتور سالم ، والدكتور دونوفان ، والدكتور انجرام سيحضرون إلى هنا ويقدمون شهادتهم بأنهم تعاملوا مع حالات من انفصام الشخصية المتعدد ، ربما ليس منهم من هو فى خبرتك وتفوقك . هذا ما لدىَّ ، وليس لدىَّ المزيد من الأسئلة " .

وجهت القاضية ويليامز حديثها لبرينان ، وقالت : " هل ستواصل استجوابك للشاهد ؟ " .

نهض برينان ، واتجه نحو منصة الشهود .

وقال : " هل تعتقد يا دكتور لاركين أن اختلاف هؤلاء الأطباء معك يعنى أنهم على صواب وأنك قد أخطأت ؟ " .

" لا . يمكننى أن أحضر عشرات من المختصين النفسيين والذين لا يعتقدون فى وجود الانفصام المتعدد للشخصية " .

" أشكرك يا دكتور ، ليس لدىَّ المزيد من الأسئلة " .

قال ميكى برينان : " دكتور أبتون ، سمعنا إفادة تقول إنه أحياناً ما يختلط الأمر حقاً فيشتبه ما يعتقد أنه اضطراب متعدد

للشخصية ، باضطرابات وأعراض أخرى . ما الاختبارات التى يمكنها أن تثبت أن انفصام الشخصية المتعدد ليس اضطراباً آخر ؟ " .

" ليس هناك من اختبار لذلك " .

فغر برينان فاه مندهشاً وهو ينظر إلى المحلفين ، وقال : " ليس هناك اختبار ؟ هل تعنى أنه ليس هناك من وسيلة لنعرف ما إذا كان شخص ما يدّعى إصابته بالانفصام التعددى ، كاذباً ، أو متمارضاً ، أو مستخدماً لهذا المرض كمبرر لجريمة ما ارتكبها ولا يريد أن يتحمل مسئوليتها ؟ " .

" كما قلت ، ليس هناك اختبار " .

" إذن هل هى فقط مسألة رأى ووجهة نظر ؟ حيث يعتقد بعض الأطباء النفسيين فيه والبعض الآخر لا يعتقد ؟ " .

" هذا صحيح " .

" دعنى أسألك يا دكتور ، إذا ما قمت بتنويم شخص ما مغناطيسياً ، بالتأكيد يمكنك أن تحدد ما إذا كان مصاباً فعلاً بالانفصام التعددى للشخصية أو أنه مدعٍ إصابته بذلك ، صحيح ؟ " .

هز الدكتور أبتون رأسه نافياً ، وقال : " للأسف هذا غير صحيح . حتى تأثير التنويم المغناطيسى أو باستخدام مصل الحقيقة لا يمكن أن يجزم بمدى صدق أو كذب مدعى الإصابة بالمرض ، فإنه ليس هناك من طريقة يمكن بها معرفة ما إذا كان هذا الشخص كاذباً أم لا " .

" هذا أمر غريب حقاً ، أشكرك يا دكتور ، انتهت أسئلتى " . ثم اتجه برينان نحو ديفيد ، وقال : " يمكنك استجواب الشاهد " .

نهض ديفيد واتجه نحو منصة الشهود ، وقال : " دكتور أيتون ، هل حضر إليك مرضى من قبل قام أطباء آخرون بتشخيص حالتهم على أنها انفصام الشخصية التعددى ؟ " .

" نعم ، وحدث ذلك فى مرات عديدة " .

" وهل عالجت هؤلاء المرضى ؟ " .

" لا ، لم أفعل ذلك " .

" لماذا ؟ " .

" لا يمكننى معالجة حالات ليس لها وجود . كان أحد المرضى مختلساً ، وأراد منى تقديم شهادتى بأنه ليس مسئولاً عما اقترفه من خطأ ، لأنه لديه شخصية بديلة هى من فعلت ذلك . كما حضرت لى مريضة أخرى ربة منزل ، قد تم القبض عليها لضربها أبناءها . وكانت تقول إن شخصاً ما بداخلها جعلها تفعل ذلك ، وهناك حالات أخرى ليست بقليلة وبمبررات مختلفة ، ولكنهم جميعاً يحاولون الابتعاد بمنأى عن شىء ما ، بمعنى آخر كانوا يتظاهرون بذلك " .

" يبدو أن رأيك نهائى وحاسم بخصوص هذا الأمر ، يا دكتور " .

" نعم ، وأعرف أننى على حق " .

" تعرف أنك على حق ؟ " .

" حسناً ، أقصد ... " .

" تقصد أن كل شخص آخر يجب أن يكون مخطئاً ، أليس كذلك ؟ جميع الأطباء الذين يؤمنون بمرض الانفصام التعددى للشخصية مخطئون ، صحيح ؟ " .

" إننى لا أعنى ذلك ... " .

" وأنت الشخص الوحيد المصيب . أشكرك يا دكتور ، وانتهت أسئلتى " .

صعد الدكتور سيمون رالى إلى منصة الشهود ، كان قصيراً ، وأصلع ، وفى الستينات من عمره .

قال برينان : " أشكرك على المجىء إلى هنا يا دكتور ، فإن مهنتك شاقة ، وتشغل وقتك كله . إنك أستاذ جامعى ، وذهبت إلى المدرسة فى ... " .

نهض ديفيد : " السيد برينان يعتمد على شهرة الشاهد وسمعته " .

" أشكرك " ، ثم اتجه برينان نحو الشاهد وواصل استجوابه : " دكتور رالى ، ماذا يعنى المرض علاجى المنشأ أياترو جنستى " .

" يحدث هذا عندما يكون هناك مرض موجود بالفعل فيعمل العلاج أو الدواء النفسى على تفاقم هذا المرض " .

" هل يمكنك أن تكون أكثر تحديداً ؟ " .

" حسناً ، فى العلاج النفسى ، غالباً ما يحدث أن يؤثر الطبيب النفسانى على المريض من خلال الأسئلة أو الاتجاهات الفكرية ، وربما يجعل المريض يشعر بأنه ينبغى عليه أن يتوافق مع توقعات المعالج " .

" وكيف ينطبق ذلك على الانفصام التعددى للشخصية ؟ " .

" إذا ما قام الطبيب النفسانى باستجواب المريض عن شخصيات البديلة المختلفة ، والتى توجد بداخله . فالمريض قد يختلق بعضها حتى يرضى الطبيب ، وهذه هى منطقة المناورة والخداع وحتى مصل الحقيقة والتنويم المغناطيسى قد يصور أعراض الانقسام التعدد للشخصية فى المرضى الذين هم فى الأصل طبيعيون " .

" إذن ما قولك فيما يقال إن الطبيب عندما يخضع المريض للتنويم المغناطيسى ، فإنه ـ أى الطبيب ـ بإمكانه أن يبدل حالة المريض حتى يعتقد المريض فى شىء ليس حقيقياً ؟ " .

" هذا يحدث بالضبط " .

" أشكرك يا دكتور " ، ثم نظر إلى ديفيد وقال : " الشاهد فى انتظارك " .

قال ديفيد : " أشكرك " ، ثم نهض وسار نحو منصة الشهود ، ثم قال بلطف : " إنك تتمتع بخبرات مذهلة ، فإنك لست طبيباً نفسياً فقط ، ولكنك أيضاً أستاذ جامعى " .

" نعم " .

" ما المدة التى عملت فيها مدرساً ، يا دكتور ؟ " .

" أكثر من خمسة عشر عاماً " .

" هذا أمر رائع ، وكيف توزع وقتك ؟ أعنى هل تقضى نصف وقتك فى التدريس ، والنصف الآخر فى ممارسة المهنة كطبيب ؟ " .

" الآن ، أنا أعمل مدرساً لدوام كامل " .

" حقاً ؟ منذ متى وأنت لم تمارس مهنتك كطبيب يتعامل مع المرضى ؟ " .

" ثمانى سنوات تقريباً ، ولكننى مطلع على كل ما هو جديد فى ثقافة المجال الطبى الذى أعمل فيه " .

" إننى معجب بذلك جداً ، إذن فأنت تقرأ كل شىء ، وهذا هو السبب الذى جعلك تعرف جيداً عن المرض العلاجى المنشأ المعروف بأياترو جينستى ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" وهل حدث فى الماضى أن حضر إليك مرضى يدعون إصابتهم بالانقسام المتعدد للشخصية ؟ " .

" حسناً ، ليس ... ؟ " .

" ليس كثيراً ؟ فى السنوات التى عملت فيها طبيباً ، هل حضر إليك عشرات الحالات المصابة بالانقسام المتعدد للشخصية ؟ " .

" لا " .

" ست ؟ " .

هز الدكتور رأسه بالنفى .

" أربع ؟ " .

لم يرد .

" دكتور ، هل حضر إليك من قبل أى مريض مصاب بالانقسام المتعدد للشخصية ؟ " .

" حسناً من الصعب أن ... " .

" نعم أم لا ، يا دكتور " .

" لا " .

" إذن كل ما تعرفه فعلاً عن انقسام الشخصية التعددى هو ما قرأته ، صحيح ؟ انتهت أسئلتى " .

وقامت النيابة باستدعاء ستة شهود آخرين ، ولقد كانت شهاداتهم متطابقة ، وقام مايكى برينان بالاستعانة بشهادة تسعة

من كبار الأطباء النفسيين من مختلف أنحاء البلدة ، وقد اتفقوا جميعاً على أنه لا وجود لمرض الانفصام المتعدد للشخصية

وكانت مهام النيابة في القضية قد انتهت .

وعندما تم الانتهاء من استجواب آخر شاهد في قائمة شهود النيابة ، قالت القاضية ويليامز لبرينان : " هل لديك أي شاهد آخر لتستدعيه يا سيد برينان ؟ " .

" لا ، يا سيادة القاضية . ولكنني أريد أن أعرض على هيئة المحلفين بعض الصور الخاصة بمسارح الجريمة التي تمت فيها عمليات القتل ... " .

قال ديفيد وهو في ثورة من الغضب : " أرفض بشدة " .

التفتت القاضية ويليامز نحو ديفيد وقالت : " ماذا تقول يا سيد سينجر ؟ " .

" أقول ... " ، ثم تمالك ديفيد نفسه : " إنني أعترض فالنيابة تحاول أن تؤجج مشاعر المحلفين ، وذلك بواسطة ... " .

" الاعتراض مرفوض ، فالقانون واضح ، والمبادئ تم إرساؤها قبل بدء المحاكمة " ، ثم التفتت القاضية ويليامز إلى برينان وقالت " يمكنك عرض الصور " .

عاد ديفيد إلى مقعده في ثورة وغضب .

عاد برينان إلى مجلسه ، ثم أخرج مجموعة كبيرة من الصور وأعطاها للمحلفين .

" للأسف إن رؤية هذه الصور أمر غير سار سيداتي ، وسادتي ، ولكن هذا هو الأمر الذي قضيتنا بصدده ، إنها ليست بصدد مناقشة كلمات أو نظريات ، أو مبررات . إنها لا تتعلق بشخصيات بديلة

غامضة تقتل أناساً آخرين ، إنها تتعلق بثلاثة أشخاص تعرضوا للقتل بوحشية وقسوة ، والقانون ينص على أن شخصاً ما يجب أن يدفع ثمن هذه الجرائم ، ويعود الأمر إليكم الآن في تطبيق العدالة " .

استطاع برينان أن يرى ملامح الرهبة والخوف على أوجه المحلفين بينما ينظرون إلى الصور .

استدار نحو القاضية ويليامز وقال : " النيابة انتهت من إجراءاتها " .

نظرت القاضية ويليامز إلى الساعة في معصمها ، وقالت : " إنها الآن الرابعة ، سوف تنتهي محاكمة اليوم ، على أن تبدأ مرة أخرى في تمام العاشرة من صباح يوم الاثنين ، رفعت الجلسة " .

الفصل التاسع عشر

كانت آشلى على المشنقة تنتظر الحارس ليقوم بإعدامها شنقاً ، إلا أن شرطياً حضر سريعاً ، وقال : " انتظر لحظة ، من المفترض أنها ستعدم بالصدمة الكهربائية " .

تغير المشهد ، وكانت آشلى جالسة على الكرسى الكهربائى ، وصعد الحارس ليسحب عصا التشغيل ، ولكن هنا حضرت القاضية ويليامز بأقصى سرعة ، صارخة : " لا ، إننا سنقتلها بحقنة قاتلة " .

نهض ديفيد واعتدل فى جلسته على فراشه ، بينما كانت دقات قلبه فى تتابع سريع . كانت ملابسه مبللة من غزارة عرقه . بدأ ينهض ، ولكنه فجأة شعر بالدوار ، وكذلك بألم شديد فى رأسه ، كما شعر بالحمى الشديدة ، حيث قد تحسس جبهته ، فوجدها ساخنة للغاية .

وبينما بدأ ديفيد ينهض من فراشه ، حال دون ذلك شعوره بموجة من الدوار الشديد ، وقال : " آه ، لا ليس اليوم ، ليس الآن " .

فهذا اليوم الذى طال انتظاره ، إنه اليوم الذى سيبدأ فيه الدفاع عرض قضيته . دلف إلى الحمام ، وغسل وجهه بماء بارد . نظر إلى المرآة ، وقال : " إنك تبدو وكأنك فى جحيم " .

عندما وصل ديفيد إلى المحكمة ، كانت القاضية ويليامز بالفعل فوق المنصة ، وكان الجميع فى انتظاره ، قال ديفيد بصوت واهن : " أعتذر لتأخرى ، هل لى أن أقترب من المنصة ؟ " .

" نعم " .

سار ديفيد وصعد إلى المنصة ، وكان مايكى برينان قريباً منه جداً ، وكان خلفه . قال ديفيد : " سيادة القاضية ، إننى أريد أن أطلب تأجيل الجلسة ليوم واحد " .

" وما المبرر لذلك ؟ " .

" إننى ... أشعر بأننى لست على ما يرام ، وبالتأكيد سيكتب لى الطبيب دواءً ، وفى الغد سأكون بخير " .

قالت القاضية ويليامز : " لماذا لا تجعل لك مساعداً ليحل محلك ؟ " .

نظر إليها ديفيد فى دهشة ، وقال : " ليس لدىّ مساعد " .

" لماذا يا سيد سينجر ؟ " .

" لأن ... " .

مالت القاضية ويليامز إلى الأمام ، مقتربة منه ، قائلة : " إننى لم أر أبداً قضية قتل متعددة قد طالت مثل هذه ، إنك تبحث عن الشهرة والمجد . وهذا ما جعلك تعمل بمفردك ، أليس كذلك

يا سيد سينجر ؟ حسناً لن تجد ذلك في هذه المحكمة . وسأخبرك بشيء آخر ، إنك تعتقد بالطبع أنه ينبغي عليّ إنقاذ نفسي من عدم اعتقادي في القوى الخفية والشيطانية التي تبنى عليها دفاعك ، ولكنني لن أفعل ذلك ، سوف تمنح هيئة المحلفين فرصة القرار فيما إذا كانت موكلتك بريئة أو غير ذلك . هل هناك أي شيء آخر يا سيد سينجر ؟ " .

وقف ديفيد محملقاً فيها ، وكانت القاعة تدور به ، أراد أن يقول لها : " اذهبي إلى الجحيم " . أراد أن يجثو على ركبتيه ، ويتوسل إليها بأن تكون عادلة معه ، كما تمنى أن يعود إلى فراشه ، ولكنه قال بصوت واهن : " لا ، أشكرك يا سيادة القاضية " .

أومأت القاضية ويليامز برأسها وقالت : " يا سيد سينجر ، إنك لن تحصل على راحة ، لا تضيع المزيد من وقت هذه المحكمة " .

سار ديفيد نحو منصة المحلفين ، محاولاً أن يتناسى صداعه والحمّى التي أصابته ، وتحدث ببطء .

" سيداتي ، وسادتي ، إنكم استمعتم إلى النيابة تستهزئ وتسخر من الحقائق المتعلقة بمرض الانفصام المتعدد للشخصية ، وإنني على ثقة من أن السيد بريشان لم يكن متعمداً سوء النية ، ولكنه قد بنى جميع أدلته على الجهل بطبيعة هذا المرض ، والحقيقة الواضحة أنه لا يعرف أي شيء عن انفصام الشخصية المتعدد ، وينطبق نفس الأمر على الشهود الذين استدعاهم إلى منصة الشهود ، ولكنني سأستشهد ببعض الأشخاص للحديث إليكم وهم يعرفون جيداً بهذا الأمر . إنهم أطباء مشهورون وخبراء في التعامل

مع الانفصام المتعدد للشخصية ، وعندما تستمعون إلى شهادتهم ، فإنني متأكد من أن ذلك سيضفي منظوراً جديداً ومختلفاً على ما قد قاله السيد بريشان قبل ذلك " .

واصل ديفيد حديثه : " لقد تحدث السيد بريشان عن ارتكاب موكلتي لهذه الجرائم ، ومن المهم جداً أن أشير إلى أنه اعتبرها مذنبة ، وبالنسبة لأي جريمة قتل من الدرجة الأولى ، وحتى يتم إثباتها ، فلا يجب أن تكون هناك فقط إدانة بالذنب ، ولكن أيضاً إدانة بالنية ، أو الترصد ، وسوف أثبت لكم أن موكلتي لم يكن لديها إطلاقاً النية أو الترصد لارتكاب هذه الجرائم ؛ وذلك لأن آشلي باترسون لم يكن بإمكانها فرض السيطرة والتحكم في نفسها في وقت حدوث الجرائم . إنها غير مدركة تماماً لحدوث هذه الجرائم ، وسوف يحضر بعض الأطباء البارزين للشهادة بأن آشلي باترسون لها شخصيتان إضافيتان أو بديلتان ، إحداهما مسيطرة عليها " .

نظر ديفيد إلى أوجه المحلفين ويبدو أنهم كانوا يتأرجحون أمامه ، فضغط على عينيه بإغماضها للحظة .

" هيئة الطب النفسي الأمريكي ، تقر بوجود مرض الانفصام المتعدد للشخصية ، وكذلك الأطباء البارزون حول العالم والذين قاموا بعلاج مثل هذه الحالات ، وقد قامت إحدى الشخصيتين البديلتين لآشلي بارتكاب جرائم القتل ، ولكنها كانت شخصية - أو بديلاً - لم يكن بمقدور آشلي فرض سيطرتها عليها " . أصبح صوته يزداد قوة . فواصل قائلاً : " وحتى ننظر للأمر بوضوح أكثر ، فيجب أن تفهموا جيداً أن القانون لا يعاقب شخصاً بريئاً . وبالتالي فإن في قضيتنا يوجد تناقض عجيب . تخيل أن توءماً من التوائم السيامية

أو الملتصقة خضع للمحاكمة بتهمة القتل . يقول القانون إنه لا يمكن معاقبة المذنب ، لأنك عندئذٍ ستضطر إلى معاقبة البرىء معه " . كان المحلفون ينصتون فى انتباه .

أشار ديفيد برأسه تجاه آشلى : " فى هذه القضية ، نحن أمام ثلاثة أشخاص لا شخصين ، وعلينا أن نتعامل معهم " .

اتجه ديفيد نحو القاضية ويليامز ، وقال لها : " أريد استدعاء الشاهد الأول ، وهو الدكتور جول أشانتى " .

" دكتور أشانتى ، أين تمارس الطب ؟ " .

" فى مستشفى ماديسون ، فى نيويورك " .

" وهل حضرت إلى هنا ، بناءً على طلبى منك ذلك ؟ " .

" لا ، بل قرأت عن هذه القضية ، وأردت الإدلاء بالشهادة . إننى عملت مع مرضى مصابين بانفصام متعدد للشخصية ، وأردت تقديم المساعدة ، إذا أمكننى ذلك . إن الانفصام المتعدد للشخصية هو مرض معروف أكثر مما يدركه العامة ، وإننى أريد محاولة توضيح أى سوء فهم لهذا الأمر " .

" إننى أقدر ذلك ، يا دكتور . فى حالات كهذه ، هل من المعتاد أن تجد مرضى لهم شخصيتان أو بديلان ؟ " .

" من واقع خبرتى ، فإن الأشخاص المصابين بالانفصام المتعدد للشخصية ، عادة ما يكون لديهم المزيد من الشخصيات البديلة ، وأحياناً تصل هذه الشخصيات البديلة إلى مائة ! " .

اتجه الدكتور تاكر ليهمس فى أذن مايكى بريننان بشىء ما ، فابتسم بريننان .

" ما المدة التى عملت فيها مع حالات الانفصام المتعدد للشخصية ، يا دكتور أشانتى ؟ " .

" لمدة الخمسة عشر عاماً الأخيرة " .

" بالنسبة لأى مريض مصاب بالانفصام المتعدد ، هل عادة ما يكون هناك بديل واحد هو المتحكم والمسيطر على البدائل الأخرى ، وكذلك الشخص الأصلى ؟ " .

" نعم " .

بعض المحلفين كانوا يدونون ملاحظاتهم .

" وهل العائل ـ الشخص الأصلى ـ الذى يوجد بداخله الشخصيات البديلة الأخرى يعى بوجود هذه الشخصيات ؟ " .

" هذا الأمر يختلف من حالة لأخرى . فى بعض الأحيان يعرف المريض كل الشخصيات البديلة ، وأحياناً ما يعرف فقط بعضها . ولكن العائل عادة ما لا يكون مدركاً لها ، حتى يتم علاجه بالطب النفسى " .

" هذا أمر مثير ، ولكن هل يمكن علاج الانفصام المتعدد ؟ " .

" فى الغالب ، يمكن علاجه ، إنه يتطلب علاجاً نفسياً خلال فترة طويلة ، تصل أحياناً إلى ست أو سبع سنوات " .

" هل تمكنت من قبل من علاج مرضى مصابين بالانفصام المتعدد ؟ " .

" نعم " .

" أشكرك يا دكتور " .

اتجه ديفيد ليفحص المحلفين للحظة ، ففكر قائلاً : يبدو عليهم الاهتمام ولكن ليس الاقتناع .

رفع نظره إلى ميكى بريتان ، وقال له : " الشاهد فى انتظار استجوابك " .

نهض بريتان وسار نحو منصة الشهود ، وقال : " دكتور أشانتى ، لقد ذكرت أنك سافرت جواً كل تلك المسافة من نيويورك إلى هنا فقط لأنك أردت تقديم المساعدة . أليس كذلك ؟ " .

" هذا صحيح " .

" مجيئك إلى هنا لا يعنى أى شىء بالنسبة لحقيقة كون هذه القضية من القضايا الشهيرة ، وأن هذه الشهرة سوف تحقق مكاسب كثيرة لـ ... " .

نهض ديفيد سريعاً ، وقال : " أعترض ، إنه يحاول ... " .

" اعتراضك مرفوض " .

قال الدكتور أشانتى بهدوء : " لقد أوضحت سبب مجيئى إلى هنا " .

" حسناً كم عدد المرضى الذين يعانون من اضطرابات ذهنية ، وقمت أنت بمعالجتهم ، منذ أن عملت بمهنة الطب يا دكتور ؟ " .

" آه ، ربما مائتان " .

" كم من هؤلاء المرضى عانى الانفصام التعدد للشخصية ؟ " .

" اثنتا عشرة حالة ... تقريباً " .

نظر إليه بريتان فى دهشة ، وقال : " اثنتا عشرة حالة من مائتى مريض ؟ " .

" تماماً ، وكما تعرف ... " .

" إن ما لا أعرفه يا دكتور أشانتى ، هو كيف يمكنك أن تعتبر نفسك خبيراً ، بينما تعاملت فقط مع هؤلاء المرضى القلائل جداً .

يفضل أن تقدم لنا دليلاً واضحاً يثبت وجود أو عدم وجود ما يسمى بالانفصام المتعدد للشخصية " .

" عندما نقول برهاناً ... " .

" إننا فى المحكمة يا دكتور ، ولن يبنى المحلفون قراراتهم على النظريات والآراء الشخصية . فمثلاً ، ما الحال إذا كره المتهم الأشخاص الذين قتلهم ثم قرر بعد قتلهم أن يلجأ إلى مبرر البديل الذى يوجد داخله حتى ... " .

نهض ديفيد سريعاً : " اعتراض ، إن ذلك جدال عنيف يستنزف الشاهد " .

" اعتراضك مرفوض " .

" يا سيادة القاضية ... " .

" من فضلك الجلوس يا سيد سينجر " .

أمعن ديفيد النظر إلى القاضية ثم عاد إلى مجلسه فى غضب .

" إذن إن ما تقوله لنا يا دكتور هو أنه ليس هناك دليل يبرهن وجود أو عدم وجود الانفصام المتعدد " .

" حسناً ، لا ، ولكن ... " .

أومأ بريتان : " هذا كل ما فى الأمر " .

كان الدكتور سالم رويس على منصة الشهود .

قال ديفيد : " دكتور سالم ، لقد قمت بفحص آشلى باترسون ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى قمت بفحصها " .

" والام توصلت ؟ " .

" الآنسة باترسون تعانى من مرض الانفصام المتعدد للشخصية ، ولها شخصيتان بديلتان تدعيان تونى بريسكوت ، وأليت بيترز " .

" هل يمكنها فرض أى سيطرة عليهما ؟ " .

" إطلاقاً ، وعندما تظهران تصبح هى فى حالة من فجوة الذاكرة " .

" هل يمكنك تفسير ذلك يا دكتور سالم ؟ " .

" فجوة الذاكرة ، حالة يفقد فيها المريض وعيه ، ولا يمكن له إدراك مكانه أو الأنشطة التى يفعلها ، وتستمر هذه الحالة ، لدقائق قليلة ، أو أيام ، وأحياناً لأسابيع " .

" وأثناء هذه الفترة هل يكون المريض مسئولاً عن أفعاله ؟ " .

" لا " .

" أشكرك يا دكتور " ، ثم التفت إلى بريخان : " حان دورك فى استجواب الشاهد " .

قال بريخان : " دكتور سالم ، إنك تعمل مستشاراً لعديد من المستشفيات ، وكذلك تلقى بمحاضراتك فى جميع أنحاء العالم ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، يا سيدى " .

" وأعتقد أن زملاءك فى العمل كذلك موهوبون ، وأطباء ماهرون " .

" نعم ، فهم كذلك " .

" إذن ، جميعهم يتفقون على الانفصام المتعدد للشخصية ؟ " .

" لا " .

" ماذا تقصد بقولك لا ؟ " .

" البعض منهم يعترض " .

" تعنى أن البعض لا يعتقد فى وجود المرض ؟ " .

" نعم " .

" ولكنهم مخطئون ، وأنت على صواب ، صحيح ؟ " .

" لقد عالجت مرضى مصابين بذلك ، وأعرف أن هذا الشىء موجود . عندما ... " .

" اسمح لى بطرح سؤال عليك . إذا افترضنا أن هناك ما يسمى بالانفصام المتعدد للشخصية ، فهل يكون أحد الأشخاص البدلاء مسئولاً دائماً عن تلقين الشخص الأصلى (العائل) بما يفعله ؟ أى إن البديل يقول " اقتل " والعائل يطيع بلا جدال ؟ " .

" هذا الأمر يختلف ، فالأشخاص البدلاء لهم درجات متفاوتة من التأثير " .

" إذن يمكن للعائل أن يكون مسئولاً ؟ " .

" أحياناً ، بالتأكيد " .

" فى الغالب ، أليس كذلك ؟ " .

" نعم ، ليس كذلك " .

" دكتور ، ما دليلك على وجود ما يسمى بالانفصام المتعدد للشخصية ؟ " .

" لقد شاهدت تغيرات بدنية كاملة فى المرضى الذين خضعوا للتنويم المغناطيسى ، وأنا أعرف ... " .

" وهل هذه القاعدة التى تنطلق منها هى الحقيقة ؟ " .

" نعم " .

" دكتور سالم ، إذا قمت بإخضاعك للتنويم المغناطيسى فى حجرة دافئة ، وأخبرتك بأنك فى القطب الشمالى ، عار تماماً

بلا ملابس ، وفى عاصفة جليدية ، فهل ستنخفض درجة حرارة جسدك ؟ " .

" نعم ، ولكن ... " .

" هذا كل ما فى الأمر " .

نهض ديفيد إلى منصة الشهود ، وقال : " دكتور سالم ، هل هناك أى شك فى اعتقادك بأن هناك أشخاصاً بدلاء بداخل آشلى باترسون ؟ " .

" ليس لدىّ أدنى شك ، وهؤلاء البدلاء لهم القدرة المطلقة على التحكم فى آشلى والسيطرة عليها " .

" وهل هى على وعى بذلك ؟ " .

" لا ، إنها ليست على وعى بذلك " .

" أشكرك " .

" أريد أن أستدعى شان ميللر إلى منصة الشهود " .

رأى ديفيد السيد ميللر وهو يحلف اليمين ، ثم سأله : " ماذا تعمل يا سيد ميللر ؟ " .

" إنى أعمل مشرفاً فى شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس " .

" وما المدة التى عملت خلالها فى هذا المكان ؟ " .

" حوالى سبع سنوات " .

" وهل آشلى باترسون تعمل موظفة هناك ؟ " .

" نعم " .

" وهل كانت تعمل تحت إشرافك ؟ " .

" نعم " .

" إذن ، فأنت تعرفها جيداً ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، هذا صحيح ، إننى أعرفها جيداً " .

" سيد ميللر ، لقد سمعت بالتأكيد عن أطباء أدلوا بشهادتهم التى تفيد بأن بعض أعراض الانفصام المتعدد تتمثل فى : الشك المفرط ، والتهور والغضب الشديدين ، والوقوع تحت الضغوط الكثيرة . هل لاحظت مطلقاً أياً من هذه الأعراض على آشلى باترسون ؟ " .

" نعم ، إننى ... " .

" ألم تخبرك آشلى بأنها تشعر بأن شخصاً ما يتتبعها ؟ " .

" بلى ، أخبرتنى بذلك " .

" وأنها ليس لديها أدنى فكرة عمن يمكن أن يكون هذا الشخص وسبب قيامه بذلك ؟ " .

" ألم تخبرك فى مرة ما بأن شخصاً ما استخدم الكمبيوتر الخاص بها وهددها بسكينة ؟ " .

" بلى أخبرتنى " .

" ألم تصل الأمور إلى أسوأ الحدود ، حتى قمت فى النهاية بإرسالها إلى الإخصائى النفسانى الذى يعمل لدى شركتكم ، والذى يدعى السيد سبيكر مان ؟ " .

" بلى " .

" إذن فإن آشلى باترسون قد أظهرت الأعراض التى تتحدث عنها " .

" نعم ، هذا صحيح " .

" أشكرك يا سيد ميللر " ، ثم التفت ديفيد إلى ميكى بريننان : " حان دورك لاستجواب الشاهد " .

" كم عدد الموظفين الذين يخضعون لإشرافك مباشرة يا سيد ميللر ؟ " .

" ثلاثون " .

" وهل آشلي باترسون هي الوحيدة من الثلاثين موظفاً لديك التي تراها تحت تأثير الضغوط والضيق ؟ " .

" حسناً ، لا ... " .

" آه حقاً ؟ " .

" أي إنسان يتعرض للضغوط ، والضيق أحياناً " .

" تقصد أن الموظفين الآخرين يجب أن يخضعوا للفحص من قبل الطبيب النفساني لشركتكم ؟ " .

" نعم ، بالتأكيد . إنه دائماً مشغول " .

بدا برينان مندهشاً : " هل هذا صحيح ؟ " .

" نعم ، الكثير منهم لديهم مشكلاتهم الخاصة ، فجميعهم بشر " .

" انتهت الأسئلة " .

" يمكن للدفاع أن يواصل استجواب الشاهد " .

اقترب ديفيد من منصة الشهود ، وقال : " سيد ميللر ، قلت إن بعض الموظفين لديك يواجهون مشكلات ، فما نوع المشكلات التي يواجهونها ؟ " .

" حسناً ، ربما تكون مشكلات متعلقة بأصدقائهم ، أو أسرهم ، ... " .

" صحيح ؟ " .

" أو قد تتعلق بالأمور المالية ... " .

" حقاً ! " .

" أو مشاكسات الأطفال ... " .

" بمعنى آخر ، إنها الأنواع العادية للمشكلات الشائعة التي يمكن أن يواجهها أي منا ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" ولكن أحداً لم يذهب إلى الدكتور سبيكر مان لأنه يعتقد أن شخصاً ما يطارده ، أو لأنه يعتقد أن شخصاً ما يهدده بالقتل ؟ " .

" لم يحدث هذا " .

" أشكرك " .

رفعت الجلسة لتناول الغداء .

دلف ديفيد إلى سيارته ، وقادها عبر المنتزه ، شاعراً بالخيبة ، والإحباط ، فالقضية لا تسير على المسار الصحيح . الأطباء غير قادرين على حسم الأمر بشأن ما إذا كان الانفصام المتعدد للشخصية موجوداً أو غير ذلك . فكر ديفيد محدثاً نفسه : إذا لم يتفقوا على حسم هذا الأمر ، فكيف سأقنع المحلفين ؟ لا يمكن أن أسمح لأي شيء بأن يحدث لآشلي ، لا يمكن ذلك أبداً . اقترب ديفيد من مطعم هارولد القريب من مبنى المحكمة فركن سيارته ، ودخل إلى المطعم . ابتسمت إليه النادلة .

" طاب مساؤك يا سيد سينجر " .

كان مشهوراً ، غير مشهور ؟

" حسناً ، اتبعني من فضلك " . تبعها إلى مائدة ، وجلس . أعطته النادلة قائمة الطعام ، وابتسمت له بلطف ، ثم انصرفت ، وكانت طريقة سيرها مستفزة ، فقال : عائد الشهرة .

لم يكن جائعاً ، ولكنه تذكر صوت ساندرا : " يجب أن تحرص على تناول ما يكفى من الطعام حتى تحافظ على قوتك وسلامتك البدنية " .

كان هناك رجلان وامرأتان يجلسون بالقرب منه ، وكان أحد الرجلين يقول : " إنها تستحق عقاباً أشد قوة مما نالته ليزى بوردن ، فإن ليزى بوردن قتلت شخصين فقط " .

أضاف الرجل الآخر : " كما أنها لم تمثل بجثتيهما " .

" ما الذى تعتقده أن يفعلوه معها ؟ " .

" هل تمزح ؟ سوف يحكمون عليها بالإعدام بالتأكيد " .

" وللأسف ، لا يمكن أن تحصل على الإعدام ثلاث مرات " .

تفكر ديفيد محدثاً نفسه : هذا هو حديث العامة . شعر بالإحباط ، بأنه لو سار فى أرجاء المطعم ، سيسمع تنوعات من نفس التعليقات . لقد جعلها بريثان تبدو كوحش كاسر ، تذكر صوت كويلر : " إذا لم تجعل آشلى تقف على منصة الشهود ، فسوف تظل الصورة عالقة بأذهان المحلفين حتى عندما يدخلون إلى الحجرة الخاصة بهم ليصلوا إلى حكمهم " .

يجب أن أنتهز الفرصة ، ويجب أن أجعل المحلفين يرون بأنفسهم أن آشلى تقول الصدق .

حضرت النادلة ، وقالت : " هل قررت ما سوف تطلبه يا سيد سينجر ؟ " .

قال ديفيد : " لقد غيرت موقفى ، إننى لست بجائع " .

وبينما نهض ديفيد ، وسار خارجاً من المطعم ، شعر بأن العيون الحقودة تتبعه ، ففكر قائلاً لنفسه : أتمنى ألا تكون هذه العيون مسلحة .

الفصل العشرون

عندما عاد ديفيد إلى المحكمة ، قام بزيارة آشلى فى زنزانتها ، ووجدها جالسة على سرير صغير ، تحدق إلى أرضية الحجرة .

" آشلى " .

رفعت نظرها ، وكان اليأس يملأ عينيها .

جلس ديفيد بجانبها : " يجب أن نتحدث معاً " .

نظرت إليه فى صمت .

" تلك الأشياء الفظيعة التى يتحدثون عنها بشأنك ، ليست أشياء صحيحة ، ولكن المحلفين لا يعرفون ذلك ، إنهم لا يعرفونك ، وعلينا أن نجعلهم يعرفون شخصيتك الحقيقية ، وما أصابك " .

نظرت إليه آشلى ، وقالت بنبرة فاترة : " وما الذى يجب أن يعرفوه عنى ؟ " .

" إنك إنسانة مهذبة ، ولكنك مريضة ، وسوف يتعاطفون مع تلك الحقيقة " .

" وما الذى تريدنى أن أفعله ؟ " .

" أريد منك الوقوف على منصة الشهود ، وتدلى بكل ما لديك من معلومات " .

نظرت إليه ، فى خوف ورعب ، وقالت : " إننى ... إننى لا أستطيع ذلك ، إننى لا أعرف أى شىء ولا يمكننى إخبارهم بأى شىء " .

جاء الحارس إلى الزنزانة ، وقال : " المحكمة سوف تنعقد الآن " .

نهض ديفيد ، وضغط على يد آشلى وقال : " سيفيدنا ذلك بالتأكيد " .

" قيام . فتحت الجلسة . تترأس القاضية المبجلة تيسا ويليامز القضية التى أقامها سكان ولاية كاليفورنيا ضد آشلى باترسون " .

جلست القاضية ويليامز فى مقعدها على المنصة .

قال ديفيد : " هل يمكننى الاقتراب من المنصة ؟ " .

" نعم يمكنك " .

اقترب بريننان من المنصة مع ديفيد .

" ما الخطب ، يا سيد سينجر ؟ " .

" أريد استدعاء شاهد ليس مدوناً فى قائمة الشهود " .

قال بريننان : " لقد فات الأوان ، فلم يعد من الممكن إدراج شهود آخرين فى القضية " .

" أريد استدعاء آشلى باترسون لتكون الشاهد التالى الذى سوف أستجوبه " .

قالت القاضية ويليامز : " إننى لا ... " .

قال بريننان مسرعاً : " ليس لدى النيابة أى اعتراض يا سيادة القاضية " .

نظرت القاضية إلى ديفيد ، وبريننان ، وقالت : " حسناً ، يمكنك استدعاء الشاهد ، يا سيد سينجر " .

" أشكرك يا سيادة القاضية " ، ثم سار نحو آشلى وأمسك بذراعها ، وقال : " آشلى ... " .

جلست فى رعب وفزع .

" يجب أن تفعلى ذلك يا آشلى " .

نهضت ، وأخذت دقات قلبها تتلاحق ، وبصعوبة شديدة شقت طريقها نحو منصة الشهود .

همس بريننان إلى المأمور ، قائلاً : " لقد دعوت الله أن يفعل هذا الرجل ذلك ويقوم باستدعائها " .

أومأ المأمور برأسه : " وقد حدث " .

حلفت آشلى باترسون اليمين أمام موظف المحكمة ، حيث قال لها : " أقسمى بالله أن تقولى الحق ، كل الحق ولا شىء غير الحق ، فليعينك الله " .

" أقسم بالله ... " ، وكان صوتها همساً ، ثم اتخذت مجلسها فى منصة الشهود .

سار ديفيد نحوها ، وقال بلطف : " أعرف أن ذلك يمثل صعوبة بالغة بالنسبة لك ، ولكنك متهمة بارتكاب جرائم قتل مروعة ، ولكنك لم ترتكبيها في الحقيقة . كل ما أريده أن يعرف المحلفون الحقيقة . هل تذكرين أى شىء عن ارتكاب هذه الجرائم ؟ " .

هزت آشلى رأسها بالنفى قائلة : " لا " .

نظر ديفيد للمحلفين ، ثم استمر : " هل تعرفين دنيس تيبل ؟ " .

" نعم ، لقد عملنا معاً فى شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس " .

" هل لديك أى مبرر لقتل دنيس تيبل ؟ " .

" لا " ، وكانت تواجه صعوبة فى التحدث ، " إننى ... إننى ذهبت إلى شقته لأعطى له نصيحة قد طلبها منى ، وكانت تلك المرة الأخيرة التى أراه فيها " .

" هل تعرفين ريتشارد ميلتون ؟ " .

" لا " .

" كان فناناً ، وقتل فى سان فرانسيسكو ، وقد عثرت الشرطة على دليل متمثل فى الحامض الوراثى ، وكذلك بصمات الأصابع الخاصة بك " .

كانت آشلى تهز رأسها بالنفى ، وقالت : " إننى ... إننى لا أعرف عما تتحدث . إننى لا أعرفه " .

" هل تعرفين النائب سام بليك ؟ " .

" نعم ، كان يقدم لى العون ، ولم أقتله ، إطلاقاً " .

" هل تعرفين أن لديك شخصيتين بديلتين بداخلك يا آشلى ؟ " .

" نعم " ، وكان صوتها متوتراً .

" متى عرفت بذلك ؟ " .

" قبل بدء المحاكمة ، أخبرنى الدكتور سالم عن ذلك . لم أستطع تصديق ذلك ، ومازلت لا أصدق حتى الآن ، إن ذلك أمر ... فظيع للغاية " .

" لم يكن لديك أى معرفة سابقة بهذه الحالة التى أصابتك ؟ " .

" نعم " .

" ألم تسمعى أبداً عن تونى بريسكوت أو أليت بيترز ؟ " .

" بلى " .

" هل تعتقدين فى وجودهما بداخلك ؟ " .

" نعم ... يجب أن أصدق ذلك ، ومن المؤكد أنهما قامتا بعمل كل هذه ... هذه الأمور المروعة ... " .

" إذن أنت تدركين أنك قابلت ريتشارد ميلتون ، ولم يكن لديك دافع لقتل دنيس تيبل ، أو قتل النائب بليك الذى حضر إلى شقتك ليقوم بحمايتك ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، فهذه هى الحقيقة " ، ثم جالت بنظرها عبر المحكمة المزدحمة ، وانتابها شعور بالخوف .

قال ديفيد : " سؤال أخير ، هل واجهت أية مشكلات من قبل فيما يتعلق بالقانون ؟ " .

" إطلاقاً " .

وضع ديفيد يده عليها : " هذا كل ما لدىّ الآن " ، ثم التفت إلى برينان ، وقال : " يمكنك استجواب الشاهدة " .

نهض بريتان ـ وعلى وجهه ابتسامة عريضة ـ وقال : " حسناً ـ آنسة آشلى ، أخيراً سنتحدث إليك ، هل حدث أبداً ، فى أى وقت ، أن مارست الحب مع دنيس تيبل ؟ " .

" لا " .

" وكذلك مع ريتشارد ميلتون ؟ " .

" لا " .

" وكذلك مع النائب سام بليك ؟ " .

" لا " .

" هذا أمر رائع " ، ثم نظر بريتان إلى المحلفين ، ثم واصل حديثه : " تم العثور على بعض الإفرازات المهبلية على أجسام الرجال الثلاثة المقتولين ، وأكدت اختبارات الحامض النووى أن هذه الإفرازات تخصك " .

" إننى ... إننى لا أعرف أى شىء بخصوص ذلك الأمر " .

" ربما هناك من لفق لك القضية ، أو هناك عفريت حصل على هذه الإفرازات ... " .

" اعتراض " .

" اعتراضك مرفوض " .

" ... ثم وضعها على أجسام القتلى الثلاثة المبتورين . هل لديك أى أعداء قد يفعلون ذلك ؟ " .

" إننى ... لا أعرف " .

" لقد قام معمل البصمات التابع لمكتب التحقيقات الفيدرالية بفحص البصمات التى عثر عليها رجال الشرطة فى مسارح الجرائم الثلاث ، وإننى متأكد من أنك ستندهشين ... " .

" اعتراض " .

" اعتراضك مقبول ، كن حذراً يا سيد بريتان " .

" نعم يا سيادة القاضية " .

شعر ديفيد بالرضا لذلك ، وجلس فى هدوء .

كانت آشلى على وشك الإصابة بحالة هيستيرية ، وقالت : " ربما قامت الشخصيتان البديلتان ... " .

" كانت البصمات الموجودة فى مسارح الجرائم تخصك أنت وحدك " .

ظلت آشلى صامتة .

سار بريتان إلى منضدة ، والتقط سكينة كبيرة ، ملفوفة فى ورق سوليفان ، ورفعها : " هل رأيت هذه السكينة من قبل ؟ " .

" إنها ... إنها ربما تكون إحدى ... إحدى ... " .

" إحدى السكاكين التى تخصك ؟ إنها فعلاً كذلك ، وهى بالفعل دليل إثبات ضدك . والدماء الموجودة عليها هى دماء النائب بليك ، وبصماتك موجودة على هذه السكينة " .

كانت آشلى تهز رأسها بلا تفكير .

" إننى لم أر أبداً قضية أوضح من قضية هذه القاتلة عديمة المشاعر ولا دفاعاً واهياً كهذا . إن الاختفاء وراء شخصيات خيالية غير موجودة ، هو أكثر ... " .

نهض ديفيد مرة أخرى : " اعتراض " .

" اعتراضك مقبول ، لقد حذرتك من قبل بالفعل يا سيد بريتان " .

" أعتذر يا سيادة القاضية " .

واصل برينان قائلاً : " إنني على ثقة من أن المحلفين يودون التحدث إلى الشخصيات التي تتحدثين عنها . إنك آشلي باترسون ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ... " .

" حسناً ، أريد التحدث إلى توني بريسكوت " .

" لا ... لا يمكنني استحضارها " .

نظر إليها برينان في دهشة ، وقال : " لا يمكنك ؟ حقاً ؟ حسناً ، وماذا بشأن أليت بيترز ؟ " .

هزت آشلي رأسها في يأس ، وقالت : " إنني ... لا يمكنني التحكم فيهما " .

قال برينان : " آنسة باترسون ، إنني أحاول مساعدتك . أريد أن أظهر للمحلفين الأشخاص البدلاء بداخلك الذين قتلوا وعذبوا ثلاثة رجال أبرياء ، رجاءً أحضريهم " .

قالت وهي تنتحب : " إنني ... لا يمكنني ذلك " .

" لا يمكنك لأنهم غير موجودين ! إنك تختبئين وراء أشباح . إنك الشخص الوحيد الجالس على هذه المنصة ، وأنت الشخص الوحيد المذنب في هذه القضية . إنهم غير موجودين ، ولكنك أنت الموجودة ، وسأخبرك بما هو موجود أيضاً ، إنه الدليل الدامغ الذي لا يمكن إنكاره والذي يثبت قتلك لهؤلاء الرجال وتشويهك لجثثهم بلا رحمة " ، ثم التفت إلى القاضية وواصل حديثه قائلاً : " سيادة القاضية ، اسمحي لي بفترة من الراحة " .

التفت ديفيد إلى المحلفين ، وكان جميعهم ينظرون إلى آشلي ، وكانت وجوههم تكتسي بتعبيرات توحي بالاشمئزاز .

التفتت القاضية ويليامز نحو ديفيد : " سيد سينجر ؟ " .

نهض ديفيد وقال : " سيادة القاضية ، أريد تصريحاً لي بأن أخضع المتهمة للتنويم المغناطيسي ، حتى ... " .

قالت القاضية ويليامز بصرامة : " سيد سينجر ، لقد حذرتك من قبل بأنني لا أريد أن أجعل هذه القضية عرضاً هزلياً . لا يمكنك إخضاعها للتنويم المغناطيسي في قاعة المحكمة . فإن ردي عليك هو النفي " .

قال ديفيد بصرامة أكثر : " يجب أن تسمحي لي بذلك ، إنك لا تعلمين مدى أهمية ... " .

" كفاك يا سيد سينجر " ، وكان صوتها بارداً وهي تقول : " أحذرك مرة أخرى . هل ستعاود استجواب الشاهدة ، أم لا ؟ " .

قال ديفيد وقد اعترته مشاعر الإحباط : " نعم ، يا سيادة القاضية " .

سار نحو منصة الشهود وقال : " تعلمين أنك أقسمت اليمين ؟ " .

" نعم " ، أخذت أنفاساً عميقة وهي تجاهد للسيطرة على نفسها .

" وكل شيء تقولينه هو الحقيقة كما تعرفينها ؟ " .

" نعم " .

" وتعرفين أن هناك شخصيتين بديلتين في عقلك وجسدك وروحك ، ولا يمكنك السيطرة عليهما ؟ " .

" نعم " .

" توني ، وأليت ؟ " .

" نعم " .

" السيد كينكايد يكره ذلك ، ولكنه يعتقد أنه سيكون من الأفضل ألا تأتى إلى الشركة بعد ذلك . حظاً سعيداً " .

عندما خرج ديفيد من قاعة المحكمة ، أحاطته كاميرات التلفاز ، والمراسلون الصحفيون .

" هل لديك أية إفادات بشأن قضيتك يا سيد سينجر ... ؟ " .

" سمعنا أن القاضية ويليامز تقول إنك ستُمنع من مزاولة مهنتك ... " .

" قالت القاضية ويليامز إنها ستضعك فى الحبس بسبب إهانتك للمحكمة ، هل تعتقد أنك ... ؟ " .

" يعتقد الخبراء أنك خسرت القضية . هل تخطط لاستئناف ... ؟ " .

" خبراؤنا القانونيون يعتقدون أن موكلتك سوف تلقى عقوبة الإعدام ... " .

" هل لديك أية خطة للمستقبل ... ؟ " .

دلف ديفيد إلى سيارته دون أن ينبس ببنت شفة ثم قاد سيارته مبتعداً .

الفصل الحادى والعشرون

ظل ديفيد يسترجع الأحداث الماضية فى عقله مراراً وتكراراً دون توقف .

لقد شاهد الأخبار هذا الصباح ، دكتور باترسون لا يمكننى أن أخبرك بمدى أسفى وحزنى لذلك .

نعم لقد كانت صدمة بالنسبة لى ، إننى بحاجة إلى مساعدتك يا ديفيد .

بالطبع سوف أبذل قصارى جهدى .

أريدك أن تدافع عن ابنتى أمام المحكمة .

ولكن لا يمكننى فعل ذلك ، فإننى لست محامياً أمام المحاكم الجنائية ، ولكن يمكننى أن أرشح لك محامياً عظيماً ، إنه جيس كويلر .

حسناً ، وأشكرك يا ديفيد ....

إنك شاب شغوف ومتحمس ، أليس كذلك ؟ ليس من المفترض أن يبدأ اجتماعنا قبل الخامسة . حسناً ، لدىّ أخبار جيدة بالنسبة لك ، لقد قررنا أن تكون شريكاً .

* * *

هل طلبت أن ترانى ؟

نعم يا سيادة القاضية ، إنهم يتحدثون عن هذه القضية على شبكة الإنترنت وقد أدانوا المتهمة بالفعل .

وقد يؤثر ذلك بشكل سلبى على الدفاع ، وعلى الرغم من ذلك فإننى أطالب بإسقاط الدعوى .

أعتقد أن هذه مبررات كافية لإسقاط الدعوى يا سيد سينجر . سوف أتعامل مع الأمر ....

إنه الشعور بالمرارة والندم ، وتلك الكلمة السخيفة : " يا ليت " .

فى الصباح التالى انعقدت المحكمة .

" هل النيابة على استعداد للإدلاء بكلمتها الأخيرة ؟ " .

نهض بريnan وسار نحو منصة المحلفين ونظر إليهم واحداً تلو الآخر .

" إنكم هنا فى موضع يسمح لكم بالمشاركة فى صنع التاريخ ، فإذا آمنتم بأن المتهمة مصابة فعلاً بالانفصام التعددى للشخصية ، وبأنها ليست مسئولة عما اقترفته من جرم ، وسمحتم لها بالحصول على البراءة ، فإنكم بذلك تسمحون لأى شخص أن يفلت بسهولة من جرائمه بادعائه بأنه لم يقترف شيئاً ، بل إن الشخص البديل

الغامض هو الذى ارتكب الجرم . يمكن لأى شخص عندئذ أن يسرق ، ويغتصب ، ويقتل ، ولا يصبح مذنباً ، أليس كذلك ؟ نعم سوف يقول : " الشخص البديل بداخلى هو من فعل ذلك ، كين أو جو أو سوزى " ، أو أياً من يدعونه بأنفسهم . إننى أعتقد أنكم جميعاً لديكم من الذكاء ما يجعلكم لا تسقطون فى هذا الفخ ، ولا تنطلى عليكم هذه الخدع . إن الحقيقة متمثلة فى هذه الصور التى هى بين أيديكم الآن ، فلم تقم شخصيات بديلة بقتل هؤلاء الرجال ، ولكنهم قتلوا بشكل مخيف ، وبشع ، وتلك المتهمة الماثلة أمامكم هى من اقترفت هذه الجرائم ، وهى تدعى آشلى باترسون . سيداتى ، سادتى ، أعضاء هيئة المحلفين ، إن ما حاول الدفاع إثباته فى هذه القضية ، قد تكرر من قبل . فى قضية سان ضد تيلر ، كان القرار متمثلاً فى أنه فى قضية حالة وجود الانفصام التعددى للشخصية فإن ذلك لا يعنى فى حد ذاته براءة المتهم ، فى قضية " الولايات المتحدة " ضد " وبرلى " ، فإن الممرضة التى قتلت طفلاً ادعت إصابتها بالانفصام التعددى للشخصية ، ولم تبرئها المحكمة .

تعلمون أننى أشعر بالأسى نحو هذه المتهمة ، ونحو كل الشخصيات الأخرى التى تحيا بداخلها . إننى على ثقة من أننا جميعاً لا نريد أن يتحرك بداخلنا مجموعة من الغرباء المجانين ، أليس كذلك ؟ ويقتلون الرجال ويمثلون بجثثهم ، يا له من شىء يبعث على الخوف والرعب " .

التفت بريnan لينظر إلى آشلى وقال : " لا تبدو المتهمة خائفة على الإطلاق ، أليس كذلك ؟ فهى فى ملبس مهندم ، وشعرها مصفف بشكل أنيق ، وزينتها جذابة ولا تبدو عليها علامات

الخوف لأنها تعتقد أنكم ستصدقون روايتها ، وتسمحون لها بالخروج من هذه القضية ، لا يمكن لأى شخص أن يثبت ما إذا كان الانفصام التعددى للشخصية موجوداً أم لا ، وبناءً عليه ستصدر الحكم الخاص بنا .

لقد ادعى الدفاع أن تلك الشخصيات البديلة ، تظهر أحياناً ، وتفرض سيطرتها فلتر ـ هناك تونى ، التي ولدت فى إنجلترا ، وأليت التي ولدت في إيطاليا . إنهن جميعا نفس الشخصية . إنهن فقط ولدن في بلاد مختلفة ، وفى أوقات مختلفة . هل يربككم هذا ؟ أعرف أنه يربكنى شخصياً . لقد حصلت المتهمة على فرصة لتجعلنا من خلالها نرى هذه الشخصيات البديلة ، ولكنها لم تنتهزها وأتعجب عن السبب . هل ربما يكون ذلك لعدم وجودهن ؟ هل يعترف قانون ولاية كاليفورنيا بالانفصام التعددى للشخصية باعتباره مرضاً ذهنيا ؟ كلا . وماذا عن قانون ولاية كلورادو ؟ أيضاً كلا . وقانون المسيسيبى ؟ كلا . القانون الفيدرالى ؟ كلا . فى الحقيقة ، ليست هناك ولاية تطبق قانوناً يعترف بالانفصام التعددى للشخصية ، باعتباره دفاعاً قانونياً . ولكن لماذا ؟ لأنه ليس دفاعاً . سيداتى سادتى ، إنها لخرافة أن يكون ذلك مبرراً للهروب من العقاب ... " .

" إن ما يحاول الدفاع طلبه منكم هو تصديق أن هناك شخصيتين داخل المتهمة ، وبناءً عليه لا يتحمل أى شخص مسئولية جرائمهما ، ولكن هناك متهمة واحدة في هذه القاعة ، إنها آشلى باترسون ، ولقد أثبتنا بلا أدنى شك ، أنها هى القاتلة ، ولكنها تدعى عدم ارتكابها لهذه الجرائم ، أى إن هناك شخصاً آخر ، شخصاً استعار جسدها ليقتل أناساً أبرياء ، إنها الشخصيات البديلة

بداخلها . أليس من الرائع أن يكون لدينا جميعاً بدلاء ، يقومون بالأشياء التى نريد عملها خلسة والتى لا يسمح بها مجتمعنا ؟ هل تحب أن تحيا فى عالم حيث يمكن للناس فيه أن يقتلوا من حولهم ويقولوا : " لا يمكن لأى شخص أن يتعرض لى ، فإن البديل بداخلى هو من فعل ذلك ، ولا يمكن معاقبة البديل لأنه يمثلنى فى الحقيقة ؟ " .

ولكن هذه القضية لا تتعلق بأشخاص أسطوريين لا وجود لهم ؛ فالمتهمة آشلى باترسون ماثلة أمام المحكمة لاتهامها بارتكاب ثلاث جرائم قتل مروعة ، وتطلب النيابة تطبيق عقوبة الإعدام عليها ، وأشكركم " .

عاد بريتان إلى مجلسه .

" هل الدفاع مستعد لعرض حديثه الأخير ؟ " .

نهض ديفيد ، وسار نحو منصة المحلفين ، ينظر إلى وجوههم وما رآه من تعبيرات على وجوههم كان يبعث على الإحباط ، وبدأ حديثه قائلاً : " أعرف أن هذه قضية صعبة بالنسبة لنا جميعاً . لقد سمعتم خبراء أدلوا بشهادة تثبت أنهم تعاملوا مع مرض الانفصام التعددى للشخصية ، وكذلك سمعتم لخبراء ينفون ذلك المرض ، إنكم لستم أطباء ، وبناءً عليه لا يمكن توقع إصداركم لأحكام قائمة على معرفة طبية .

أريد تقديم اعتذارى لكم جميعاً إذا ما كان سلوكى بالأمس مشيناً ، وساذجاً . لقد صرخت فى وجه آشلى فقط لأننى أردت إجبار البدلاء بداخلها للظهور أمامكم . إن أليت ، وتونى موجودتان بداخلها بالفعل ، وهما يقومان بفرض سيطرتهما على آشلى فى أى

وقت يرغبان فيه ، وهى - آشلى - لا تعرف أى شىء عن ارتكابها لهذه الجرائم .

لقد أخبرتكم فى بداية هذه القضية أنه بالنسبة لأى شخص ارتكب جريمة قتل من الدرجة الأولى ، فيجب أن يكون هناك دليل مادى ، ودافع . وفى هذه القضية لا يوجد دافع ، سادتى وسيداتى ، وينص القانون على أنه يجب على النيابة إثبات إدانة المتهم بما لا يدع مجالاً للشك ، وإننى على ثقة من أنكم توافقوننى الرأى على أن هذه القضية تحمل قدراً كافياً من الشك . وبقدر اهتمامنا بالأدلة ، فإننى لم أتحدث بشأنها . لقد تم العثور على بصمات أصابع آشلى باترسون وكذلك بصمتها الوراثية فى مسارح الجرائم الثلاث ، ولكن حقيقة كون هذه البصمات موجودة وواضحة بشكل كبير ، يجب أن تجعلنا نتوقف لبرهة لتأمل الأمر . إن الآنسة آشلى باترسون فتاة تتمتع بقدر وافر من الذكاء ، وإذا كانت قد ارتكبت الجرائم الثلاث ، وأرادت ألا ينكشف أمرها ، فهل كان لديها من الغباء والسذاجة ما يجعلها تترك بصمات أصابعها فى أماكن كل الجرائم ؟ الإجابة : لا " .

واصل ديفيد حديثه لنصف ساعة أخرى ، وفى النهاية نظر إلى أوجه المحلفين ، غير راضٍ أو شاعر بالاطمئنان ، ثم اتجه إلى مجلسه .

التفتت القاضية ويليامز إلى المحلفين ، وقالت : " أريد أن أطلعكم الآن على القانون الواجب تنفيذه فى هذه القضية . أريد منكم أن تصغوا إلىّ جيداً " ، ثم تحدثت لمدة عشرين دقيقة تالية ، موضحة ما يسمح به القانون وما لا يسمح به فى هذه القضية .

" إذا كانت لديكم أية استفسارات ، أو أردتم إعادة أية شهادة على مسامعكم ، فإن المحكمة ستأمر بذلك ، يسمح للمحلفين بالحصول على ما يكفيهم من الوقت للتروى واتخاذ القرار . رفعت الجلسة لحين عودة المحلفين بقرارهم النهائى " .

شاهد ديفيد المحلفين يغادرون المنصة متجهين إلى حجراتهم .

حدث ديفيد نفسه قائلاً : كلما طال الوقت الذى يستغرقه المحلفون ، كان ذلك أفضل بالنسبة لنا .

عاد المحلفون بعد خمس وأربعين دقيقة .

شاهد ديفيد وآشلى المحلفين يعودون إلى المنصة ، ويجلسون فى أماكنهم ، وبدا وجه آشلى متصلباً ، ووجد ديفيد نفسه يتصبب عرقاً .

وجهت القاضية ويليامز حديثها للمحلفين : " هل توصل المحلفون إلى الحكم العادل ؟ " .

" نعم ، يا سيادة القاضية " .

" هل تقدمونه مشكورين إلى الحاجب ؟ " .

قام الحاجب بحمل الورقة إلى القاضية .

قامت القاضية ويليامز ببسط الورقة - بفردها - وكانت القاعة قد سادها الصمت المطبق .

قام الحاجب بإعادة الورقة إلى رئيس هيئة المحلفين .

" هل يمكنك قراءة الحكم من فضلك ؟ " .

قرأ ببطء وبنبرة إيقاع متوازن : " فى قضية أهالى ولاية كاليفورنيا ضد آشلى باترسون ، نحن - هيئة المحلفين - بالصفة المذكورة سابقاً ، قد ثبت لنا أن المتهمة آشلى باترسون مدينة ،

لارتكابها قتل دنيس تيبل ، منتهكة بذلك المادة ١٨٧ من قانون العقوبات " .

شهق الجميع فى قاعة المحكمة ، ثم أغمضت آشلى عينيها بشدة .

" فى قضية أهالى ولاية كاليفورنيا ضد آشلى باترسون ، نحن - هيئة المحلفين - بالصفة المذكورة سابقاً ، قد ثبت لنا أن المتهمة آشلى باترسون مدينة ومذنبة ؛ لارتكابها قتل سام بليك ، منتهكة بذلك المادة ١٨٧ من قانون العقوبات " .

" فى قضية أهالى ولاية كاليفورنيا ضد آشلى باترسون ، نحن - هيئة المحلفين - بالصفة المذكورة سابقاً ، قد ثبت لنا أن المتهمة آشلى باترسون مدينة ومذنبة ؛ لارتكابها قتل ريتشارد ميلتون ، منتهكة بذلك المادة ١٨٧ من قانون العقوبات " .

واجه ديفيد صعوبة فى التنفس ، فالتفت نحو آشلى ولكنه لم يكن لديه ما يقوله .

قالت القاضية ويليامز : " أريد تسجيل أصوات المحلفين " .

قام المحلفون واحداً تلو الآخر .

" هل الحكم المقروء الآن ، حكمك ؟ " .

وعندما ، أكد الحكم كل عضو فى أعضاء هيئة المحلفين ، قالت القاضية ويليامز : " سيتم تسجيل الحكم ، ثم سيدرج فى السجلات " ، وواصلت حديثها قائلة : " أشكر المحلفين لما قدموه من وقت وجهد فى القضية ، وعليهم بالرحيل . وفى الغد ، ستتناول المحكمة أمر سلامة العقل " .

جلس ديفيد متجهماً ، وهو يشاهد الحراس وهم يقودون آشلى بعيداً .

نهضت القاضية ويليامز وسارت نحو حجرتها ، دون أن تنظر إلى ديفيد ، فكان وجهها يكشف لديفيد أكثر من الكلمات ، عن حكمها الصادر فى صباح الغد . سوف تخضع آشلى لعقوبة الإعدام !

اتصلت ساندرا هاتفياً من سان فرانسيسكو : " هل أنت بخير يا ديفيد ؟ " .

حاول ديفيد أن يبدو مرحاً : " نعم ، إننى بخير ، وماذا عنك ؟ " .

" إننى بخير . لقد شاهدت نشرة الأخبار فى التلفاز ، لم تكن القاضية عادلة معك . لا يمكن لها أن تمنعك من مزاولة المهنة ؛ فأنت كنت تحاول مساعدة موكلتك " .

لم تتلق ساندرا أى رد من ديفيد .

" إننى آسفة يا ديفيد ، فليتنى كنت معك . يمكننى المجىء بالسيارة ، و ... " .

قال ديفيد : " لا . لا يمكن أن تجازفى . هل زرت الطبيب اليوم ؟ " .

" نعم " .

" وماذا قال ؟ " .

" قريباً جداً ، سأك فى أى يوم " .

عيد ميلاد سعيد يا جيفرى !

اتصل جيس كويلر هاتفياً .

قال ديفيد : " لقد تعاملت مع هذه القضية بعدم إتقان " .

" لقد كان حظك سيئاً ، كما كانت القاضية غير عادلة . ما الذى فعلته ليجعلها تعاملك بهذه الطريقة ؟ " .

" لقد أرادت منى أن أعقد معها صفقة ، فلم تكن تريد للقضية أن تذهب للمحكمة . ربما كان من المفترض أن أوافقها " .

كانت جميع القنوات التليفزيونية مليئة بالأخبار المتعلقة بالقضية وما آلت إليه ، وشاهد أحد خبراء القانون يناقش القضية .

" إننى لم أسمع أبداً عن محام يصرخ في وجه موكله ، فحرىٌ بى أن أخبرك بأن الحضور فى المحكمة قد أصيبوا بالدهشة . لقد كان هذا التصرف بذيئاً للغاية ... " .

أغلق ديفيد التلفاز . ما كل هذا الحظ السيئ ؟ من المفترض أن تكون النهاية سعيدة . ولأننى لم أتقن التعامل مع كل شيء ، فسوف تموت آشلى ، وسوف أمنع من مزاولة المهنة ، وسوف يولد الطفل فى أية لحظة ، وليس لدىّ أى وظيفة .

جلس فى غرفته فى الفندق ، فى منتصف الليل ، محدقاً فى الظلام . تلك هى أسوأ لحظات مر بها فى حياته وعندما استرجع ديفيد كل ما قيل فى المحكمة ، تردد على مسامعه حديث القاضية : " لا يمكنك إخضاع التهمة للتنويم المغناطيسى هنا فى قاعة المحكمة . الإجابة هى لا " .

يا ليتها سمحت لى بتنويم آشلى مغناطيسياً على منصة الشهود . إننى أعرف أن ذلك كان من الممكن أن يقنع هيئة المحلفين . لقد فات الأوان ، ولم يعد يجدى الآن كل ذلك .

وتردد فى ذهنه صوت متواصل يقول : من قال إنه فات الأوان ؟ هناك المزيد مما يمكننى فعله .

موكلتك بريئة ؟ هل ستتركها تموت ؟

اتركنى وحدى .

ظلت كلمات القاضية ويليامز تتردد فى ذهنه : " لا يمكنك إخضاع التهمة للتنويم المغناطيسى هنا فى المحكمة " .

وظلت ثلاث كلمات تكرر نفسها فى ذهنه : "... هنا فى المحكمة ... " .

فى الخامسة من صباح اليوم التالى ، أجرى ديفيد مكالمتين هاتفيتين عاجلتين ، وعندما انتهى منهما بدأت الشمس تلوح بالأفق . يا للفأل الحسن ، سوف نكسبها .

بعد فترة وجيزة ، أسرع ديفيد إلى متجر للتحف والأنتيكات . اقترب منه الموظف ، وقال : " هل يمكننى سيدى ... ؟ " .

لقد تعرف على ديفيد : " سيد سينجر ؟ " .

" إننى أبحث عن إحدى شاشات العرض المحمولة صينية الصنع . هل لديكم شاشات من هذا القبيل ؟ " .

" نعم لدينا ، ليست لدينا شاشات من الطراز القديم ، ولكن ... " .

" اسمح لى أن أرى ما يوجد لديكم " .

" بكل تأكيد " ، ثم قاد ديفيد إلى القسم الذى يوجد به شاشات العرض المحمولة صينية الصنع ، ثم أشار الموظف للشاشة الأولى :

" الآن ، هذه الشاشة ... " .

قال ديفيد : " هذه تصلح " .

" حسناً يا سيدى ، أين يمكننى إرسالها إليك ؟ " .

" سآخذها معى " .

ذهب ديفيد إلى متجر الأدوات المنزلية كخطوة تالية ، حيث اشترى سكينة حربية سويسرية . وبعد خمس عشرة دقيقة ، كان فى مدخل قاعة المحكمة حاملاً الشاشة ، وقال للحارس الواقف فى مدخل القاعة : " إننى أرتب للقاء آشلى باترسون ، وقد حصلت على تصريح باستخدام حجرة القاضى جولد برج ، فهو ليس موجوداً اليوم " .

قال الحارس : " نعم يا سيدى ، كل شىء على ما يرام ، لقد حضرت المتهمة ، والدكتور سالم ، ورجل آخر ، وجميعهم موجودون بالأعلى ، وهم فى انتظارك " .

" أشكرك " .

شاهده الحارس يحمل الشاشة معه فى المصعد الكهربائى ، وحدث نفسه قائلاً : مجنون .

كانت غرفة القاضى جولد برج مريحة ، وبها مكتب فى مواجهة النافذة ، وكرسى متحرك قابل للدوران ، وأريكة وبعض الكراسى بجانب أحد الحوائط . كان الدكتور سالم ورجل آخر فى الحجرة عندما دخل ديفيد .

قال ديفيد : " أعتذر عن تأخرى " .

قال الدكتور سالم : " هذا هو هاج إيفرسون الخبير الذى طلبت مجيئه " .

تصافح الرجلان وقال ديفيد : " هيا نستعد بأقصى سرعة . إن آشلى فى طريقها إلينا " .

ثم استدار إلى إيفرسون ، وأشار إلى أحد أركان الحجرة وقال :

" هل يصلح ذلك المكان ؟ " .

" نعم ، يصلح " .

شاهد إيفرسون يبدأ فى عمله ، وبعد دقائق قليلة ، فُتح الباب ، ودخلت آشلى مع أحد الحراس .

قال الحارس : " ينبغى علىّ البقاء فى الحجرة " .

أومأ ديفيد برأسه : " حسناً ، وهو كذلك " ، ثم التفت إلى آشلى ، وقال لها : " اجلسى من فضلك " .

شاهدها تجلس على أحد المقاعد فقال : " فى البداية ، أريد أن أخبرك عن مدى أسفى لما آلت إليه الأمور " .

أومأت برأسها شاعرة بالدوار على الأغلب .

" ولكن الأمور لم تنته بعد ، مازالت أمامنا فرصة " .

نظرت إليه ويبدو فى عينيها عدم تصديقها له .

" آشلى ، أريد أن يقوم الدكتور سالم بتنويمك مغناطيسياً مرة أخرى " .

" لا ، فما الهدف من ... ؟ " .

" أرجوك ، اقبلى ذلك " .

أشارت بالموافقة .

أشار ديفيد إلى الدكتور سالم .

قال الدكتور سالم لآشلى : " لقد قمنا بذلك من قبل ، وبناءً عليه ، فأنت تعرفين أن كل ما عليك فعله هو إغماض عينيك ، والاسترخاء ، فقط استرخى واستشعرى بعضلات جسدك تتخلص من كل الضغوط ، والتوترات التى أصابتها . فقط عليك أن تنامى ، إنك الآن تشعرين بالنعاس ، إنك تغطين فى نوم عميق ... " .

بعد عشر دقائق ، نظر الدكتور سالم إلى ديفيد ، وقال : " إنها تحت تأثير التنويم المغناطيسى كلية " .

التفت ديفيد إلى آشلى ، وكان قلبه يدق سريعاً : " أريد التحدث إلى تونى " .

لم يتلق أى رد فعل .

رفع ديفيد من صوته : " تونى ، أريدك أن تظهرى ، هل تسمعينني ؟ أليت ... أريدكما أن تتحدثا إلىّ " .

صمت .

ديفيد يصرخ الآن : " ماذا حدث لكما ؟ هل أنتما خائفتان إلى هذه الدرجة ؟ هذا هو ما حدث في قاعة المحكمة ، أليس كذلك ؟ هل سمعتما ما قاله المحلفون ؟ آشلى مذنبة . إنكما تخشيان الظهور أنت جبانة يا تونى ! " .

نظروا إلى آشلى ، ولكنها لم تصدر أى رد فعل .

نظر ديفيد إلى الدكتور سالم فى يأس ، لن يجدى أى مما نفعله !

انعقدت الآن جلسة المحكمة ، والقاضية المبجلة تيسا ويليامز تترأس الجلسة .

كانت آشلى جالسة على طاولة الاتهام ، بجوار ديفيد وكان ديفيد عاقداً يديه قبل أن ينهض قائلاً : " هل لى أن أقترب من منصة القاضى ، يا سيادة القاضية المحترمة ؟ " .

" يمكنك ذلك " .

سار ديفيد نحو المنصة ، وتبعه برينان .

قال ديفيد : " أريد تقديم دليل جديد خاص بالقضية " .

اعترض برينان قائلاً : " أرفض تماماً " .

التفتت إليه القاضية ويليامز ، وقالت : " دعنى أتخذ هذا القرار يا سيد برينان " ، ثم التفتت مرة أخرى إلى ديفيد : " لقد انتهت المحاكمة ، لقد أدينت موكلتك ، و .... " .

قال ديفيد : " هذا بخصوص دعوى الجنون ، ولكننى فقط أطلب السماح بعشر دقائق فقط من وقتك " .

قالت القاضية ويليامز فى غضب : " إن الوقت لا يعنى الكثير بالنسبة لك يا سيد سينجر ، أليس كذلك ؟ لقد أضعت بالفعل قدراً كبيراً من وقت الجميع " ، ثم اتخذت قرارها : " حسناً ، وأتمنى أن يكون هذا هو آخر مطلب لك يمكن أن تطلبه فى المحكمة ، ورفعت الجلسة عشر دقائق أخرى " .

سار ديفيد وبرينان وراء القاضية إلى غرفتها .

التفتت نحو ديفيد : " لقد منحتك عشر دقائق ، ماذا تريد أيها المستشار ؟ " .

" أريد أن أعرض لك فيلماً قصيراً ، يا سيادة القاضية " .

قال برينان : " لا أعرف ما علاقة هذا بـ ... " .

قالت القاضية : " وأنا كذلك " .

التفتت نحو ديفيد : " لديك الآن تسع دقائق " .

أسرع ديفيد نحو الباب الذى يؤدى إلى الممر الرئيسى وفتحه : " تفضلا بالدخول " .

دخل إيفرسون ، حاملاً جهاز عرض ، وشاشة محمولة : " أين يمكننى وضع ذلك ؟ " .

أشار ديفيد إلى أحد الأركان بالغرفة وقال : " هناك " .

شاهدوا الرجل يعد الأجهزة ويقوم بتوصيل الكهرباء إلى شاشة العرض .

سأل ديفيد : " هل يمكننى تشغيل القرص ؟ " .

كل ما استطاعت القاضية ويليامز أن تفعله هو السيطرة على غضبها ، حيث قالت : " نعم يمكنك ، تفضل يا سيد سينجر " .

ثم نظرت إلى ساعتها . " أمامك فقط سبع دقائق " .

تم تشغيل شاشة العرض . أضاءت أنوار الشاشة غرفة القاضى جولد برج ، وكان ديفيد والدكتور سالم يشاهدان آشلى ، التى كانت جالسة على أحد المقاعد .

قال الدكتور سالم ـ على شاشة العرض ـ : " إنها الآن تحت تأثير التنويم المغناطيسى تماماً " .

سار ديفيد نحو آشلى : " أريد التحدث إلى تونى . تونى ... أريد منك الظهور ، أريد التحدث إليك . هل تسمعيننى ؟ أليت ... أريد التحدث إليكما " .

صمت .

كانت القاضية ويليامز جالسة فى اندهاش تشاهد الفيلم .

ديفيد يصرخ الآن : " ماذا حدث لكما ؟ هل أنتما خائفتان إلى هذه الدرجة ؟ هذا هو ما حدث فى قاعة المحكمة ، أليس كذلك ؟ هل تسمعان ما قاله المحلفون ؟ آشلى مذنبة . إنكما تخشيان الظهور . أنت جبانة يا تونى ! " .

نهضت القاضية ويليامز : " لقد اكتفيت بمثل هذه الأمور . لقد شاهدت مثل هذا الأداء المثير للاشمئزاز من قبل . لقد انتهى الوقت يا سيد سينجر " .

قال ديفيد : " انتظرى ، إنك لم ... " .

" انتهى الأمر " . قالت ذلك القاضية ويليامز وهى تتجه نحو باب الغرفة .

فجأة بدأت أغنية تملأ أركان الغرفة .

" قرش من أجل الخيط ،
وقرش لإبرة الحياكة ،
هكذا تفنى النقود ،
وكذلك يهرب السنجاب " .

التفتت القاضية ويليامز فى دهشة ، ونظرت إلى الشاشة لقد تغير وجه آشلى كلية ، فقد ظهرت تونى .

قالت تونى بغضب : " خائفة من الظهور فى المحكمة ؟ هل تعتقد حقاً أنه يمكننى الظهور لأنك فقط أمرتنى بذلك ؟ ماذا تعتقد فىّ ؟ هل تعتقد أننى جواد متدرب ؟ " .

عادت القاضية ويليامز ببطء إلى الغرفة ، وبدأت تنظر إلى الفيلم بإمعان .

قالت تونى : " لقد استمعت إلى كل هذه الشخصيات المتبلدة التى لا تخدع إلا أنفسها " ، ثم قلدت صوت أحدهم : " لا أعتقد أن الانفصام التعددى للشخصية موجود ، يا للحمقى ، إننى لم أر أبداً قبل ... " .

وبينما كانوا يشاهدون العرض ، تغير وجه آشلى مرة أخرى ، وبدت أنها استرخت فى مقعدها أكثر ، وبدا على وجهها مسحة من الخجل . بلهجتها الإيطالية ، قالت أليت : " سيد سينجر ، أعرف أنك بذلت أقصى ما فى وسعك ، أردت الظهور فى المحكمة ، وساعدتك ، ولكن تونى لم تسمح لى بذلك " .

كانت القاضية ويليامز تشاهد ، وعلى وجهها أمارات الدهشة الشديدة .

تغير وجه آشلى وصوتها مرة أخرى ، وقالت تونى : " لكننى لم أفعل ذلك " .

قال ديفيد : " تونى ، ماذا تعتقدين أنه سوف يحدث إذا ما حكمت المحكمة على آشلى بالإعدام ؟ " .

" إنها لن تحكم عليها بالإعدام . إن آشلى لا تعرف أحد الرجال الثلاثة ، هل تذكر ذلك ؟ " .

قال ديفيد : " ولكن أليت عرفتهم جميعاً . أنت من ارتكب هذه الجرائم يا أليت ، ولقد مارست الحب مع الرجال الثلاثة ثم طعنتهم حتى الموت ثم مثلت بهم ... " .

قالت تونى : " أنت أيها الأحمق ، أنت لا تعرف أى شىء ، أليت لا تجرؤ أبداً على فعل ذلك ، إننى من فعلت ذلك . إنهم يستحقون الموت ، فكل ما أرادوا أن يفعلوه هو اللهو والجنس " . وكانت تتنفس بصعوبة . " ولكننى جعلتهم جميعاً يدفعون ثمن ذلك ، أليس كذلك ؟ ولا يمكن لأى شخص أن يثبت أننى فعلت ذلك ، ولتتلقى هذه المرأة الحمقاء ، الغبية آشلى العقاب واللوم ، وسوف نذهب إلى ملجأ آخر جميل ولطيف ... " .

فى الخلفية ، خلف الشاشة الصينية ، فى أحد الأركان ، حدث صوت عال .

التفتت تونى : " ما هذا ؟ " .

قال ديفيد سريعاً : " لا شىء ، كان ذلك فقط ... " .

نهضت تونى ، وبدأت تعدو نحو الكاميرا حتى ملأ وجهها الشاشة ، وقامت بسحب شىء ما ، فتقلبت الشاشة ، سقط جزء من

الشاشة الطويلة على الصورة ، فقد قطعت فتحة كبيرة فى المنتصف .

قالت تونى فى صراخ : " لقد أحضرت كاميرا لعينة ، أنت أيها الحقير ، ماذا تريد أن تفعل ؟ لقد خدعتنى ! " .

وكان على المكتب فاتحة خطابات ، خطفتها تونى وصوبتها نحو ديفيد ، صارخة : " سأقتلك ، سأقتلك " .

حاول ديفيد إمساكها ، ولكنه لم يتمكن من ذلك ، وقد أصابت فاتحة الخطابات يده .

رفعت تونى ذراعها وطعنته مرة أخرى ، فقام الحارس بالعدو نحوها والإمساك بها . أوقعته تونى على الأرض . فتح الباب ، ودخل ضابط فى زى رسمى . عندما رأى ما حدث اتجه نحو تونى ، فركلته فى قدمه ، وسقط . دخل سريعاً ضابطان آخران ، وقام الثلاثة بإعادة تونى إلى مقعدها ، وطوال الوقت كانت تصرخ ويعلو صوتها أمامهم .

نزف الدم من يد ديفيد ، وقال للدكتور سالم : " أرجوك ، اجعلها تفيق وتعود لشخصيتها الأصلية " .

قال الدكتور سالم : " آشلى ، آشلى ... أنصتى إلىّ ستعودين الآن . لقد رحلت تونى ، ومن الأمان أن تعودى الآن . آشلى ، سأقوم بالعد إلى ثلاثة " .

وبينما كان الجميع يشاهدون ، أصبح جسد آشلى هادئاً ومسترخياً .

" هل يمكنك سماعى ؟ " .

" نعم " ، كان ذلك صوت آشلى ، ويبدو بعيداً .

" ستفيقين بعدما أعد حتى ثلاثة . واحد ... اثنان ... ثلاثة ... كيف تشعرين ؟ " .

فتحت عينيها : " أشعر بالتعب الشديد . هل قلت أىّ شىء ؟ " .

أصبحت الشاشة فى حجرة القاضية ويلىامز معتمة ، فسار ديفيد نحو الحائط ، وأدار الأنوار .

قال برينان : " حسناً ، يا للأداء الرائع ، يستحقون جوائز الأوسكار عن أفضل ... " .

التفتت إليه القاضية ويليامز ، وقالت : " اخرس " .

نظر إليها برينان فى دهشة .

ساد الصمت لحظة ، ثم التفتت القاضية ويليامز نحو ديفيد ، وقالت : " أيها المستشار " .

" نعم " .

" إننى مدينة لك بالاعتذار " .

جلست القاضية ويليامز على منصتها ، وقالت : " اتفق المستشارون على قبول رأى الإخصائى النفسانى الذى قام بفحص المتهمة ، والذى يدعى الدكتور سالم . قرار المحكمة هو أن المتهمة ليست مذنبة بدعوى الجنون ، ولكنها ستُرحل إلى مستشفى الأمراض النفسية ، حيث يمكن علاجها .

رفعت الجلسة .

نهض ديفيد ، وهو يشعر بالتعب والإرهاق ، فحدث نفسه قائلاً : انتهى الأمر ، أخيراً انتهى الأمر . يمكنه هو وساندرا الآن أن يبدآ حياتهما من جديد .

نظر إلى القاضية ويليامز ، وقال فى سعادة : " إننا سنرزق بمولود جديد قريباً " .

قال الدكتور سالم لديفيد : " أريد عرض اقتراح . إننى لست متأكداً من إمكانية تطبيقه ، ولكن أعتقد أنه فى حالة تنفيذه ، فسوف يكون ذلك مفيداً جداً لآشلى " .

" وما هذا الاقتراح ؟ " .

" مستشفى الأمراض النفسية فى كونيكتيكت ، فى المنطقة الشرقية ، قد تعامل مع العديد من حالات الانفصام التعددى للشخصية ، أكثر من أى مكان آخر فى هذه البلاد . وهناك صديق لى يدعى الدكتور أوتو لويزون ، هو المسئول عن هذا المستشفى . إذا تمكنت من جعل المحكمة ترسل آشلى إلى هذا المستشفى ، فأعتقد أن فى ذلك فائدة كبرى " .

قال ديفيد : " أشكرك ، سأدرس الأمر ، لأعرف ما يمكننى فعله " .

قال الدكتور ستيفن باترسون إلى ديفيد : " إننى ... إننى لا أعرف كيف أشكرك " .

ابتسم ديفيد وقال : " أنت لست مضطراً لذلك ، أتذكر ما قلناه من قبل ؟ " .

" لقد أبليت بلاء رائعاً . لقد شعرت للحظة بالخوف ... " .

" وأنا كذلك " .

" ولكن العدالة اتخذت مجراها . سوف تخضع ابنتى للعلاج " .

قال ديفيد : " بكل تأكيد ، لقد اقترح الدكتور سالم مستشفى الأمراض النفسية فى كونيكتيكت . إن الأطباء فى هذا المستشفى متدربون جيداً على الانفصام التعددى للشخصية " .

لم ينطق الدكتور باترسون بكلمة للحظة ، ثم قال : " أنت تعرف ، لا تستحق آشلى كل ذلك . إنها إنسانة رائعة ، جميلة " .

" نعم إننى أوافقك فى ذلك سأقابل القاضية ويليامز ، وأحاول الحصول على الموافقة على نقل آشلى إلى هذا المستشفى " .

كانت القاضية ويليامز فى حجرتها ، وقالت : " ما الذى يمكننى تقديمه لك يا سيد سينجر ؟ " .

" إننى أطلب منك إسداء معروف لى " .

ابتسمت وقالت : " أتمنى ذلك ، ما هذا المعروف يا سيد سينجر ؟ " .

شرح ديفيد للقاضية ويليامز ما أخبره به الدكتور سالم .

" هذا المطلب غير عادى بالمرة ، فإننا لدينا بعض الهيئات الجيدة المختصة بالعلاج النفسى هنا فى كاليفورنيا " .

قال ديفيد : " حسناً ، أشكرك يا سيادة القاضية " .

ثم استدار ليغادر المكان شاعراً بالإحباط .

" إننى لم أرفض يا سيد سينجر " .

توقف ديفيد .

" إنه مطلب غير عادى . ولكن هذه القضية غير عادية هى الأخرى " .

انتظر ديفيد .

" أعتقد أنه يمكننى إنهاء إجراءات نقلها إلى هناك " .

" أشكرك جزيلاً ، يا سيادة القاضية . إننى أقدر ذلك " .

فى الزنزانة ، تخيلت آشلى الأمر ، وأخذت تحدث نفسها : لقد حكموا علىّ بالإعدام . الموت البطىء فى مكان ملىء بأناس مختلين عقلياً . سيكون من الأفضل قتلى الآن .

فكرت آشلى فى السنوات الطويلة اليائسة التى تنتظرها ، وبدأت تنتحب .

فتح باب الزنزانة ، ودخل أبوها . وقف للحظة ، ينظر إليها ، وعلى وجهه تعبيرات الألم .

جلس قبالتها وقال : " حبيبتى ... سوف تعيشين " .

هزت رأسها وقالت : " لا أريد العيش " .

" لا تقولى ذلك ، إنك تواجهين مشكلة طبية ، ولكن يمكن علاجها . وسوف يتم ذلك ، وعندما تتحسنين ، ستحضرين للعيش معى ، وسأقوم أنا برعايتك ومهما حدث ، سنكون دوماً معاً ، ولا يمكنهم أبداً أن يمنعونا من ذلك " .

جلست آشلى دون أن تنطق بكلمة .

" أعرف ما تشعرين به الآن ، ولكن صدقينى سيتغير كل ذلك ، وستعودين إلىّ ابنتى ، ستعود لتعيش فى منزلى بعد العلاج " ، ثم نهض ببطء : " للأسف ، إننى مضطر للعودة إلى سان فرانسيسكو " . وانتظر من آشلى أية كلمة .

ولكنها ظلت صامتة .

" أخبرنى ديفيد أنه يعتقد أنهم سينقلونك إلى أفضل المستشفيات النفسية فى العالم . سآتى لزيارتك . هل ترغبين فى ذلك ؟ " .

أومأت بإحساس متبلد : " نعم " .

" حسناً ، يا حبيبتى " ، ثم لثم خدها ، واحتضنها وقال : " سوف أتأكد من أنك تتلقين أفضل علاج فى العالم . إننى أريد ابنتى الصغيرة أن تعود إلى طبيعتها " .

شاهدت آشلى أباها يرحل ، ثم حدثت نفسها قائلة : لماذا لا أموت الآن ؟ لماذا لا يتركوننى أموت الآن ؟

بعد ساعة ، حضر ديفيد لرؤيتها .

قال : " حسناً ، لقد سارت الأمور على ما يرام " ، ثم نظر إليها فى اهتمام ، وواصل قائلاً : " هل أنت بخير ؟ " .

" لا أريد الذهاب إلى أى مستشفى للأمراض النفسية . أريد الموت . لا أطيق العيش هكذا . ساعدنى ، يا ديفيد ، أرجوك ساعدنى " .

" آشلى ستتلقين العلاج . لقد انتهى الماضى ، وولى ، وأمامك المستقبل الآن . سينتهى هذا الكابوس المزعج " ، ثم أمسك يدها واستطرد قائلاً : " لقد وثقت فىّ حتى الآن طوال هذه الفترة ، واصلى ثقتك فىّ . سوف تعيشين حياة طيبة مرة أخرى " .

جلست فى صمت .

رددى ورائى : " إننى أثق فيك يا ديفيد " .

أخذت نفساً عميقاً ثم قالت : " إننى أثق فيك يا ديفيد " .

ابتسم قائلاً : " إنك فتاة مطيعة ، هذه بداية حياة جديدة بالنسبة لك " .

فى اللحظة التى أصبح فيها الحكم متداولاً بين العامة ، أصاب الإعلام نوبة من الجنون . طوال الليل ، كان ديفيد بطلاً ، لقد تعامل مع قضية مستحيلة وكسبها .

اتصل هاتفياً بساندرا : " حبيبتى ، إننى ... " .

" لقد علمت يا حبيبى ، لقد رأيت ذلك لتوى على شاشة التلفاز . أليس ذلك رائعاً ؟ إننى فخورة بك " .

لا يمكننى أن أصف لك مدى سعادتى لانتهاء ذلك " .

سأعود إليك الليلة . لا يمكننى الانتظار لأرى ... " .

" ديفيد ... ؟ " .

" نعم ؟ " .

" ديفيد ... ؟ " .

" نعم ، ماذا جرى يا حبيبتى ؟ " .

" آه ... إننى سألد ... " .

صرخ ديفيد : " انتظرينى ! " .

كان جيفرى سينجر يزن ثمانية أرطال ، وعشر أوقيات ، وكان أجمل طفل مولود رآه ديفيد فى حياته .

قالت ساندرا : " إنه يشبهك تماماً يا ديفيد " .

قال ديفيد مبتهجاً : " إنه كذلك حقاً " .

قالت ساندرا : " إننى سعيدة لأن الأمور انتهت على خير حال " .

تنهد ديفيد : " مرت علىّ أوقات لم أكن فيها متأكداً من ذلك " .

" لم أشك فى ذلك يا ديفيد " .

احتضنها ديفيد ، وقال : " سأعود يا حبيبتى ، يجب أولاً أن أقوم بجمع أشيائى الموجودة فى المكتب " .

عندما وصل ديفيد إلى مكاتب كينكايد ، وتيرنر ، وروز ، آند ريبلى ، تلقى تحيات حارة .

" تهانينا يا ديفيد ... " .

" أحسنت ... " .

" لقد أبليت بلاءً حسناً ... " .

دخل ديفيد إلى مكتبه ، وقام بجمع أشيائه من المكتب وإخلائه " .

" ديفيد ... " .

التفت ديفيد ، فرأى جوزيف كينكايد .

سار نحوه كينكايد ، وقال : " ماذا تفعل ؟ " .

" إننى أخلى مكتبى ، إننى مفصول من العمل " .

ابتسم كينكايد : " مفصول ؟ بالطبع لا ، لا ، لا ، هناك سوء تفاهم " .

ثم ابتسم : " إننا جعلناك شريكاً يا بنى ، فى الحقيقة لقد عقدت مؤتمراً صحفياً من أجلك هذا اليوم بعد الظهر فى تمام الثالثة " .

نظر إليه ديفيد : " حقاً ؟ " .

أومأ كينكايد : " بالطبع " .

قال ديفيد : " من الأفضل لك أن تلغى ذلك ، لقد قررت العودة إلى القانون الجنائى . فلقد عرض علىَّ جيس كويلر أن أكون

شريكاً ، فعلى الأقل عندما تتعامل مع هذا الفرع من القانون ، فإنك تعرف حقاً من هم الجناة ، والمجرمون . إذن ، احصل أنت على الشراكة ، ودسَّها فى مكان لا تطوله الشمس " .

ثم غادر المكتب .

* * *

نظر جيس كويلر إلى منزل ساندرا وسينجر الجديد وقال : " إنه منزل رائع ومناسب لكما تماماً " .

قالت ساندرا : " أشكرك " ، ثم سمعت صوتاً يأتى من حجرة جيس فقالت : " يجب أن أذهب لأرى جيفرى " ، ثم أسرعت نحو الغرفة المجاورة .

سار جيس كويلر نحو الإطار المعلق الجميل الفضى الذى يحتوى على صورة جيفرى الأولى له فى حياته : " إنه إطار جميل للغاية من أين حصلت عليه ؟ " .

" أرسلته القاضية ويليامز " .

قال جيس : " إننى سعيد بعودتك يا شريكى " .

" إننى كذلك سعيد بالعودة إليك يا جيس " .

" ربما تريد قليلاً من الوقت للراحة الآن . استرح قليلاً ... " .

" نعم ، أعتقد أننا سنأخذ جيفرى ، ونذهب إلى أويجون بسيارتنا غداً لزيارة والدى ساندرا و ... " .

" بالمناسبة ، لقد حضرت إلى المكتب قضية مثيرة صباح اليوم يا ديفيد . هناك امرأة متهمة بقتل طفليها الاثنين . لدىّ إحساس بأنها بريئة . ولسوء الحظ ، سأذهب إلى واشنطن في قضية أخرى ، ولكنني أعتقد أنه ربما عليك سماعها وإبداء رأيك فيها ... " .

الكتاب الثالث

الفصل الثانى والعشرون

يبعد مستشفى الأمراض النفسية فى كونيكتيكت خمسة عشر ميلاً شمال ويستبورت ، وكانت فى الأصل ضيعة امتلكها وين بويكر الألمانى الثرى والتى قام ببنائها فى عام ١٩١٠ . كانت هذه المساحة الشاسعة تحتوى على منزل آية فى الفخامة ، وورشة أعمال ، وإسطبل خيول وحوض للسباحة . اشترت الحكومة المنزل فى عام ١٩٢٥ ، وتم تجهيز المنزل الرئيسى ليسع مائة مريض . تم إحاطة المساحة الشاسعة بسور حديدى ، وعند مدخله وحدة حراسة مزودة بأفراد أمن وحراسة ووضعت على جميع النوافذ قضبان معدنية ، وتم تحصين أحد أقسام المنزل بشدة من أجل المرضى ذوى الحالات الخطيرة .

فى مكتب الدكتور أوتو لويزون ، رئيس العيادة النفسية انعقدت مقابلة بين الدكتور جيلبرت كيلر ، والدكتور كرايج فوستر ، حيث كانا يتناقشان حول مريض جديد على وشك الوصول .

كان جيلبرت كيلر رجلاً فى الأربعينيات من عمره ، متوسط الطول ، أشقر الشعر ، ذا عيون رمادية اللون . كان خبيراً مشهوراً فى الانفصام التعددى للشخصية .

كان أوتو لويزون المدير المسئول فى مستشفى الأمراض النفسية فى كونيكتيكت ، وكان فى السبعينيات من عمره ، مهندم الملبس ، أنيقاً ، ضئيل الحجم ، وله لحية طويلة . عمل الدكتور كرايج فوستر مع الدكتور كيلر لسنوات طويلة ، وكان يقوم بإعداد كتاب عن الانفصام التعددى للشخصية ، وكان ثلاثتهم الآن يفحصون تقارير وسجلات آشلى باترسون .

قال أوتو لويزون : " إن حالة هذه السيدة معقدة ، فهى فى الثامنة والعشرين من عمرها ، وقامت بقتل خمسة رجال " ، ثم نظر إلى الأوراق مرة أخرى ، وواصل حديثه قائلاً : " كما أنها حاولت قتل المحامى الذى كان يدافع عنها " .

قال الدكتور جيلبرت : " الكل يستغرق فى أحلام يقظته " .

قال أتو لويزون : " سوف نضعها فى ساحة الأمن الأولى حتى نستطيع أن نكون تقييماً كاملاً لحالتها " .

سأل الدكتور كيلر : " متى ستصل ؟ " .

انطلق صوت سكرتيرة الدكتور لويزون من جهاز الإنتركوم يقول : " لقد أحضروا آشلى باترسون . هل تريد منهم أن يحضروها إلى مكتبك ؟ " .

" نعم ، من فضلك " ، ثم نظر إلى الدكتور كيلر : " هل هذا يكفى إجابة لسؤالك ؟ " .

كانت الرحلة كابوساً ، فى نهاية محاكمتها ، أعادوا آشلى إلى زنزانتها ، وظلت هناك لثلاثة أيام حتى انتهت إجراءات نقلها إلى الشرق .

أوصلها أتوبيس السجن إلى مطار أوكلاندجيت . كانت هناك طائرة فى انتظارها ، وكانت الطائرة قابلة للتحويل من طراز DC-٦ وهى جزء من النظام الوطنى الضخم والخاص بالسجن ، والذى تديره هيئة الشرطة الأمريكية . كان على متن الطائرة أربعة وعشرون سجيناً . وكانوا مقيدين بالأغلال والأصفاد .

كانت آشلى مقيدة بالكلابشات ، وعندما جلست قيدوا رجليها فى المقعد ، فحدثت نفسها قائلة : لماذا يفعلون هذا معى ؟ إننى لست مجرمة خطيرة إننى امرأة سوية ، ولكن قال صوت بداخلها : ومن قتل الرجال الخمسة الأبرياء ؟

كان السجناء على متن الطائرة قد لاقوا قسوة شديدة ، حيث منهم من هو مدين بالقتل ، ومنهم بالاغتصاب ، والسرقة المقترنة بالهجوم المسلح ، وكثير من الجرائم الأخرى . كان الجميع فى طريقه إلى السجون الخاصة حول البلدة ، وكانت آشلى المرأة الوحيدة بينهم .

نظر أحد السجناء إليها وابتسم قائلاً : " أهلاً ، أيها الفتاة الجميلة ، هل يمكنك أن تقتربى منى وتداعبينى ؟ " .

حذره الحارس : " كف عن ذلك " .

" ألا تتمتع بأى حس رومانسى ؟ فلنسأل رأى الفتاة " .

قال سجين آخر : " هل أنت فتاة ليل ؟ هل يمكنني الاقتراب منك في المقعد المجاور ... ؟ " .

أمعن سجين آخر النظر إليها ، وقال : " انتظر لحظة . تلك هي الفتاة التي قتلت خمسة رجال ومثلت بجثثهم " . كان جميعهم ينظر إلى آشلي ، ويتندرون عليها .

ثم انتهت هذه المضايقات المتواصلة .

في الطريق إلى نيويورك ، هبطت الطائرة مرتين ، إما ليغادرها بعض الركاب ، أو يستقلها آخرون . كانت الرحلة طويلة . كانت الرياح شديدة وأصيبت آشلي بالدوار عندما هبطت الطائرة في مطار لوجارديا .

كان هناك ضابطا شرطة في زيهما الرسمي ينتظران آشلي في الممر الذي ستهبط فيه الطائرة . فكا قيودها من مقعد الطائرة ، ثم قيداها مرة أخرى في سيارة الشرطة . لم تشعر آشلي بمثل هذه الإهانة من قبل . لقد كانت الحقيقة تتمثل في أن آشلي تشعر دائماً بأنها غير مريضة ، وكانت تلك الحقيقة هي ما جعلت كل ما تمر به آشلي الآن لا يحتمل . هل يعتقدون أنها ستحاول الهرب ، لم قتل شخص ما ؟ لقد راح كل ذلك وولى . ألم يدركوا ذلك ؟ كانت على ثقة من أن ذلك لن يحدث ثانية . كانت تريد الابتعاد عن ذلك المكان ، والذهاب إلى أي مكان آخر .

في أثناء الرحلة الطويلة الشاقة إلى كونيكتيكت ، شعرت آشلي بالنعاس ، وأيقظها بعد ذلك صوت الحارس .

" ها قد وصلنا " .

لقد وصلوا إلى بوابات مستشفى كونيكتيكت للأمراض النفسية .

عندما قاموا بتوصيل آشلي إلى مكتب الدكتور لويزون قال لها : " أهلاً بك في مستشفى كونيكتيكت للأمراض النفسية يا آنسة باترسون " .

وقفت آشلي شاحبة الوجه دون أن تتفوه بكلمة .

أنهى الدكتور لويزون التعارف ، ثم سحب كرسياً وقال : " تفضلي بالجلوس " ، ثم نظر إلى الحارس وقال له : " فك عنها هذه القيود " .

فكت القيود ، وجلست آشلي .

قال الدكتور فوستر : " أعرف أن كل ذلك يمثل صعوبة بالغة بالنسبة لك . هدفنا أن يأتي يوم ما تغادرين فيه هذا المكان بعد أن تتماثلي للشفاء تماماً " .

استطاعت آشلي أن تتحدث قائلة : " كم ، كم الفترة التي سيستغرقها ذلك ؟ " .

قال أوتو لويزون : " ليس وقتاً مناسباً للإجابة عن هذا السؤال الآن . إذا كان من الممكن علاجك ، فإن ذلك سيستغرق خمس أو ست سنوات " .

شعرت آشلي بالصدمة عند سماعها لكل كلمة مما سبق . " إذا كان من الممكن علاجك ، فإن ذلك سيستغرق خمس أو ست سنوات ... " .

" لا يمثل هذا العلاج أية خطورة بالنسبة لك ، ويشمل عدداً من الجلسات مع الدكتور كيلر ــ متمثلاً في العلاج بالتنويم المغناطيسي ، والعلاج الجماعي ، والعلاج الفني . أهم ما في الأمر أن تدركي جيداً أننا لسنا أعداءك " .

كان جيلبرت كيلر يتفرسها ، فقال لها : " إننا هنا لمساعدتك ، ونريد منك مساعدتنا أيضاً على ذلك " .

ولم يكن هنا ما يقال أكثر من ذلك .

أشار أوتو لويزون للحارس ، فسار نحو آشلي وأمسك ذراعها .

قال فوستر : " سيصحبك إلى مقر إقامتك الآن وسوف نتحدث مرة أخرى فيما بعد " .

عندما غادرت آشلي الغرفة ، التفت أوتو لويزون إلى جيلبرت كيلر وقال له : " كيف ترى الأمر ؟ " .

" الجيد في الأمر ، إن هناك شخصيتين بديلتين فقط سوف نتعامل معهما " .

كان كيلر يحاول تذكر ما لديه من معلومات ، وقال : " هل تذكر أفضل حالة تعاملنا معها قبل آشلي باترسون وكان لديها عدد كبير من الشخصيات البديلة ؟ " .

" نعم ، كانت امرأة بيلتراند ، حيث كان لديها تسعون شخصية بديلة " .

لم تستطع آشلي تخيل ما سيجرى لها في هذا المكان . كان مستشفى كونيكتيكت للأمراض النفسية تشبه الملهى الجميل ولكن بها قضبان معدنية .

عندما صاحب الحارس آشلي في الممرات الجميلة الطويلة ، شاهدت آشلي نزلاء المستشفى يروحون جيئة وذهاباً بحرية ، دون قيد . كان هناك أشخاص من جميع الأعمار ، وكان جميعهم يبدون أسوياء . لماذا هم موجودون هنا ؟ بعضهم ابتسم لها ، وقال : " طاب صباحك " ، ولكن آشلي كانت مرتبكة فلم ترد عليهم التحية . كان يبدو كل شيء طبيعياً . كانت في مصحة للأمراض النفسية . هل أنا مجنونة ؟

وصلا إلى باب معدني كبير ، وكان خلفه جزء من المبنى وكان هناك حارس خلف الباب ، ضغط هذا الحارس على زر أحمر ، فانفتح الباب الكبير .

" هذه هي آشلي باترسون " .

قال الحارس الثاني : " طاب صباحك يا آنسة باترسون " .

حاول الجميع أن يبدو كل شيء طبيعياً ، فحدثت آشلي نفسها قائلة : لكن الأمور ليست طبيعية ، العالم كله غريب الأطوار .

" اتبعيني من هنا يا آنسة باترسون " ، ثم قادها إلى باب آخر وفتحه . دخلت آشلي من الباب ، وبدلاً من زنزانتها وجدت نفسها في غرفة متوسطة الحجم ، جميلة المنظر ، وجدرانها زرقاء ، وبها أريكة وفراش يبدو مريحاً .

" سيكون هنا محل إقامتك وسيحضرون جميع متعلقاتك في غضون دقائق قليلة " .

شاهدت آشلي الحارس مغادراً وأغلق الباب وراءه . سيكون هنا محل إقامتك .

بدأت آشلي تصاب برهاب الأماكن المغلقة ، وماذا سيحدث لو لم أرد المكوث هنا ؟ وماذا سيحدث لو أردت الخروج من هنا ؟

سارت نحو الباب ، ولكنه كان مغلقاً . جلست آشلي على الأريكة ، محاولة ترتيب أفكارها ، وحاولت التركيز على النقاط الإيجابية . سنحاول علاجك .

سنحاول علاجك .

سنحاول علاجك .

الفصل الثالث والعشرون

كان الدكتور جيلبرت كيلر هو المسئول عن علاج آشلى ، فقد كان تخصصه هو علاج الانفصام التعددى للشخصية ، بالرغم من الإخفاق الذى واجهه فى بعض الأحيان ، إلا أن معدل نجاحه كان أعلى ، وفى حالات كهذه ، ليس هناك من ردود قاطعة ، وأولى مهامه هى جعل المريض يثق به ، ويشعر بالراحة معه ، ثم يعمل بعد ذلك على إخراج الشخصيات البديلة ، واحدة بعد الأخرى ، حتى يمكنها فى النهاية التواصل مع بعضها البعض ، وإدراك سبب وجودها وفى النهاية سبب عدم الحاجة إليها بعد ذلك . وعندئذ تحين لحظة الامتزاج ، حيث تمتزج هذه الشخصيات فى كيان واحد مستقل .

ولكن الدكتور كيلر حدث نفسه قائلاً : مازال هناك الكثير حتى يحدث هنا .

فى الصباح التالى ، حضرت آشلى إلى مكتب الدكتور كيلر ، وقال لها : " طاب صباحك ، يا آشلى " .

" طاب صباحك يا دكتور كيلر " .

" أريدك أن تنادينى بجيلبرت ، فإننا أصدقاء ، والآن أخبرينى بم تشعرين ؟ " .

نظرت إليه وقالت : " لقد أخبرونى بأننى قتلت خمسة رجال ، فكيف يمكن أن أشعر ؟ " .

" هل تذكرين قتلك أياً منهم ؟ " .

" لا " .

" لقد قرأت أوراق القضية يا آشلى ، إنك لم تقتليهم ، بل فعلت ذلك إحدى الشخصيات البديلة بداخلك ، وإننا سوف نتعرف على هذه الشخصيات ، وفى الوقت المناسب وبمساعدتك لنا سنجعل هذه الشخصيات تختفى " .

" إننى ... إننى أتمنى أن تتمكنوا من ذلك ... " .

" يمكننى ذلك . إننى هنا لمساعدتك ، وهذا ما سوف أفعله . لقد تكونت هذه الشخصيات البديلة فى ذهنك لإنقاذك من آلام لا تحتمل ، وعلينا أن نكتشف سبب هذه الآلام . إننى بحاجة لاكتشاف وقت تكوُّن هذه الشخصيات وسببها " .

" ولكن ... كيف ستكتشف ذلك ؟ " .

" سنتحدث ، وسوف تتدفق الأفكار والأحداث إلى ذهنك ، وبين الحين والآخر سنلجأ إلى عقد جلسات للتنويم المغناطيسى ، أو مصل الحقيقة . لقد خضعت للتنويم المغناطيسى من قبل ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى " .

" لن يعرضك أحد لأية ضغوط ، فإننا لسنا في عجلة من أمرنا ، وأمامنا متسع من الوقت " ، ثم أضاف بنبرة تبعث على التأكيد ، والطمأنينة : " وخلال كل ذلك ، سوف تشعرين بتحسن " .

تحدثا معاً لساعة تقريباً ، وفي نهاية هذا اللقاء ، شعرت آشلي بمزيد من الراحة ، وعندما عادت إلى غرفتها ، حدثت نفسها قائلة : إنني أعتقد أن بإمكانه فعل ذلك ، ثم رددت بعض الابتهالات .

اجتمع الدكتور كيلر مع أوتو لويزون ، وقال كيلر : " لقد تحدثنا معاً صباح اليوم ، والجيد في الأمر هو إدراك آشلي لمشكلتها واعترافها بها ، ورغبتها في المساعدة " .

" تلك هي البداية ، فأطلعني دائماً على الجديد من الأخبار " .

" حسناً يا أوتو " .

فكر الدكتور كيلر في التحدي الذي سيواجهه ، فقد كان هناك شيء ما يجعل من آشلي حالة خاصة ، وقد قرر الدكتور كيلر مساعدتها .

تحدثا معاً كل يوم ، وبعد أسبوع ، وصلت آشلي إلى مكتب الدكتور كيلر ، فقال : " أريد منك أن ترتاحي وتسترخي ، سأقوم الآن بتنويمك مغناطيسياً " ، ثم اتجه نحوها .

" لا ، انتظر " .

نظر إليها في دهشة قائلاً : " ماذا حدث ؟ " .

تدفقت عشرات الأفكار المخيفة إلى ذهن آشلي ، فسوف يقوم الدكتور كيلر الآن بإحضار الشخصيات البديلة وهي ترهب هذه الفكرة : " أرجوك .... إنني .... إنني لا أريد مقابلتهما " .

طمأنها الدكتور كيلر ، قائلاً : " لن تقابليهما ، الآن " .

ازدردت لعابها ، وقالت : " حسناً ، وهو كذلك " .

" هل أنت مستعدة ؟ " .

أومأت رأسها بالإيجاب : " نعم " .

" حسناً ، فلنبدأ " .

استغرق الأمر خمس عشرة دقيقة حتى قام بتنويمها مغناطيسياً ، وعندما خضعت تماماً له ، نظر جيلبرت كيلر لقطعة من الورق على مكتبه . توني بريسكوت ، وأليت بيترز . حان وقت التحول ، من الشخصية المهيمنة إلى الأخرى . نظر إلى آشلي ، بينما كانت هي نائمة في مقعدها ، ثم انحنى للأمام ، وقال لها : " صباح الخير يا توني ، هل تسمعينني ؟ " .

شاهد تحول وجه آشلي ، إلى شخصية مختلفة تماماً ، فقد اعتلى وجهها حالة من النشاط والحيوية المفاجئة وبدأت تغني :

بنصف جنيه أرز
وبنصف جنيه سكر
اصنع بهما خليطاً حلواً ،
لكن يهرب ذلك السنجاب .

" هذا رائع يا توني ، إنني جيلبرت كيلر " .

قالت توني : " أعرف أنك جيلبرت " .

" إنني سعيد بمقابلتك ، هل أخبرك أحد من قبل بأنك تمتلكين صوتاً غنائياً رائعاً ؟ " .

" نعم " .

" هل حضرت دروساً فى الغناء من قبل ؟ أعتقد أن ذلك قد حدث " .

" لا ، لم يحدث ذلك ، فى الحقيقة ، لقد أردت أن أحضر دروساً فى الغناء ، ولكن .... " ـ بحق الله ، توقفى عن هذا الضجيج المزعج ، فمن الذى أخبرك بأنك تستطيعين الغناء ؟ ـ " لا شىء ... لا تشغل بالك " .

" تونى ، إننى أريد مساعدتك " .

" لا ، إنك لا تريد ذلك ، يا أيها الدكتور اللطيف ، إنك تريد غوايتى " .

" لماذا تقولين هذا ، يا تونى ؟ " .

" هذا هو كل ما تريدون فعله أيها الرجال ، إلى اللقاء " .

صمت

نظر جيلبيرت كيلر إلى وجه آشلى مجدداً ، وكان هادئاً ساكناً . انحنى الدكتور كيلر نحوها وقال : " أليت ؟ " .

لم تتغير تعبيرات وجه آشلى .

" أليت ... ؟ " .

ما من إجابة .

أريد التحدث إليك يا آشلى " .

بدأت آشلى تتحرك بصعوبة .

" اظهرى يا أليت " .

أخذت آشلى نفساً عميقاً ، ثم حدث سيل هائل من الكلمات الإيطالية .

" هل تتحدث الإيطالية ؟ " ـ قالت ذلك باللغة الإيطالية .

" أليت ... " .

" إننى لست مجنونة " ـ قالت ذلك أيضاً باللهجة الإيطالية .

" أليت ، استمعى إلىّ ، إنك فى أمان . أريدك أن ترتاحى ، وتهدئى من روعك " .

" إننى ... متعبة " . بدأت ذلك بالإيطالية ، ثم كررت بالانجليزية .

" لقد مررت بوقت عصيب للغاية ، ولكن كل ذلك قد راح وولّى . سيكون مستقبلك أكثر أماناً ، هل تعرفين أين أنت الآن ؟ " .

كان صوته حازماً يبعث على الثقة .

" نعم إنه يبدو مكاناً للناس المختلين عقلياً ، وكذلك فأنت هنا يا دكتور إنك أنت المجنون " .

" إنه المكان الذى ستتلقين فيه علاجك يا أليت عندما تغمضين عينيك ، وتتخيلين هذا المكان ، فماذا سوف يتبادر إلى ذهنك يا أليت ؟ " .

" الرسام هوجارس ، فقد رسم لوحات للأماكن التى يحتجز فيها المختلون عقلياً ، والتى دائماً ما تكون مرعبة ." إنك جهل

" لا أريدك أن تتخيلى هذا المكان مرعباً . أخبرينى عن نفسك يا أليت . ماذا تحبين أن تفعلى ؟ ماذا تفضلين أن تفعلى وأنت موجودة هنا ؟ " .

" أريد الرسم " .

" ستحضر لك بالتأكيد بعض الألوان " .

" لا ! " .

" لماذا ؟ " .

" لا أريد ذلك " . " ماذا تطلقين على ذلك الرسم أيتها الطفلة ؟ إنه رسم قبيح للغاية " .

دعنى وشأنى .

" أليت ؟ " شاهد الدكتور كيلر وجه آشلى يتحول مرة أخرى . ذهبت أليت ، فقام الدكتور كيلر بإيقاظ آشلى . فتحت عينيها ، ثم أغمضت وفتحت مرة أخرى ، وقالت :

" هل بدأت ؟ " .

" لقد انتهينا " .

" وماذا فعلت ؟ " .

" تحدثت إلىّ كل من تونى ، وأليت ، إنها بداية طيبة يا آشلى " .

جاء فى خطاب ديفيد سينجر ما يلى :

عزيزتى آشلى :

أردت أن أخبرك فقط بأننى أفكر دائماً فى حالتك ، متمنياً أن تحرزى تقدماً ملموساً . فى الحقيقة ، إننى أفكر فيك فى أغلب الأوقات ، وأشعر كأننا خضنا الحروب معاً ، ولكننا قد انتصرنا فيها ، ولدىّ أخبار جيدة . لقد سقطت عنك جريمتا القتل فى كيبيك ، وبيدفورد إذا كان هناك ما يمكننى مساعدتك به ، فارجوك أطلعينى عليه .

مع أطيب تمنياتى

ديفيد

فى الصباح التالى ، تحدث الدكتور كيلر إلى تونى بينما كانت آشلى واقعة تحت تأثير التنويم المغناطيسى .

" كيف تسير الأمور الآن يا دكتور ؟ " .

" فقط كنت أريد التحدث إليك قليلاً . أريد مساعدتك " .

" لا أريد هذه المساعدة منك ، إننى بخير " .

" حسناً ، إننى بحاجة لمساعدتك يا تونى . أريد أن أطرح عليك سؤالاً . ما الذى تعتقدين فى آشلى ؟ " .

" هذه الحمقاء الغبية ؟ لا تحدثنى عنها " .

" ألا تحبينها ؟ " .

" بكل تأكيد " .

" وما الذى لا تحبينه فيها ؟ " .

سادت فترة من الصمت ، ثم قالت : " إنها تريد أن تمنع الجميع من المتعة والمرح ، وإذا لم أكن أفرض سيطرتى عليها بين الحين والآخر ، لتحولت حياتنا إلى جحيم . جحيم . إنها لا تريد أن تحضر الحفلات ، ولا تفضل الرحلات ، ولا تفضل أى أشياء تبعث على المرح والمتعة " .

" ولكنك تفعلين ذلك ؟ " .

" بالطبع . وما الحياة إلا سعادة ومرح ؟ " .

" لقد ولدت فى لندن ، أليس كذلك ؟ هل ترغبين فى التحدث معى بشأنها ؟ " .

" سأخبرك بشىء واحد . أتمنى أن أكون هناك الآن " .

صمت

" تونى ... ؟ تونى ... ؟ " .

ذهبت تونى

قال الدكتور جيلبرت كيلر لآشلي : " أريد التحدث إلى أليت " ، ثم شاهد تحول تعبيرات وجه آشلي ، انحنى نحوها وقال : " أليت " .

" نعم " .

" هل سمعت حديثي مع توني ؟ " .

" نعم " .

" هل أنت وتوني تعرفان بعضكما البعض ؟ " .

" نعم " . بالطبع يعرف كل منا الآخر أيها الغبي .

" ولكن آشلي لا تعرف أياً منكما ؟ " .

" نعم " .

" هل تحبين آشلي ؟ " .

" إنها ليست سيئة " . لماذا تطرح عليَّ كل هذه الأسئلة الغبية ؟

" لماذا لا تتحدثين إليها ؟ " .

" لا تريدني توني أن أفعل ذلك " .

" هل تخبرك توني دائماً بما يجب أن تفعليه ؟ " .

" توني صديقتي " . وهذا الأمر لا يعنيك في شيء .

" أريد أن أكون صديقاً لك يا أليت . أخبريني عن نفسك ، ما هو مسقط رأسك ؟ " .

" لقد ولدت في روما " .

" هل تحبين روما ؟ " .

رأى الدكتور جيلبرت كيلر تعبيرات وجه آشلي تتحول مجدداً ، وبدأت تنتحب .

لماذا ؟ انحنى الدكتور كيلر للأمام وقال بهدوء : " حسناً ، سوف تستيقظين الآن يا آشلي ... " .

فتحت عينيها .

" تحدثت إلى توني وأليت ، إنهما صديقتان ، أريدكن جميعاً أن تصبحن صديقات " .

عندما كانت آشلي تتناول الغداء ، حضر أحد الممرضين إلى غرفتها ، ورأى رسماً لأحد المناظر الطبيعية على أرضية الغرفة . فحصها للحظة ، ثم أخذها إلى مكتب الدكتور كيلر .

تم انعقاد اجتماع في مكتب الدكتور لويزون .

" كيف تسير الأمور يا جيلبرت ؟ " .

قال الدكتور كيلر باهتمام : " لقد تحدثت إلى البديلتين . المسيطرة فيهما هي توني وأصولها إنجليزية ولا ترغب في التحدث . والأخرى ، أليت ، ولدت في روما ، ولا تريد التحدث عن ذلك أيضاً . وبناء عليه ، فإنني سأركز على هذه النقطة . فهنا حدثت الصدمة . توني هي الأكثر عدوانية ، بينما أليت أكثر رقة ، وخضوعاً ، إنها مهتمة بالرسم ، ولكنها تخشى مواصلته ، ويجب عليَّ أن أكتشف السبب في ذلك " .

" إذن هل تعتقد أن توني هي من تسيطر على آشلي ؟ " .

" نعم ، توني هي المسيطرة . وآشلي ليست مدركة لوجودها ، فهي لا تعرف بأمر هيمنة توني ، أو حتى وجود أليت . ولكن أليت وتوني تعرفان بعضهما البعض ، وهذا هو المثير في الأمر وتتمتع توني بصوت غنائي جميل ، وأليت رسامة موهوبة " . ثم رفع الرسم الذي أحضره ، وقال : " أعتقد أن موهبتيهما هي المفتاح الذي سيجعلنا نتوصل إلى السر " .

تلقت آشلي خطاباً من أبيها ، وكان يحدث ذلك مرة كل أسبوع ، وبعد أن تقرأ خطابات أبيها في كل مرة ، كانت تجلس في حجرتها صامتة لا تريد التحدث مع أي شخص .

قال الدكتور كيلر للدكتور أوتو لويزون : " إن هذه الخطابات هي التي تربطها بالمنزل ، وأعتقد أن ذلك يزيد من رغبتها في الخروج من هنا والبدء في حياة طبيعية . إن أي شيء مهما بلغ صغره يساعد في ... " .

بدأت آشلي تعتاد ما حولها وتتآلف معه ، وكان المرضى يتجولون ويذهبون إليها على الرغم من أن الحراس واقفون عند كل باب في الممر ، فالأبواب المؤدية إلى أسفل دائماً مغلقة ، وكانت هناك حجرة ترفيهية حيث يمكن مشاهدة التلفاز فيها ، وممارسة الألعاب الرياضية ، كما كانت هناك غرفة لتناول الطعام . كانت هناك نوعيات مختلفة من الأشخاص : فهناك الصينيون ، واليابانيون ، والفرنسيون ، والأمريكيون ، ... كانت الجهود مبذولة إلى أقصى درجة حتى يبدو المستشفى مكاناً عادياً ، ولكن عندما كانت آشلي تذهب إلى غرفتها كان الباب دائماً ما يغلق خلفها .

قالت توني لأليت متذمرة : " هذا ليس مستشفى ، إنه سجن كئيب " .

" ولكن الدكتور كيلر يعتقد أن بإمكانه علاج آشلي ، وعندئذ يمكننا الخروج من هنا " .

" لا تكوني غبية يا أليت ، ألا تفهمين ؟ إن الطريقة الوحيدة التي يمكن من خلالها علاج آشلي هي التخلص منا ، بمعنى آخر ،

إن علاج آشلي يتوقف على موتنا . حسناً ، إنني لن أسمح بحدوث ذلك أبداً " .

" وماذا ستفعلين ؟ " .

" سأحاول البحث عن طريقة للهروب من هنا " .

" أنت كذلك بالفعل ، هل أنت متزوج يا بيل ؟ " .

" كنت متزوجاً من قبل " .

" لابد أن زوجتك قد أصابها الجنون حتى تفكر في هجرانك . ما المدة التي عملت فيها هنا يا بيل ؟ " .

" خمس سنوات " .

" إنها فترة طويلة . هل شعرت أبداً برغبتك في مغادرة المكان ؟ " .

" بالتأكيد أحياناً ما أشعر بذلك " .

خفضت تونى من صوتها : " أتعلم ، إنتنى لست مصابة بأى شيء ، إنتنى أعترف بأنني كنت أواجه مشكلة بسيطة عندما حضرت إلى هنا ، ولكنني الآن على خير ما يرام بعد أن تماثلت للشفاء . أريد مثلك الخروج من هنا ، وإنني متأكدة من أنه بإمكانك مساعدتي " .

يمكننا مغادرة هذا المكان معاً ، وسنقضي وقتاً رائعاً معاً بعد ذلك " .

تفرسها للحظة ، ثم قال : " لا أعرف ماذا أقول لك " .

" نعم ، ستقول نعم . سوف ترى أن الأمر سهل . كل ما عليك فعله هو السماح لي بالخروج في إحدى الليالي بينما الجميع نيام ، وسنخرج معاً من هنا " ، ثم نظرت إليه وقالت بهدوء : " لن تندم فسوف تنال مقابل ذلك ما تطلبه " .

أومأ برأسه ، وقال : " دعيني أفكر في هذا " .

قالت تونى بنبرة إقناع : " ستفعل ذلك بالتأكيد " .

الفصل الرابع والعشرون

في صباح اليوم التالي قاد أحد الممرضين آشلي عائداً إلى غرفتها ، وقال لها : " تبدين مختلفة اليوم " .

" أحقاً هذا يا بيل ؟ " .

" نعم ، كأنك شخص آخر تقريباً " .

قالت تونى بهدوء : " أنت من جعلتني كذلك " .

" ماذا تقصدين ؟ " .

" أنت من جعلتني أشعر بتميزي وتفردي " ، ثم لمست ذراعه ونظرت إلى عينيه : " أنت من جعلتني أشعر بأنني إنسانة رائعة " .

" أكملي ، وماذا أيضاً ؟ " .

" إنك تتمتع بجاذبية شديدة ، هل تعرف ذلك ؟ " .

" لا " .

عندما عادت تونى إلى غرفتها ، قالت لأليت : " سوف نخرج من هذا المكان " .

فى صباح اليوم التالى ، قادوا آشلى إلى مكتب الدكتور كيلر .

" طاب صباحك ، يا آشلى " .

" طاب صباحك ، يا جيلبرت " .

" سنجرب مصل الحقيقة هذا الصباح ، هل جربته من قبل ؟ " .

" لا " .

" حسناً ، ستجدينه مريحاً للغاية " .

أومأت آشلى : " حسناً ، إننى جاهزة " .

بعد خمس دقائق ، كان الدكتور كيلر يتحدث إلى تونى وقال :

" طاب صباحك يا تونى " .

" أهلاً ، يا دكتور " .

" هل أنت سعيدة هنا يا تونى ؟ " .

" من الجميل أن تطرح علىّ مثل هذا السؤال فى الواقع ، لقد بدأت أشعر بالسعادة فى هذا المكان ، وأشعر بأننى فى بيتى " .

" إذن لماذا تحاولين الهرب ؟ " .

تغيرت نبرة صوتها وطغى عليها بعض الخشونة ، وقالت :

" ماذا ؟ " .

" أخبرنى بيل بأنك طلبت منه مساعدتك على الهروب من هنا " .

" هذا الوغد " ، وانتابها غضب شديد وضح فى صوتها . نهضت مسرعة من فوق الكرسى ، وجرت نحو المكتب ، وأخذت مثقلة الأوراق ، وقذفتها على رأس الدكتور كيلر .

أحنى رأسه متفادياً ذلك .

" سأقتلك وأقتله " .

أمسكها الدكتور كيلر بقوة : " تونى ... " .

رأى تعبيرات وجه آشلى تتحول ، لقد ذهبت تونى واكتشف أن دقات قلبه متسارعة .

" آشلى " .

عندما أفاقت آشلى ، فتحت عينيها ، ونظرت حولها فى حيرة ، وقالت : " هل كل شىء على ما يرام ؟ " .

" لقد هاجمتنى تونى . لقد انتابها غضب شديد لأننى كشفت أنها تحاول الهرب " .

" إننى ... إننى شديدة الأسف ، لقد انتابنى شعور بأن شيئاً سيئاً سيحدث " .

" حسناً أريد أن أواجهك بتونى وأليت " .

" لا " .

" لِمَ لا ؟ " .

" إننى خائفة ، ولا ... ولا أريد مقابلتهما . ألا تفهم ؟ إنهما غير حقيقيتين ، إنهما خيال " .

" آجلاً أو عاجلاً ، سوف يكون عليك مقابلتهما ، يا آشلى يجب أن تعرف كل منكن الأخرى . تلك هى الطريقة الوحيدة التى يمكن علاجك من خلالها " .

نهضت آشلى وقالت : " أريد العودة إلى غرفتى " .

عندما عادت آشلي إلى غرفتها ، رأت الحارس يغادر المكان ، كان يملؤها إحساس عميق باليأس . حدثت نفسها قائلة : إنني لن أغادر هذا المكان أبداً . إنهم يكذبون علي . لا يمكنهم علاجي . لم تستطع أن تتقبل حقيقة كون وجود شخصيتين أخريين بداخلها ... وبسببهما ، قتل عدد من الرجال ، وتشرد عدد من الأسر . لماذا أنا ؟ بدأت تنتحب ، ثم جلست على الفراش وحدثت نفسها قائلة : لا يمكنني مواصلة حياتي على هذا النحو . هناك طريقة وحيدة لإنهاء كل ذلك ، ويجب عليّ اتباعها الآن .

نهضت وسارت في أرجاء الغرفة ، باحثة عن أية آلة حادة ، لم تعثر على أي شيء من هذا القبيل ، لقد صممت الغرفة بعناية شديدة بحيث لا يوجد أي شيء يمكن للمرضى أن يضروا به أنفسهم .

وبينما كانت في أرجاء الغرفة ، رأت الألوان والفرشاة المصنوعة من الخشب ، فكسرت آشلي إحداها إلى نصفين ، فبدت حادة ، وحوافها نائتة حادة ، وببطء وضعت الحواف الحادة على رسغها وبحركة سريعة ، تعمقت الحواف فقطعت شرايينها ، وبدأت الدماء تنزف منها . وقفت تشاهد الدماء تلطخ السجادة ، فبدأت تشعر بالبرد ، فسقطت على الأرضية ، واستدارت في سقطتها لتتخذ وضع الموتى .

ثم ساد ظلام دام .

شعر الدكتور كيلر بالصدمة ، عندما سمع بهذه الأخبار . ذهب لزيارة آشلي في حجرة العناية الطبية وكان رسغاها مربوطين

بالضمادات ، وشاهدها راقدة هناك ، فحدث الدكتور كيلر نفسه : لا يمكن أن أسمح لذلك بأن يحدث مرة أخرى أبداً .

قال لها : " كنا على وشك فقدانك ، مما سبب لي حزناً شديداً " .

تمكنت آشلي من رسم ابتسامة صغيرة على وجهها ، وقالت : " إنني شديدة الأسف ، ولكنني فقدت الأمل في ... كل شيء " .

حاول الدكتور كيلر بث الطمأنينة في نفسها ، وقال لها : " أنت مخطئة يا آشلي هل تنشدين المساعدة حقاً ؟ " .

" نعم " .

" إذن يجب أن تثقي بي ، وعليك أن تساعديني بدورك . ولا يمكنني فعل أي شيء بمفردي . ما قولك إذن ؟ " .

سادت فترة طويلة من الصمت ، ثم قالت : " ماذا تريد مني أن أفعل ؟ " .

" في البداية ، أريدك أن تعديني بأنك لن تحاولي أبداً إلحاق الضرر بنفسك مرة أخرى " .

" حسناً . أعدك " .

" سوف أحصل على نفس الوعد الآن من توني ، وأليت . وسوف أخضعك للتنويم المغناطيسي الآن " .

بعد دقائق قليلة ، كان الدكتور كيلر يتحدث إلى توني .

" هذه الحمقاء حاولت قتلنا جميعاً ، إنها تفكر في نفسها فقط . هل تعي ما أقوله ؟ " .

" توني ... " .

" حسناً ، إنني لن أسمح لذلك بأن يحدث . إنني ... " .

" هل يمكنك أن تهدئي وتنصتي لي ؟ " .

" إننى منصتة " .

" أريدك أن تعدينى بأنك لن تحاولى أبداً إيذاء آشلى " .

" ولماذا يجب أن أعدك بذلك ؟ " .

" لأنك جزء منها . لقد ظهرت أنت فى هذا الوجود نتيجة الألم الذى انتابها فى يوم ما . إننى لا أعرف بعد ما هذا الألم الذى ساعد على ظهورك يا تونى ، ولكننى أعرف أنه بالتأكد كان ألماً شديداً ، ولكن يجب أن تعى أنك مررت بنفس الألم ، وكذلك أليت . فإن ثلاثتكن مشتركات فى الكثير ، ويجب على كل منكن مساعدة الأخرى . هل تعدينني ؟ " .

صمت .

" تونى ؟ " .

قالت متذمرة : " أعتقد ذلك " .

" أشكرك . هل تودين التحدث عن إنجلترا الآن ؟ " .

" لا " .

" أليت . هل أنت موجودة ؟ " .

" نعم " . أين تعتقد أننى موجودة أيها الغبى ؟

" أريدك أن تعدينى بألا تلحقى بآشلى أى ضرر أبداً " .

إنها الوحيدة التى تهتم بها ، أليس كذلك ؟ آشلى ، آشلى ، آشلى .
وماذا عنا ؟

" أليت ؟ " .

" نعم . أعدك " .

مر العديد من الشهور ، ولم تظهر أى علامة تدل على تحسن حالة آشلى . جلس الدكتور كيلر أمام مكتبه ، يراجع الملاحظات ، ويتذكر الجلسات التى عقدها مع آشلى ، محاولاً إيجاد الحلقة الناقصة ، لقد تابع الكثير من المرضى الآخرين ، ولكنه اكتشف أنه أكثر اهتماماً بحالة آشلى ، هناك هذه الفجوة الهائلة بين براءتها ، والقوى المظلمة التى تمكنت من السيطرة على حياتها .

فى كل مرة يتحدث إلى آشلى ، كانت تنتابه رغبة شديدة فى حمايتها . إنها بمثابة ابنة لى . أية ابنة ؟ إننى أمزح . لقد وقعت فى حبها .

ذهب الدكتور كيلر لزيارة أوتو لويزون : " إننى أواجه مشكلة يا أوتو " .

" أعتقد أنها تتعلق بمرضانا " .

" إنها تتعلق بأحد مرضانا . إنها آشلى باترسون " .

" أوه ؟ " .

" لقد اكتشفت أننى ... أننى منجذب للغاية إليها " .

" التحول العكسى ؟ " .

" نعم " .

" قد يمثل هذا خطورة كبيرة لكل منكما ، يا جيلبرت " .

" أعرف ذلك " .

" حسناً ، مادمت مدركاً لذلك ... احذر " .

" سأفعل ذلك " .

نوفمبر

لقد أعطيت آشلى مفكرة يومية صباح اليوم .

" أريدك أنت ، وتونى ، وأليت ، أن تستخدمن هذه يا آشلى . يمكنك الاحتفاظ بها في غرفتك . وعندما تراود أياً منكن أية أفكار ويفضل كتابتها عن التحدث معى بشأنها ، فقط قومى بتدوينها فى هذه المفكرة " .

" حسناً ، جيلبرت " .

بعد شهر ، قام الدكتور كيلر بتدوين بعض الأشياء فى مفكرته اليومية :

ديسمبر

لقد وصلت رحلة العلاج إلى طريق مسدود ، فإن أليت ، وتونى ترفضان التعرض لماضيهما ، وأصبح من الصعب إقناع آشلى بالخضوع للتنويم المغناطيسى .

مارس

مازالت المفكرة بيضاء ، ولست متأكداً مما إذا كان هذا الإصرار نابعاً من داخل آشلى أم تونى ، فعندما أقوم بتنويم آشلى مغناطيسياً ، لا تحضر تونى أو أليت إلا قليلاً . إنهما مصرتان على عدم التحدث بشأن الماضى .

يونية

إننى ألتقى بآشلى بانتظام ، ولكننى لا أعتقد أن هناك أى تقدم . لقد أعطيت أليت بعض الفرش والألوان ، وأتمنى أن يكون هناك أى تقدم .

يولية

لقد حدث شىء ما ، ولكننى لا أدرى إذا كان هذا دليلاً على إحراز أى تقدم فى العلاج أم لا ، فلقد قامت أليت برسم لوحة جميلة لأرضيات المستشفى ، وعندما امتدحت هذه اللوحة ، بدا على وجهها السرور الشديد ، ولكنى وجدت فى المساء أن اللوحة قد تم تمزيقها .

كان الدكتور كيلر ، وأوتو لويزون يتناولان القهوة . قال الدكتور كيلر : " أعتقد أننى سوف أقوم بتجربة العلاج الجماعى . فلا يبدو أن شيئاً آخر سوف يجدى " .

" كم عدد المرضى الذين تفكر فى جمعهم ؟ " .

" ليس أكثر من ستة مرضى . أريدها أن تتفاعل مع أناس آخرين . إنها حتى الآن تحيا فى عزلة وأريدها أن تكسر تلك العزلة ، وتخرج من هذه الوحدة .

" فكرة جيدة ، وتستحق التجربة " .

قاد الدكتور كيلر آشلى إلى غرفة اجتماعات صغيرة ، وكان هناك ستة أشخاص فى الغرفة .

قال الدكتور كيلر : " أريدك أن تتعرفي على بعض الأصدقاء " ، ثم سار مع آشلي يقدمها إلى كل منهم ، ولكنها كانت منطوية على نفسها لدرجة منعتها من الانتباه لأسمائهم . كان هناك : المرأة السمينة ، والرجل النحيف ، والمرأة الجريئة ، والأعرج ، والمرأة الصينية ، والرجل الوسيم ، وكان يبدو عليهم جميعا السرور .

قالت المرأة الجريئة : " تفضلي بالجلوس ، هل تريدين بعض القهوة ؟ " .

جلست آشلي وقالت : " شكراً " .

قال الرجل الوسيم : " سمعنا عنك ، لقد عانيت الكثير " .

أومأت آشلي برأسها .

قال الرجل النحيف : " أعتقد أننا جميعاً واجهنا كثيراً من الصعاب والآلام ، ولكننا الآن نتلقى العون . هذا المكان رائع " .

قالت المرأة الصينية : " فهنا يوجد أفضل أطباء العالم " .

حدثت آشلي نفسها قائلة : يبدون جميعاً طبيعيين .

جلس الدكتور كيلر في أحد الأركان ، مراقباً الحوار ، وبعد خمس وأربعين دقيقة نهض ، وقال : " أعتقد أنه يجب أن تذهبي الآن يا آشلي " .

نهضت آشلي قائلة : " سررت بمقابلتكم جميعاً " .

سار نحوها الرجل الأعرج وقال في همس : " لا تشربي المياه هنا ، فهي مسممة . إنهم يريدون قتلنا ، ويواصلون الحصول على الأموال من الحكومة " .

ازدردت آشلي لعابها ، وقالت : " أشكرك ، سوف ... أتذكر " .

وبينما كانت آشلي تغادر المكان مع الدكتور كيلر ، في الممر خارج الغرفة ، قالت له : " مم يعانون ؟ " .

" جنون العظمة ، فصام ، انفصام تعددي للشخصية ، عقد الاضطهاد ، ولكنهم أحرزوا تحسناً واضحاً منذ أن حضروا إلى هذا المكان . هل تودين التحاور معهم في أوقات منتظمة ؟ " .

" لا " .

ذهب الدكتور كيلر إلى مكتب أوتو لويزون .

اعترف قائلاً : " إنني لم أحرز أي تقدم ، ولم يفلح العلاج الجماعي ، وكذلك لم تُجْدِ جلسات التنويم المغناطيسي على الإطلاق أريد أن أقوم بتجربة شيء ما مختلف .

" وما هو ؟ " .

" أريد تصريحاً منك باصطحاب آشلي لتناول العشاء خارج مبنى المستشفى .

" لا أعتقد أنها فكرة جيدة ، يا جيلبرت ، بل قد يمثل ذلك خطورة ، فهي بالفعل قد ... " .

" أعرف ذلك ، ولكنني في الوقت الحالي عدو لها ، وأريد أن أصبح صديقها " .

" إن الشخصية البديلة التي بداخلها ، والتي تدعى توني ، حاولت قتلك مرة ، فماذا سيحدث لو حاولت قتلك مرة أخرى ؟ " .

" سأتعامل مع الأمر " .

فكر الدكتور لويزون بشأن ذلك ثم قال : " حسناً ، هل ترغب في اصطحاب شخص ثالث معكما ؟ " .

" لا ، سأكون بخير يا أوتو " .

" متى تريد تنفيذ ذلك ؟ " .

" الليلة " .

" هل تريد أن تصطحبني لتناول العشاء معك الليلة ؟ " .

" نعم ، وأعتقد أن ذلك يمثل فرصة جيدة لك للخروج من هذا المكان لبرهة من الوقت يا آشلي . ما قولك ؟ " .

" نعم " .

* * *

اندهشت آشلي لشعورها بالسرور والإثارة لفكرة خروجها لتناول العشاء مع جيلبرت كيلر ، فحدثت نفسها قائلة : من الرائع مغادرة هذا المكان لليلة ، لكنها أدركت أن ذلك يمثل لها أكثر من مجرد الخروج للعشاء . إن فكرة الخروج مع جيلبرت كيلر لهي فكرة مثيرة حقاً .

كانا يتناولان العشاء في مطعم ياباني يدعى أوتاني جاردنز ، وهو يبعد عن المستشفى بمسافة خمسة أميال . كان الدكتور كيلر يعلم أنه قد أقدم على مخاطرة من نوع ما ، ففي أية لحظة ، قد تظهر توني أو أليت . لقد تلقى تحذيراً . من الضروري للغاية أن تتعلم آشلي كيف تثق بي ، لكي يمكنني مساعدتها .

قالت آشلي : " إن هذا لشيء ممتع يا جيلبرت " ، قالت ذلك وهي تتجول ببصرها حول المطعم المزدحم .

" ما هذا الشيء الممتع ؟ " .

" لا يبدو أن هؤلاء الأشخاص يختلفون عن الأشخاص الآخرين في المستشفى " .

" إنهم ليسوا مختلفين في الحقيقة يا آشلي ، وإنني على يقين من أنهم جميعاً يواجهون مشكلات . الاختلاف الوحيد يتمثل في أن الأشخاص الموجودين في المستشفى لا يستطيعون التوافق والتكيف مع مشكلاتهم ، وبناءً عليه فإننا نقدم لهم المساعدة " .

" إنني لم أكن أعرف أنني أعاني من أية مشكلة ما حتى ... حسناً ، أنت تعلم " .

" هل تعرفين السبب يا آشلي ، لأنك دفنت هذه المشكلات . إنك لم تستطيعي مواجهة ما حدث لك ، وبناءً عليه قمت ببناء الحواجز في ذهنك ، وأبعدت الأمور السيئة . إن الكثير من الناس يفعلون ذلك بنسب متفاوتة " ، ثم غير الموضوع بشكل لبق قائلاً : " كيف حال طعامك ؟ " .

" لذيذ الطعم ، أشكرك " .

* * *

ومنذ ذلك الحين ، كانت آشلي تتناول الطعام مع الدكتور كيلر مرة كل أسبوع خارج بناية المستشفى ، فلقد تناولا الغداء في مطعم إيطالي صغير ممتاز يدعى بالدوشي ، وكذلك في مطعم العالم والإيفيلين ، وفي أثناء ذلك لم تظهر توني أو أليت .

وفي إحدى الليالي ، اصطحب الدكتور كيلر آشلي إلى أحد الملاهي الليلية ، وكانت هناك فرقة موسيقية رائعة . سألها : " هل تستمتعين بذلك يا آشلي ؟ " .

" مستمتعة جداً ، أشكرك " ، ثم نظرت إليه ، وقالت : " أنت تختلف عن الأطباء الآخرين " .

" لأنهم لا يصطحبون مرضاهم مثلما أفعل ؟! " .

" أنت تعلم ما أقصد " .

شعر كلاهما بالسعادة البالغة .

" قد يمثل ذلك خطورة بالغة لكما يا جيلبرت ... " .

الفصل الخامس والعشرون

" إننى أعرف حيلتك التى تحاول أن تخدع بها آشلى ، يا دكتور . إنك تحاول أن تجعلها تعتقد أنك صديقها " .

" إننى صديقها يا تونى ، وصديقك أيضاً " .

" لا ، إنك لست كذلك . إنك تعتقد أنها عظيمة ، وأنا لا أمثل أى شىء " .

" إنك مخطئة ، فأنا أحترمك ، وأحترم أليت بنفس قدر احترامى لآشلى ، وجميعكن تمثلن نفس الأهمية بالنسبة لى " .

" هل أنت صادق فى ذلك ؟ " .

" نعم يا تونى ، عندما أخبرتك بأن لك صوتاً غنائياً جميلاً ، فإننى كنت أقصد ذلك بالفعل . هل تستطيعين عزف أية آلة موسيقية ؟ " .

" البيانو " .

" إذا هيئت لك فرصة استخدام البيانو الموجود فى قاعة الترويح ، هل تستطيعين العزف والغناء ، هل يروق لك ذلك ؟ " .

قالت فى دلال : " ربما " .

ابتسم الدكتور كيلر : " إذن يسعدنى أن أفعل ذلك ، وسأهيئ لك هذه الفرصة " .

" أشكرك " .

وبالفعل هيأ الدكتور كيلر لتونى الدخول إلى غرفة الترويح لمدة ساعة بعد ظهيرة كل يوم . فى البداية ، كانت الأبواب مغلقة ولكن عندما سمع الآخرون عزف البيانو ، وصوتها الشجى من داخل الغرفة ، فتحوا الأبواب ليتصتوا ، وفى وقت قصير كان العشرات من المرضى يستمتعون بما تقدمه لهم آشلى .

كان الدكتور كيلر يتفحص ملاحظاته مع الدكتور لويزون . قال الدكتور لويزون : " وماذا عن الشخصية الأخرى ... أليت ؟ " .

" لقد رتبت الأمور حتى يمكنها الرسم فى الحديقة بعد ظهيرة كل يوم ، وسوف أشاهدها بالطبع . أعتقد أن ذلك سيكون علاجاً جيداً " .

لكن أليت رفضت ، ففى أثناء لقائها مع الدكتور كيلر ، قال لها : " إنك لا تستخدمين الألوان التى أحضرتها إليك ، يا أليت . ليس من اللطيف أن تضيع كل ذلك سدى . إنك تتمتعين بموهبة حقيقية " .

كيف تعرف ذلك ؟

" هل تستمتعين بالرسم ؟ " .

" نعم " .

" لماذا إذن لا تمارسينه ؟ " .

" لأننى لست ماهرة " . كفاك تطفلاً .

" من أخبرك بذلك ؟ " .

" أمى ... " .

" إننا لم نتحدث بشأن والدتك . هل ترغبين فى التحدث معى عنها ؟ " .

" ليس هناك ما يمكننى إخبارك به " .

" لقد توفيت نتيجة حادث أليم ، أليس كذلك ؟ " .

سادت فترة صمت طويلة ، ثم قالت : " نعم ، لقد حدث ذلك " .

فى اليوم التالى ، بدأت أليت تمارس هواية الرسم . لقد كانت تستمتع بوجودها فى الحديقة بين اللوحات والفرش . وعندما كانت تمارس الرسم ، كانت تنسى كل شىء آخر ، وكان بعض المرضى يتجمعون حولها لمشاهدتها ، وتحدثوا جميعاً بنبرات مختلفة الألوان .

الأسود : " يجب أن توضع رسوماتك فى معرض " .

الأصفر : " إنك حقاً ماهرة " .

الأسود : " أين تعلمت ذلك ؟ " .

البرتقالى : " هل يمكنك رسم لوحة لى فى وقت ما ؟ " .

الأسود : " أتمنى معرفة كيفية عمل ذلك " .

كانت دائماً ما تشعر بالحزن عندما ينفد الوقت المسموح لها لعمل ذلك ، وتضطر للعودة إلى البناية الضخمة .

" أريد أن أقدم لك شخصاً ما يا آشلى . هذه هى ليزا جاريت " . وكانت امرأة فى الخمسينيات من عمرها ، صغيرة الحجم شاحبة الوجه . " ليزا ستغادر إلى منزلها اليوم " .

قالت ليزا : " أليس هذا رائعاً ؟ إننى أدين بكل ذلك للدكتور كيلر " .

نظر جيلبرت كيلر إلى آشلى ، وقال : " ليزا كانت تعانى من الانفصام التعددى للشخصية ، وكان بداخلها ثلاث عشرة شخصية بديلة " .

" هذا صحيح يا عزيزى ، وجميعها اختفت تماماً " .

قال الدكتور كيلر بوضوح شديد : " إنها الريضة الثالثة التى تعانى من الانفصام التعددى للشخصية ، وتغادر هذا المكان خلال العام الجارى " .

وهنا ، شعرت آشلى ببارقة أمل .

قالت أليت : " إن الدكتور كيلر حساس للغاية ، ويبدو أنه بالفعل يحبنا " .

قالت تونى : " إنك حمقاء ، ألا ترين ما يحدث ؟ لقد أخبرتك من قبل بأنه يتظاهر بحبه لنا ، حتى نفعل ما يريدنا أن نفعله . وهل تعرفين ماذا يبغى من وراء ذلك ؟ إنه يريد التخلص منا ، عن طريق إقناع آشلى بأنها لم تعد بحاجة إلينا ، وهل تعرفين ماذا سيحدث عندئذ ؟ سيموت كل منا . هل هذا ما تريدينه ؟ إننى لا أريد ذلك بالطبع " .

قالت أليت بتردد : " حسناً ، إننى أيضاً لا أريد ذلك " .

" إذن ، أنصتى إلىّ جيداً ، إننا سنوافق الدكتور ، ونجعله يعتقد أننا بالفعل نريد مساعدته . سوف نخدعه ، فلسنا فى عجلة من أمرنا ، وأعدك بأننا فى يوم ما سنخرج معاً من هنا " .

" أنت على حق يا تونى " .

" حسناً ، وبناءً عليه سنجعل الدكتور يعتقد أنه يحرز تقدماً " .

وصل خطاب من ديفيد ومرفق طىّ الخطاب صورة طفل صغير ، وجاء بالخطاب ما يلى :

عزيزتى آشلى ،

أتمنى أن تكونى قد تحسنت وأن العلاج يتقدم بشكل فعال . كل شىء هنا على ما يرام . إننى أبذل مجهوداً كبيراً فى عملى ولكننى أستمتع به كثيراً . ولقد أرفقت مع هذا الخطاب صورة لطفلنا جيفرى الذى يبلغ من العمر عامين . إنه يكبر بسرعة ، وفى غضون دقائق قليلة سيتزوج . ليست هناك أخبار مهمة لأبلغك بها ، ولكننى فقط أردت أن أحيطك بأنك لا تغيبين عن ذهنى أبداً .

تشاركنى ساندرا فى إرسال تمنياتنا لك بالشفاء .

ديفيد

تفحصت آشلى الصورة ، وحدثت نفسها قائلة : إنه طفل جميل ، أتمنى له حياة سعيدة .

ذهبت لتتناول العشاء ، وعندما عادت ، وجدت صورة الطفل ملقاة على أرضية الحجرة ، وممزقة إلى قطع صغيرة .

في الخامس عشر من شهر يونية ، في الساعة الواحدة والنصف بعد الظهر .

المريضة : آشلي باترسون . جلسة علاجية باستخدام مصل الحقيقة . الشخصية البديلة : أليت بيترز .

" أخبريني عن روما يا أليت " .

" إنها أجمل مدينة في العالم . إنها مليئة بالمتاحف الرائعة لقد اعتدت زيارتها جميعاً " . وماذا تعرف أنت عن المتاحف ؟

" وهل تمنيت أن تكوني رسامة ؟ " .

" نعم " . وماذا كنت تعتقد غير ذلك يا رجل الإطفاء ؟

" هل درست الرسم ؟ " .

" لا ، لم أفعل ذلك ؟ " هلا ذهبت لإزعاج شخص غيري ؟

" لماذا لم تفعلي ذلك ؟ هل بسبب ما قالته والدتك عنك ؟ " .

" لا ، فقط قررت أنني لست ماهرة بما يكفي لذلك " . يا توني أبعدي هذا الشخص عني !

هل واجهت أية صدمات أثناء تلك الفترة ؟ هل حدثت أي أمور مروعة يمكنك أن تتذكريها ؟ " .

" لا ، لقد كنت سعيدة للغاية " . يا توني !!!

في الخامس عشر من شهر أغسطس ، في الساعة التاسعة صباحاً .

المريضة : آشلي باترسون . جلسة تنويم مغناطيسي مع الشخصية البديلة ، توني بريسكوت .

" هل تودين التحدث عن لندن ، يا توني ؟ " .

" نعم ، لقد قضيت هناك وقتاً ممتعاً ، فإن لندن مدينة حضارية ، ويمكنك عمل الكثير فيها " .

" هل واجهت فيها أية مشكلات ؟ " .

" مشكلات ؟ لا ، لقد كنت سعيدة للغاية في لندن " .

" ألا تتذكرين أي شيء ربما يكون قد حدث في لندن ؟ " .

" بالطبع لا " . إلام تريد أن تتوصل أيها الغبي ؟

في كل جلسة تتداعى الذكريات إلى آشلي ، وعندما ذهبت إلى الفراش ليلاً ، حلمت بأنها في شركة جلوبال كمبيوتر جرافيكس ، وكان هناك شان ميلر ، وكان يمتدحها على عمل ما قامت بأدائه . " إنك تمثلين الكثير بالنسبة لنا يا آشلي . سنجعلك تعملين معنا إلى الأبد " ، ثم تحول المشهد إلى زنزانة في أحد السجون ، وكان شان ميلر يقول : " حسناً ، إنني أكره عمل ذلك الآن ، ولكن في مثل هذه الظروف ، فإن الشركة قد فصلتك . بالطبع لا يمكن أن نتورط في شيء مثل هذا . إنك تعين الأمر جيداً يا آشلي ، أليس كذلك ؟ ولا يتعلق ذلك بأية أمور شخصية " .

في الصباح ، عندما استيقظت آشلي ، وجدت وسادتها مبللة بدموعها .

شعرت أليت بالحزن الشديد من جراء الجلسات العلاجية ، فقد ذكرتها بمدى افتقادها روما ، وكم كانت سعادتها مع ريتشارد ميلتون . كان من الممكن أن تحيا معاً حياة سعيدة للغاية ، ولكن قد فات الأوان . فات الأوان .

كرهت تونى أيضاً الجلسات العلاجية ، لأنها تعيدها إلى عدد من الذكريات المؤلمة . وكل ما كانت تفعله هو حماية آشلى ، وأليت ، ولكن هل هناك أى شخص قدر لها هذا ؟ لا . إنها الآن مقيدة فى هذا المكان كما لو أنها مجرمة . ولكننى سأخرج من هنا . قطعت هذا الوعد على نفسها ، سأخرج من هنا . وحل عام آخر ، ثم انتهى . ازداد شعور الدكتور كيلر بالفشل والإحباط .

قال الدكتور لويزون إلى جيلبيرت كيلر : " لقد قرأت تقريرك الأخير ، هل تعتقد أن هناك مشكلة حقيقية ، أم أنهن يخدعننا ؟ " .

" إنهن يخدعننا بالفعل ، يا أوتو ، كما لو أنهن يعرفن ما أحاول عمله ، ولكنهن لن يسمحن لى بذلك . أعتقد أن آشلى تتمتع بقدر من الذكاء الذى يجعلها تساعدنى ، ولكن الشخصيتين الأخريين لن تسمحا لها بذلك . يمكنك عادة من خلال التنويم المغناطيسى أن تُظهرهما ، ولكن تونى قوية للغاية ، وتفرض سيطرتها الكاملة ، كما أنها تمثل خطورة كبيرة " .

" خطورة ؟ " .

" نعم ، تخيل كمّ الكره بداخلها ، والذى جعلها ترتكب جرائم قتل خمسة رجال والتمثيل بهم " .

وانقضت بقية العام .

أحرز الدكتور كيلر نجاحات عديدة مع المرضى الآخرين ، ولكن آشلى ، والتى كان يهتم بها أكثر من أى مريض آخر ، لم تتقدم

قيد أنملة . راود الدكتور كيلر شعور بأن تونى تستمتع بخداعه ، والتلاعب به . لقد صممت على ألا يحرز أى تقدم أو نجاح ، ولكن بعد ذلك ، وعلى غير المتوقع ، حدث تقدم كبير .

بدأ ذلك بخطاب من الدكتور باترسون .

فى الخامس من يونية .

عزيزتى آشلى ،

إننى فى طريقى إلى ولاية نيويورك لإجراء بعض الأعمال وإننى أرغب بشدة أن آتى لرؤيتك ، سأتصل بالدكتور لويزون ، وإذا لم يكن هناك ما يمنع ذلك ، فإننى سأحضر إليك فى الخامس والعشرين .

مع كل حبى
والدك

بعد ثلاثة أسابيع ، حضر الدكتور باترسون مع امرأة جذابة المظهر ، ذات شعر داكن اللون ، فى بداية الأربعينيات من عمرها ، ومعها ابنتها كاترينا التى تبلغ من العمر ثلاثة أعوام .

اتجها إلى مكتب الدكتور لويزون ، نهض الدكتور لويزون بمجرد دخولهما إلى مكتبه ، وقال : " الدكتور ، باترسون ، إننى سعيد لمقابلتك " .

" أشكرك ، هذه هى السيدة فيكتوريا آنيستون ، وابنتها كاترينا " .

" سعيد لمقابلتك يا سيدة آنيستون ، وأنت يا كاترينا " .

" لقد حضرتا لمقابلة آشلى " .

" رائع إنها مع الدكتور كيلر فى الوقت الحالى ، ولكنهما سينتهيان بعد قليل " .

قال الدكتور باترسون : " وكيف حال آشلى ؟ " .

تردد الدكتور لويزون قبل أن يقول : " هل يمكننى التحدث معك بمفردنا لدقائق قليلة ؟ " .

" بالتأكيد " .

التفت الدكتور باترسون نحو فيكتوريا ، وكاترينا ، وقال لهما : " يبدو أن هناك حديقة جميلة هناك ، هل يمكن أن تنتظرانى هناك ؟ سأعود إليكما مع آشلى " .

ابتسمت فيكتوريا آنيستون ، وقالت : " حسناً " ، ثم نظرت إلى الدكتور أوتو لويزون ، وقالت : " أسعدتنى مقابلتك يا دكتور " .

" شكراً يا آنيستون " .

شاهدهما الدكتور باترسون وهما يغادران المكان ، ثم التفت نحو أوتو لويزون ، وقال له : " هل هناك مشكلة ؟ " .

" سأكون صريحاً معك يا دكتور باترسون ، إننا لم نتقدم قيد أنملة ، ولم نحرز أى تقدم كما كنت آملاً . تقول آشلى إنها بحاجة لمساعدتنا ، ولكنها لا تتعاون معنا فى الحقيقة ، إنها تقاوم العلاج " .

قال له الدكتور باترسون متفحصاً إياه فى حيرة : " لماذا ؟ " .

" ليس فى الأمر مثل هذه الغرابة . ففى مرحلة ما ، يكون المريض بالانفصام التعددى للشخصية خائفاً من مقابلة الشخصيات البديلة بداخله . إنها ترعبه . إن فكرة وجود شخصيات أخرى

تحيا بداخل عقله وجسمه ، وتسيطر عليه ـ حسناً ، يمكنك أن تتخيل مدى بشاعة الفكرة " .

أومأ الدكتور باترسون : " بالطبع " .

" هناك شىء ما يثير حيرتنا بخصوص مشكلة آشلى ، فغالباً ما تبدأ المشكلات مع وجود تاريخ من الإيذاء البدنى ، عندما يكون المريض صغيراً جداً ، وليس لدينا ما يفيد وجود أى شىء من هذا القبيل بالنسبة لحالة آشلى ، وبناء عليه ، فإننا لا نعرف إطلاقاً سبب وكيفية بداية الصدمة التى أدت إلى إصابتها بالانفصام " .

التزم الدكتور باترسون الصمت للحظة ، ثم قال بنبرة ثقيلة : " إننى ألوم نفسى " .

راقبه الدكتور لويزون بانتباه .

" حدث هذا عندما كانت آشلى فى السادسة من عمرها . اضطررت للسفر إلى إنجلترا ، ولم تستطع زوجتى السفر معى . اصطحبت معى آشلى ، وكان لزوجتى هناك ابن عم يكبرها فى السن ، ويسمى جون . لم أكن أعرف ذلك وقتها ، ولكن جون .... كان يعانى من مشكلات نفسية ، وفى يوم من الأيام كان يجب أن أذهب لإلقاء إحدى المحاضرات ، وعرض علىّ جون أن يرعى ابنتى آشلى ، وعندما عدت فى مساء ذلك اليوم ، لم أعثر عليه ، وكانت آشلى فى حالة هيستريا . استغرق الأمر طويلاً حتى تمكنت من تهدئة روعها ، وبعد ذلك ، لم تكن تسمح لأى شخص بأن يقترب منها ، وبعدها تم القبض على جون كشخص ارتكب سلسلة من جرائم التحرش بالأطفال . ظهرت على وجه الدكتور باترسون ملامح الألم . ثم أردف قائلاً : " إننى لم أسامح نفسى إطلاقاً ، ولم أترك آشلى مع أى شخص آخر من ذلك الحين " . سادت فترة من

الصمت ، ثم قال الدكتور لويزون : " إننى أشعر بالأسف الشديد . ولكننى أعتقد أنك منحتنا الإجابة لما كنا نتطلع إليه يا دكتور باترسون . الآن سيحصل الدكتور كيلر على شيء ما محدد ليتعامل معه " .

" كان ذلك يمثل ألماً شديداً بالنسبة لى ، فلم أشأ أن أتحدث فيه أتفهم ذلك ؟ " ، ثم نظر الدكتور أوتو إلى ساعته ، ثم قال : " ستحضر آشلى بعد قليل ، لم لا تنضم للسيدة آنيستون الآن فى الحديقة ، وسأرسل آشلى إليكم ؟ " .

نهض الدكتور باترسون قائلاً : " أشكرك ، سأذهب الآن " .

راقبه الدكتور لويزون بينما غادر باترسون المكان . لم يطق انتظاراً ليخبر الدكتور كيلر بما علم به .

كانت فيكتوريا آنيستون ، وكاترينا تنتظرانه ، فقالت فيكتوريا : " هل رأيت آشلى ؟ " .

قال باترسون : " ستحضر فى غضون دقائق قليلة " ، ثم جال بنظره فى أرجاء الحديقة : " إنها رائعة ، أليس كذلك ؟ " .

جرت كاترينا فى اتجاهه ، وقالت : " أريد التحليق فى السماء مرة أخرى " .

ابتسم ، وقال لها : " وهو كذلك " ، ثم حملها ، ورفعها عالياً فى الهواء ، وكان يمسك بها ثانية عندما تهبط .

" أعلى " .

" تمهلى ، سأرفعك الآن " ، ثم يلقيها فى الهواء عالياً ، ثم يمسك بها مرة أخرى ، وهى تصرخ من شدة السعادة .

" مرة أخرى " .

كان ظهر الدكتور باترسون مواجهاً للبناية ، لذا لم ير الدكتور كيلر مع آشلى ، وهما يتجهان نحوه .

صرخت كاترينا : " أعلى " .

تسمرت آشلى فى مكانها عند باب المبنى ، لقد رأت والدها يداعب طفلة صغيرة ، وبدأ الوقت يتلاشى ، وبدا كل شيء كأنه يحدث بالتصوير البطيء .

لاحت فى ذاكرتها صورة لطفلة صغيرة يدفعها أبوها عالياً فى الهواء ... " أعلى يا بابا " .

" تمهلى ، سأرفعك الآن " .

ثم تدس الابنة فى الفراش ...

ويقال لها : " لا تخافى ... " .

ويتوارد إلى ذاكرتها صورة رجل راقد بجوارها على الفراش .

فتصرخ الابنة : " توقف ، لا تفعل ، لا ، أرجوك ، لا " .

أمسكها الرجل الغامض ، وتحرش بها ! " .

بدأت ملامح هذا الرجل تظهر واستطاعت آشلى أن تتعرف على وجهه ، لقد كان أباها .

وأخذت تصرخ وهى ترى والدها يداعب الفتاة الصغيرة ، ولم تستطع التوقف .

التفت كل من الدكتور باترسون ، وفيكتوريا آنيستون ، وكاترينا ، وكانوا فى دهشة بالغة !

قال الدكتور كيلر بسرعة : " إننى شديد الأسف ، إنه موقف سيئ للغاية . هل يمكنك الحضور فى أى وقت آخر ؟ " ، ثم حمل آشلى ودخل بها إلى البناية .

أودعوها فى حجرة الطوارئ .

قال الدكتور كيلر : " إن نبضها سريع للغاية ، وهى الآن فى حالة من الشرود الذهنى " . اقترب منها وقال لها : " آشلى ، ليس هناك ما يدعو إلى شعورك بالخوف أو الفزع . فقط أنصتى إلى صوتى واسترخى ، ... استرخى .... استرخى ... " .

استغرق الوقت ساعة لتهدأ : " أخبرينى يا آشلى بما حدث ، ما الذى أزعجك ؟ " .

" أبى ، والطفلة الصغيرة ... " .

" ماذا عنهما ؟ " .

فردت تونى ، وليست آشلى : " إنها لا يمكن أن تواجه ذلك الأمر ، فإنها تخشى أن يفعل مع الفتاة ما فعله معها " .

برقت عيناه وتفرسها للحظة ، ثم قال : " ماذا ... ماذا فعل معها ؟ " .

كان ذلك فى لندن ، وكانت هى فى الفراش . جلس بجوارها ، وقال : " سأجعلك تشعرين بسعادة بالغة ، يا حبيبتى " وبدأ يداعبها ، وهى تضحك ، وبعد ذلك ... خلع عنها ملابسها وبدأ يتحرش بها ... فصرخت آشلى : " كف عن ذلك " ، ولكنه ... " ، ثم تمادى فى تحرشه بها ...

سألها الدكتور كيلر : " هل كانت تلك هى المرة الأولى يا تونى ؟ " .

" نعم " .

" وكم كان يبلغ عمر آشلى وقتها ؟ " .

" كانت فى السادسة من عمرها " .

" وكانت تلك هى لحظة ولادتك ؟ " .

" نعم ، فقد كانت آشلى خائفة بصورة جعلتها لا تستطيع مواجهة ذلك " .

" وماذا حدث بعد ذلك ؟ " .

" كان أبوها يذهب إلى فراشها " ، وبدأت الكلمات تتدفق سريعاً الآن . " لم تستطع أن تمنعه ، وعندما عادت إلى المنزل ، أخبرت أمها بما يحدث ، فاتهمتها أمها بالكذب " .

" كانت آشلى تخشى الذهاب إلى النوم ليلاً ، لأنها كانت تعرف أن أباها سيحضر إلى فراشها . لقد اعتاد التحرش بها ، وكان يقول لها : " لا تخبرى أى شخص بما يحدث ، وإلا لن أحبك بعد ذلك " ، ولم تستطع أن تخبر أى شخص بما يحدث . كانت أمها وأبوها يتشاجران طوال الوقت ، وكانت آشلى تعتقد أن ذلك نتيجة أخطائها ، لقد شعرت بأنها قد ارتكبت خطأ ما ، ولكنها لم تستطع تحديده ، وقد كانت أمها تكرهها " .

سألها الدكتور كيلر : " كم من الوقت استمر هذا ؟ " .

" عندما كنت فى الثامنة من عمرى .... " ، ثم توقفت تونى .

" أكملى يا تونى " .

تغير وجه آشلى ، ثم ظهرت أليت ، وقالت : " لقد انتقلنا إلى روما ، حيث كان يجرى البحث فى بوليكلينكو أمبرتو بريمو " .

" وهناك كانت ولادتك ؟ " .

" نعم ، ولم تستطع آشلى أن تتحمل ما حدث فى إحدى الليالى ، فحضرت لحمايتها " .

" ماذا حدث يا أليت ؟ " .

" أتى والدها إلى حجرتها ، بينما كانت تغط فى سبات عميق ، وكان عارياً ، وتسلل إلى فراشها ، ثم أفقدها عذريتها . حاولت إيقافه ، ولكنها لم تستطع . توسلت إليه ألا يفعل ذلك مرة أخرى أبداً ، ولكنه كان يحضر إليها فى كل ليلة ، وكان يقول دائماً : " هذه هى الطريقة التى يظهر بها أى رجل حبه لأى امرأة ، وأنت المرأة التى أحبها ، لا يجب أبداً أن تخبرى أى شخص بهذا " .

بكت آشلى حتى أحرقت الدموع وجنتيها .

كان الدكتور جيلبرت كيلر يود أن يأخذها بين ذراعيه ، ويضمها إليه ، ويخبرها بأنه يحبها ، وأن كل شىء سيصبح على ما يرام ، ولكن ذلك بالطبع مستحيل ، فأنا الطبيب الخاص بها .

عندما عاد الدكتور كيلر إلى مكتب الدكتور لوينزون ، كان الدكتور باترسون ، وفيكتوريا ، وكاترينا قد غادروا المكان وقال الدكتور كيلر محدثاً أوتو لوينزون : " حسناً ، هذا هو ما كنا نبحث عنه ، الصدمة التى تلقتها آشلى حينما كانت طفلة ، لقد حققنا أخيراً تقدماً كبيراً . لقد عرفت سبب وتوقيت ميلاد تونى ، وألمحت . سنلاحظ بالتأكيد تغيراً كبيراً منذ الآن فصاعداً " .

وكان الدكتور كيلر على حق ، فقد بدأت الأمور تتغير .

الفصل السادس والعشرون

بدأت جلسة العلاج بالتنويم المغناطيسى ، وعندما خضعت آشلى للتنويم المغناطيسى تماماً ، قال الدكتور كيلر : " آشلى أخبرينى عن جيم كليرى " .

" لقد أحببته ، وكنا سنهرب معاً ، لنتزوج " .

" حقاً ... " .

" وفى حفل التخرج ، طلب منى جيم أن أذهب معه إلى منزله ، ولكننى ... ولكننى رفضت ، وعندما أوصلنى إلى منزلى ، كان والدى فى انتظارنا ، وكان غاضباً ، وطرد جيم وطلب منه أن يبتعد عنى " .

" وماذا حدث بعدها ؟ " .

" قررت الذهاب إلى جيم ، قمت بحزم حقيبتى ، ثم بدأت السير فى اتجاه منزله " . وهنا ترددت آشلى قبل أن تقول :

" ولكن فى منتصف الطريق ، عدلت عن قرارى ، وعدت إلى منزل ، إننى ... " .

بدأت ملامح وجه آشلى تتغير ، وبدأت تهدأ وتسترخى فى مقعدها ، ثم ظهرت تونى " .

" يا لها من حمقاء ، لقد ذهبت إلى منزله يا دكتور " .

عندما وصلت إلى منزل جيم كليرى ، كان مظلماً ، لقد قال : " سيكون أفراد أسرتى بالخارج فى عطلة نهاية الأسبوع " .

قامت آشلى بالضغط على جرس الباب ، وبعد دقائق قليلة فتح جيم كليرى الباب ، وكان مرتدياً ملابس النوم .

ظهرت على وجهه علامات السعادة البالغة وقال : " آشلى ، لقد قررت المجىء أخيراً ؟ " ، ثم سحبها للداخل .

" لقد حضرت لأننى ... " .

" لا يهم سبب مجيئك ، ما يهم أنك هنا الآن " ، ثم أحاطها بذراعيه ، ولثم خدها : " هل تشربين مشروباً ؟ " .

" لا ، ربما أحتاج بعض الماء " ، ثم ظهرت عليها علامات الخوف والقلق الشديدين .

" بالطبع ، اتبعينى " ، ثم أمسك بيديها ، وسارت معه حتى دخلا إلى المطبخ . قام بصب كوب من الماء ، وراقبها وهى ترتشف الماء : " يبدو أنك متوترة " .

" إن ... إننى " .

" ليس هناك ما يدعو لذلك . لن يعود أفراد أسرتى اليوم . هيا نصعد إلى الطابق العلوى " .

" جيم لا أعتقد أنه يجب أن نفعل ذلك " .

وقف خلفها ، وأحاطها بذراعيه ، فقالت : " جيم ... " .

اقترب منها أكثر وتحرش بها ثم قال : " سأجعلك تشعرين بسعادة بالغة يا " . لقد كان صوت أبيها يقول : " سأجعلك تشعرين بسعادة بالغة محبوبتى " .

تسمرت آشلى فى مكانها ، وبدأت تصرخ ، واستبد بها الغضب الشديد . رأت سكين تقطيع اللحم أمامها فأمسكت بها ، وأخذت تطعنه فى صدره ، وتصرخ : " توقف عن هذا يا أبى ، ... توقف عن هذا ... توقف عن هذا يا أبى ، ... توقف عن هذا ... توقف عن هذا ... توقف عن هذا ... " .

نظرت لأسفل ، وكان جيم راقداً على الأرضية ، غارقاً فى دمائه .

صرخت قائلة : " أيها الحيوان ، لن تفعل ذلك مع أى شخص مرة أخرى " ، ثم انحنت وفى يدها السكين وأخذت تمثل بجثته .

فى السادسة صباحاً ، ذهبت آشلى إلى محطة السكك الحديد ، لتنتظر جيم ، ولكنه لم يظهر .

بدأت تشعر بالفزع ، وتسأل ماذا قد حدث له يا ترى ؟ سمعت صوتاً من على بعد . نظرت إلى ساعتها ، وكانت تشير إلى السابعة تماماً ، وكان القطار قد دخل إلى المحطة . نهضت آشلى ، وبدأت تنظر حولها فى ثورة شديدة . بالتأكيد حدث مكروه أو شىء فظيع ، بعد دقائق قليلة ، وقفت تراقب القطار وهو يغادر رصيف المحطة .

انتظرت لنصف ساعة أخرى ، ثم اتجهت ببطء نحو المنزل وفى ظهيرة ذلك اليوم ، استقلت آشلى الطائرة مع والدها إلى لندن ...

انتهت الجلسة

أخذ الدكتور كيلر يقوم بالعد : " ... أربعة ... خمسة ... استيقظي الآن يا آشلي " .

فتحت آشلي عينيها ، وقالت : " ماذا حدث ؟ " .

" أخبرتني تونى كيف قتلت جيم كليرى . لقد كان يهاجمك " .

شحب وجه آشلي وقالت : " أريد الذهاب إلى غرفتي " .

* * *

أعطى الدكتور كيلر تقريراً مفصلاً لأوتو لويزون : " إننا قد بدأنا بالفعل نحرز تقدماً ملحوظاً ، أوتو . فحتى الآن مازالت المشكلة قائمة ، ولكنهن بدأن يشعرن بالراحة والاسترخاء أكثر من قبل . إننا نسير في الاتجاه الصحيح ، ولكن آشلي مازالت خائفة من مواجهة الواقع .

قال الدكتور لويزون : " هل تعرف كيف حدثت جرائم القتل ؟ " .

" إطلاقاً ، إنها لا تعرف أي شيء عنها ، بل تونى هي التي سيطرت على الموقف بشكل كامل " .

بعد يومين .

" هل تشعرين بالراحة يا آشلي ؟ " .

" نعم " ، وكان يبدو صوتها أجوف .

" أريد التحدث عن دنيس تيبل . هل كان صديقاً لك ؟ " .

" أنا ودينس كنا نعمل في نفس الشركة ، ولم نكن صديقين " .

" يقول تقرير الشرطة إن بصمات أصابعك كانت موجودة في منزله " .

" هذا صحيح ، لقد ذهبت هناك لأنه أرادني أن أسدي له بعض النصح " .

" وماذا حدث ؟ " .

" تحدثنا لدقائق قليلة ، ثم أعطاني مشروباً به بعض الأقراص المخدرة " .

" وما الذي تتذكرينه بعد ذلك ؟ " .

" إنني ... استيقظت لأجد نفسي في ولاية شيكاغو " .

بدأت تعبيرات وجه آشلي تتغير ، وعلى الفور بدأت تونى تتحدث : " هل تريد معرفة ما حدث بالفعل ... ؟ " .

" أخبريني يا تونى " .

أمسك دينس تيبل المشروب وقال : " هيا لنرتاح معاً " ، ثم بدأ يستدرجها إلى غرفة النوم .

" دنيس ، إنني لا أريد أن .... " .

ثم ذهبا إلى غرفة النوم .

" أعرف ماذا تريدين يا عزيزتي وأحاطها بذراعيه " .

حاولت جاهدة أن تتخلص من قبضته وهي تقول : " كف عن ذلك يا دنيس " .

" ليس قبل أن أثبت لك مدى حبي " .

ثم دفعها إلى الفراش ، وأمسكها بشدة ، ثم تردد على مسامعها صوت أبيها يقول : " ستحبين ذلك ، يا عزيزتي " ، ثم بدأت تصرخ في صمت : " لا ، يا أبي ، توقف " ، ثم انتابتها نوبة غضب عارمة صامتة ، فرأت

زجاجة المشروب ، فتمكنت من الإمساك بها ، وكسرتها على حافة المنضدة ثم طعنته بحافة الزجاجة فى ظهره . صرخ وحاول النهوض ، ولكنها ضغطت عليه بشدة ، وواصلت طعنه بالزجاجة ، ورأته يتدحرج على الأرضية .

قال بصوت متهدج : " توقفى " .

" هل تعدنى بألا تفعل ذلك مرة أخرى أبداً ؟ حسناً ، سنتأكد من ذلك " ، ثم أمسكت بالزجاجة المكسورة ، وبدأت تسدد له مزيداً من الطعنات ثم مثلت بجثته .

صمت الدكتور كيلر للحظة ، ثم قال : " وماذا فعلت بعد ذلك يا تونى ؟ " .

" قررت أن أغادر المكان قبل أن تحضر الشرطة ، وأعترف بأننى كنت فى حالة توتر شديدة ، وأردت أن أبتعد عن حياة آشلى العقيمة لفترة من الوقت ، وكان لى صديق فى شيكاغو ، فقررت الذهاب إليه ، واتضح أنه ليس بمنزله ، فقمت بالتسوق وشراء بعض الأشياء ، ثم ترددت على بعض المطاعم وقضيت وقتاً ممتعاً " .

" وماذا حدث بعد ذلك ؟ " .

" قمت بحجز حجرة فى أحد الفنادق ، ثم استغرقت فى نوم عميق " ، ثم هزت كتفيها وقالت : " ومن وقتها ، قامت آشلى بممارسة دورها " .

استيقظت بهدوء ، وعرفت أن ثمة شيئاً فظيعاً قد حدث لها . اعتقدت وشعرت بأنها تناولت بعض الأقراص المخدرة . نظرت آشلى فى أرجاء

الغرفة ، وبدأت تشعر بالخوف والفزع . كانت راقدة فى الفراش ، فى حجرة فى أحد الفنادق الرخيصة ، لم يكن لديها أية فكرة عن المكان الذى توجد فيه ، وكيف وصلت إليه .

اعتدلت وجلست فى الفراش ، وبدأت تشعر بالدوار .

غادرت الفراش ، وأخذت حماماً دافئاً ، وتركت تيار المياه الدافئة ينساب فوق جسدها ، محاولة أن تتخلص من كل الأشياء المروعة القذرة التى قد حدثت لها . خرجت آشلى من الحمام ، وجففت نفسها ، وذهبت إلى دولاب الملابس الموجود بالحجرة . لم تجد ملابسها ، ولم تجد إلا شيئاً وحيداً داخل الدولاب ، وكان تنورة قصيرة سمراء جلدية ، وقميصاً قصيراً ضيقاً يبدو رخيصاً ، وزوجاً من الأحذية ذات الكعوب الطويلة . شعرت بالنفور الشديد لفكرة ارتدائها لهذه الملابس ، ولكن لم يكن أمامها خيار آخر . ارتدت الملابس سريعاً ، ونظرت فى المرآة ، وكان يبدو شكلها غريباً وهى بتلك الملابس الفاضحة .

" أبى ، إنى .... " .

" ماذا حدث ؟ " .

" إننى فى شيكاغو ، و ..... " .

" وماذا تفعلين فى شيكاغو ؟ " .

" لا يمكن الخوض فى الحديث عن ذلك الآن ، إننى بحاجة إلى تذكرة طيران إلى سان خوسيه . ليس لدى أية نقود . هل يمكنك مساعدتى ؟ " .

" بالطبع ، انتظرينى ... هناك طائرة تتبع الخطوط الجوية الأمريكية ستغادر مطار أوهير فى تمام العاشرة وأربعين دقيقة صباحاً ، ورقم الرحلة الجوية ٤٠٧ ستجدين حجزاً باسمك هناك فى المطار " .

" أليت ، هل يمكنك سماعى ؟ أليت " .

" إنتى هنا يا دكتور كيلر " .

" أريد التحدث عن ريتشارد ميلتون . لقد كان صديقاً لك ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى ، لقد كان مرهف الحس ... للغاية . لقد وقعت في حبه " .

" وهل أحبك أيضاً ؟ " .

" أعتقد ذلك ، نعم . لقد كان رساماً . كنا نذهب إلى المتاحف معاً ، ونشاهد جميع اللوحات الرائعة ، وعندما أكون معه ، كنت أشعر ... بأنني بالفعل على قيد الحياة . أعتقد لو أن شخصاً ما لم يقتله ، فإننا كنا سنتزوج في يوم ما " .

" أخبريني عن آخر مقابلة بينكما " . " عندما غادرنا المتحف ، قال ريتشارد : " إن زميلي الذى يسكن معي لن يحضر الليلة ، فهل تقبلين المجيء إلى مسكني ؟ فإن لدى بعض الرسومات الجميلة التي أريد أن أريك إياها " .

" ليس الآن يا ريتشارد " .

" كما ترغبين ، سأراك في عطلة نهاية الأسبوع القادم " .

" حسناً " .

قالت أليت : " ثم ابتعدت بسيارتي ، وكانت تلك هي آخر مرة ... " .

لاحظ الدكتور كيلر وجهها يتحول ، حيث ظهرت تونى وواصلت الحديث .

" هذا ما تريد أن تذكره ، لكن ليس هذا هو ما حدث " .

سألها الدكتور كيلر : " وما الذى حدث يا تونى ؟ " .

لقد ذهبت معه إلى منزله في شارع فيل . كان منزله صغيراً ، ولكن رسومات ريتشارد جعلته يبدو جميلاً .

" إن رسوماتك قد بثت في الغرفة الحياة يا ريتشارد " .

" أشكرك يا أليت " . ثم ضمها بين ذراعيه ، وواصل قائلاً : " إنك تبدين جميلة " .

قال أبوها أيضاً : " إنك تبدين جميلة " ، فتسمرت في مكانها ، لأنها تعرف الأمر المروع الذى سيحدث لها ، فشعرت بالألم الشديد يعتريها من جراء حركاته العنيفة في ضمها إليه ، وبينما كانت تصرخ قائلة : " لا ، توقف عن هذا يا أبي توقف عن هذا " ، وعندما غلبت عليها نوبة الغضب الشديد ، لم تستطع تذكر أين عثرت على السكينة ، التي طعنت بها جسده مرة وراء الأخرى ، صارخة في وجهه : " لقد طلبت منك التوقف عن هذا ، توقف عن هذا " .

كانت آشلي تتلوى في مقعدها ، وهى تصرخ .

قال الدكتور كيلر : " كل شيء على ما يرام ، يا آشلي إنك في أمان ، سوف تستيقظين الآن ، قبل أن أعد إلى خمسة " .

استيقظت آشلي ، بينما كانت تشعر بالرجفة تسرى في جسدها ، وقالت : " هل كل شيء على خير ما يرام ؟ " .

" لقد أخبرتني لتوك عن ريتشارد ميلتون ، لقد تحرش بك ، فاعتقدت أنه أبوك ، وبناءً عليه ، قمت أنت بـ ... " .

وضعت يديها على أذنيها : " لا أريد أن أسمع أكثر من ذلك " .

* * *

ذهب الدكتور كيلر لرؤية أوتو لويزون .

" أعتقد أننا أخيراً قد حققنا إنجازاً عظيماً ، لقد كان ما حدث يمثل صدمة كبيرة بالنسبة لآشلى ، ولكننا اقتربنا من النهاية . مازال أمامنا جريمتا قتل لنتعرف عليهما " .

" وبعدها ؟ " .

" سأحضر ، آشلى ، وتونى ، وأليت معاً " .

الفصل السابع والعشرون

" تونى ؟ تونى هل تسمعيننى ؟ " ، ثم شاهد الدكتور كيلر تعبيرات وجه آشلى تتغير .

" إننى أسمعك يا دكتور " .

" هيا نتحدث عن جون كلود بارنت " .

" كان يجب أن أعرف فى البداية أنه ليس بمثل هذه الصورة المثالية التى رسمها عن نفسه " .

" ماذا تقصدين ؟ " .

" فى البداية ، كان يبدو رجلاً دمث الأخلاق ، رقيقاً بالفعل . كان يتنزه معى كل يوم . وكنا نقضى معاً وقتاً ممتعاً بالفعل . لقد اعتقدت أنه متميز ، ولكنه كان مثل الآخرين ، فكل ما أراده هو إشباع رغباته الشهوانية " .

" أعرف ما تقصدينه " .

" لقد أهداني خاتماً جميلاً ، واعتقد أنه بذلك قد امتلكني ، فذهبت معه إلى منزله " .

كان المنزل جميلاً ، ومكوناً من طابقين ، ومبنياً من الطوب الأحمر ، وتعج أركانه بالتحف الجميلة .

" إنه منزل رائع " .

" هناك شيء ما ، أريدك أن تريه في الطابق الأعلى في غرفة النوم " .

واصطحبها إلى الطابق العلوي ، ولم تكن تتمتع بالقوة التي يمكن أن تعينها على مقاومته . فدفعها إلى الفراش ، وضمها إلى ذراعيه " .

" لا أريد أن ... " .

" بل تريدين ، كلانا يريد ذلك " ، ثم ضمها إليه بعنف ، فصرخت قائلة : " لا تفعل أرجوك لا تفعل ، أبي ! " .

ولكنه لم يعرها أي انتباه . وظل يمارس سلوكه المشين وهو يقول لها : " إنك رائعة " .

اعترتها نوبة غضب شديدة ، فأمسكت بأداة فتح الخطابات الحادة ، ثم طعنت بها صدره مرة وراء الأخرى .

" لن تفعل ذلك مرة أخرى " ، وأخذت تمثل بجثته .

بعد ذلك ، أخذت حماماً بهدوء ، وارتدت ملابسها ثم عادت إلى الفندق .

بدأ وجه آشلي يتغير ، فقال لها الدكتور كيلر : " آشلي ... استيقظي يا آشلي " .

استيقظت آشلي ببطء ، فنظرت إلى الدكتور كيلر وقالت : " توني ثانيا ؟ " .

" نعم ، لقد تعرفت على جون كلود عبر شبكة الإنترنت . آشلي ، عندما كنت في كيبيك ، هل حدث وشعرت بأن هناك فترات من الوقت مفقودة ؟ فتشعرين مثلاً بأن هناك ساعة قد مرت أو يوم ، ولا تدرين أين ذهب هذا الوقت ؟ " .

أومأت برأسها ببطء وقالت : " نعم . حدث هذا ... كثيراً " .

" يحدث هذا عندما تفرض توني سيطرتها " .

" وهذا يحدث عندما ... عندما تقوم هي بـ ... ؟ " .

" نعم " .

مرت الشهور القليلة التالية بلا أحداث بارزة ، وبعد ظهيرة كل يوم ، كان الدكتور كيلر يستمع إلى توني وهي تقوم بالعزف على البيانو والغناء ، أو يرى أليت وهي تقوم برسم لوحاتها في الحديقة . مازالت هناك حالة قتل أخيرة يجب مناقشتها ، ولكنه أراد لآشلي أن ترتاح قبل أن يبدأ الخوض في حالة القتل الأخيرة .

لقد مرت خمس سنوات حتى الآن ، منذ أن حضرت إلى المستشفى . حدث الدكتور كيلر نفسه قائلاً : إنها الآن على وشك الشفاء .

في صباح أحد الأيام ، أمر بإحضار آشلي ، وراقبها وهي تدخل إلى مكتبه . كانت شاحبة كما لو أنها تعرف ما كانت ستواجهه .

" طاب صباحك يا آشلي " .

" طاب صباحك يا جليبرت " .

" كيف تشعرين الآن ؟ " .

" أشعر بالتوتر الشديد ، هذه هي حالة القتل الأخيرة ، أليس كذلك ؟ " .

" بلى . هيا نتحدث عن النائب سام بليك . ماذا كان يفعل فى منزلك ؟ " .

" لقد طلبت منه الحضور إلى منزلى ، فهناك شخص ما كتب على مرآة الحمام : " سوف تموتين ! " . لم أعرف وقتها ماذا أفعل . كنت أعتقد أن هناك شخصاً ما يحاول قتلى . اتصلت بالشرطة ، وحضر النائب سام بليك . لقد كان إنساناً مرهف الحس إلى أقصى درجة " .

" هل طلبت منه البقاء معك ؟ " .

" نعم . كنت أخشى أن أبقى بمفردى ، فقال إنه سيقضى الليلة معى لحراستى ، وفى الصباح سيقوم بفرض حراسة لأربع وعشرين ساعة يومياً من أجل حمايتى . عرضت أن أنام على الأريكة ، وأدعه ينام فى حجرة النوم ، ولكنه قال إنه سينام على الأريكة . أتذكر أنه فحص النوافذ ليتأكد من إحكام غلقها ، ثم أغلق الباب غلقاً مزدوجاً . كان مسدسه على الطاولة المجاورة للأريكة ، وقلت له : " ليلة سعيدة " .

ثم ذهبت إلى حجرة النوم ، وأغلقت الباب " .

" وماذا حدث بعدها ؟ " .

" إننى ... الشئ الآخر الذى أتذكره هو استيقاظى على صراخ شخص ما فى الممر الخلفى للبناية ، وحضر المأمور ليخبرنى بأنه تم العثور على النائب بليك مقتولاً " . توقفت آشلى ، وبدأت قسمات وجهها تتغير .

" حسناً ، سأدعك تنامين الآن . فقط اهدئى ... أغلقى عينيك ، ... استرخى ... " . استغرق الأمر عشر دقائق ، فقال الدكتور كيلر : " تونى ... " .

" إننى هنا ، تريد أن تعرف ما حدث فى الحقيقة ، أليس كذلك ؟ كانت آشلى غبية بما يجعلها تدعو سام للبقاء معها فى منزلها ، فربما قد أخبرتها بما قد يفعله " .

سمع صراخاً يأتى من حجرة النوم ، فنهض مسرعاً من فوق الأريكة ، وأشهر مسدسه . أسرع نحو غرفة النوم وأرهف السمع للحظة . ساد الصمت ، فهيئ له أنه كان يتخيل . وعندما بدأ يعود أدراجه ، سمع الصراخ مرة أخرى ، فدفع باب الغرفة ، ومسدسه فى يده . كانت آشلى فى فراشها ، نائمة ، ولم يكن هناك أحد فى الغرفة ؛ فقد كانت تصدر بعض الأصوات وهى نائمة ، وكأنه قد راودتها الأحلام المزعجة .

أراد فى البداية أن يطمئنها ، فضمها بين ذراعيه ، فجلس بجوارها فى لطف ، وضمها إليه ، فشعر بحرارة جسدها فبدأ يشعر بالرغبة تنتابه .

استيقظت على صوته يقول لها : " كل شئ على خير ما يرام الآن . إنك فى أمان إنك تبدين جميلة " .

فصرخت قائلة : " لا ، يا أبى ! " .

وانتابها نوبة غضب شديدة ، فنزعت السكينة من درج الملابس بجوارها ، وبدأت تطعن جسده .

" وماذا حدث بعد أن قتلته ؟ " .

" قامت بلفه فى ملاءات الفراش ، وقامت بعدها بسحبه إلى المصعد ثم إلى المرآب ، ثم إلى الممر الخلفى للبناية " .

كان وجه آشلى شديد الشحوب وهى تقول : " إنها وحـ... إننى وحش كاسر " .

قال جيلبرت كيلر : " لا يا آشلى ، يجب أن تتذكرى جيداً أن تونى قد ولدت نتيجة آلامك ، ونفس الأمر ينطبق على أليت . لقد حانت النهاية . أريدك أن تقابليهما . إنها الخطوة التالية لشفائك " .

أغلقت آشلى عينيها بشدة : " حسناً ، متى سوف ... يحدث هذا ؟ " .

" صباح الغد " .

كانت آشلى تحت تأثير التنويم المغناطيسى العميق . بدأ الدكتور كيلر مع تونى .

" تونى ، أريدك منك أنت وأليت أن تتحدثا مع آشلى " .

" وما الذى يجعلك تعتقد أنها ستستطيع التعامل معنا ؟ " .

" أعتقد أنها ستستطيع " .

" حسناً ، يا دكتور . كما تريد " .

" أليت ، هل أنت مستعدة أن تقابلى آشلى ؟ " .

" إذا وافقت تونى " .

" بالتأكيد يا أليت ، يمكنك ذلك الآن " .

أخذ الدكتور كيلر نفساً عميقاً ، وقال : " آشلى ، أريدك أن تقومى بتحية تونى " .

ساد صمت طويل ، ثم قالت بنبرة يعلوها الخوف : " مرحباً ... تونى ... " .

" مرحباً " .

" آشلى ، قومى بتحية أليت " .

" أهلاً أليت .... " .

" أهلاً آشلى .... " .

تنفس الدكتور كيلر الصعداء ، وقال : " أريدكن جميعاً أن تتعرفن على بعضكن البعض . إنكن عانيتن نفس المشكلات والتى أدت إلى انفصالكن عن بعضكن البعض ، لكن لم يعد هناك مبرر لهذا الانفصال ، ستكونون من الآن كياناً واحداً ، شخصاً صحيحاً . إنها رحلة طويلة ، ولكنكن بدأتن خوضها فعلاً . إننى أعدكن ، لقد انتهت أكثر المواقف صعوبة " .

ومنذ ذلك الوقت تقدمت آشلى بسرعة فى علاجها . وأصبحت آشلى تتحدث مع تونى ، وأليت كل يوم .

قالت تونى موضحة : " كان يجب أن أعمل على حمايتك ، فقد كنت أعتقد فى كل مرة قتلت فيها أحد هؤلاء الرجال ، أننى أقتل أباك لما اقترفه معك " .

قالت أليت : " لقد حاولت حمايتك أيضاً يا آشلى " .

" إننى أقدر ذلك ، إننى ممتنة لكما " ، ثم التفتت آشلى إلى الدكتور كيلر ، وقالت بنبرة سخرية : " إنهن جميعاً فى الحقيقة أنا ، أليس كذلك ، إننى أتحدث إلى نفسى " .

قام بتصحيح حديثها بلطف : " إنك تتحدثين إلى جزأين آخرين من شخصيتك . لقد حان وقت اتحادكن جميعاً ، لتصبحن شخصاً واحداً مرة أخرى " .

نظرت إليه آشلى بابتسامة ، وقالت : " إننى على استعداد لذلك " .

بعد ظهيرة ذلك اليوم ، ذهب الدكتور كيلر إلى أوتو لويزون .

قال الدكتور لويزون : " سمعت تقارير جيدة ، يا جيلبرت " .

أومأ جيلبرت برأسه : " لقد حققت آشلي تقدماً رائعاً ، وفي غضون شهور قليلة ، أعتقد أنه يمكنها مغادرة المستشفى ، وتواصل علاجها من الخارج " .

" هذه أخبار رائعة ، تهانئي لك " .

حدث الدكتور كيلر نفسه قائلاً : " أفتقدها ، سأفتقدها بشدة " .

" الدكتور سالم ينتظرك على الهاتف الثاني يا سيد سينجر " .

" حسناً " ، أمسك ديفيد سماعة الهاتف في دهشة وحدث نفسه قائلاً : " لماذا يتصل الدكتور سالم ؟ لقد مرت أعوام منذ أن تحدث كل منهما إلى الآخر . " رويس ؟ " .

" طاب صباحك يا ديفيد . لدى معلومات مثيرة لك ، إنها بخصوص آشلي باترسون " .

شعر ديفيد بالانتباه الفاجئ ، وقال : " وماذا بشأنها ؟ " .

" هل تذكر كم واجهنا من صعاب في محاولة الكشف عن الصدمة التي واجهتها في حياتها ، ولكننا فشلنا ؟ " .

تذكر ديفيد ذلك جيداً ، لقد كان هذا نقطة الضعف الرئيسية في القضية ، فقال : " نعم أتذكر ذلك " .

" حسناً ، لقد عرفت لتوى الإجابة عن هذا السؤال " .

لقد اتصل بي هاتفيا صديقي العزيز لويزون ، رئيس مستشفى كوينكتيكت للأمراض النفسية ، إن الحلقة المفقودة تتمثل في الدكتور ستيفن باترسون . لقد كان هو الشخص الذي تحرش بها عندما كانت طفلة " .

قال ديفيد وهو لا يكاد يصدق : " ماذا ؟ " .

" لقد عرف الدكتور لويزون هذا لتوه " .

جلس ديفيد منصتاً ، بينما واصل الدكتور سالم حديثه ، ولكن كان عقل ديفيد شارداً في اتجاه آخر . إنه الآن يتذكر كلمات الدكتور باترسون : " إنك الشخص الوحيد الذي أثق به يا ديفيد . إن ابنتي تعني لي كل شيء في هذا العالم . إنك ستنقذ حياتها ... أريدك أن تدافع عن آشلي ، ولن أجعل أي شخص آخر يتولى هذه القضية ... " .

أدرك ديفيد فجأة سبب إصرار الدكتور باترسون على أن يكون ديفيد هو الممثل الوحيد لآشلي في القضية . لقد كان الدكتور باترسون متأكداً من أنه إذا انكشف ديفيد أمره في أي وقت ، فإنه سيدافع عنه . لقد قرر الدكتور باترسون المقارنة بين ابنته وسمعته ، واختار سمعته . هذا الوغد الحقير !

" أشكرك ، يا رويس " .

بعد ظهيرة ذلك اليوم ، وبينما انتهت آشلي من قضاء وقتها في حجرة الأنشطة الترفيهية ، رأت نسخة من جريدة ويستبورت نيوز ، كان شخص ما قد تركها هناك ، وكان على الصفحة الأولى للجريدة صورة لأبيها مع فيكتوريا ، وكاترينا . كانت بداية الخبر تقول : " الدكتور باترسون يتزوج من فيكتوريا آنيستون ، العضو البارز في المجتمع ، ولديها طفلة في الثالثة من عمرها من زواجها السابق ، ولقد التحق الدكتور باترسون للعمل في مستشفى سانت جون في مانهتن ، وقد قام مع زوجته المنتظرة بشراء منزل في لونج آيلاند ... " .

توقفت آشلي وبدا على وجهها أمارات الغضب الشديد ، فصرخت توني : " سوف أقتل هذا الوغد الحقير ، سأقتله ! " .

لقد فقدت السيطرة على نفسها تماماً ، وقد اضطروا لوضعها في حجرة خالية ؛ حتى لا تؤذى نفسها مرة أخرى وقيدوها بالأغلال والقيود في يديها ورجليها ، وعندما كان الحراس يحضرون لإطعامها ، حاولت الإمساك بهم ، وكانوا يتوخون الحذر بألا يقتربوا منها . لقد سيطرت توني كلية على آشلي .

عندما رأت الدكتور كيلر ، صرخت : " دعني أخرج من هنا . أيها الوغد ، الآن ! " .

قال الدكتور كيلر مهدئاً إياها : " سندعك تخرجين من هنا ، ولكن عليك أولاً أن تهدئي " .

صرخت توني : " إنني هادئة ، دعني أذهب ! " .

جلس الدكتور كيلر على الأرضية بجوارها ، وقال : " توني ، عندما رأيت صورة أبيك ، قلت إنك ستلحقين به ضرراً ، و... " .

" أنت كاذب ، لقد قلت إنني سأقتله ! " .

" لقد ارتكبت من جرائم القتل ما يكفي . أنت لست بحاجة لطعن أي شخص آخر " .

" إنني لن أطعنه . هل سمعت عن ثاني أكسيد الكربون ؟ إنه يأكل أي شيء يلمسه ، وكذلك البشرة . انتظر حتى أقوم بـ... " .

" لا أريدك أن تفكري هكذا " .

" أنت على حق . كان أرسون أفضل . إنه لم ينتظر حتى يجعل النيران تحرق حتى الموت . يمكنني فعل ذلك حتى لا يلقوا القبض عليّ إطلاقاً إذا ...... " .

" توني ، دعك من هذه المهاترات " .

" حسناً . يمكنني التفكير في طرق أخرى أفضل " .

فحصها للحظة شاعراً بالحيرة وقال : " لماذا أنت غاضبة إلى هذه الدرجة ؟ " .

" ألا تعرف ؟ لقد اعتقدت أنك دكتور عظيم . إنه يتزوج امرأة لديها ابنة تبلغ من العمر ثلاث سنوات . ما الذي سيحدث لهذه الطفلة الصغيرة أيها الدكتور الشهير ؟ سأخبرك أنا بما سيحدث . إنه نفس الشيء الذي حدث لنا . حسناً إنني سأمنع حدوث ذلك " .

" لقد تمنيت أننا تخلصنا من كل هذه الكراهية " .

" كراهية ؟ هل تريد أن تسمع شيئاً عن الكراهية ؟ " .

كانت السماء ممطرة ، وكانت زخات المطر تتساقط على سقف سيارة سريعة . نظرت إلى أمها الجالسة أمام عجلة القيادة ، وابتسمت في حالة مزاجية سعيدة . وبدأت تغني :

" حول كل شجرة توت
القرد يطارد ... " .

التفتت إليها أمها صارخة : " اخرسي ، أخبرتك بأنني أكره هذه الأغنية ، إنها تشعرني بالاشمئزاز ، أيتها الطفلة الصغيرة البائسة ... " .

بعد ذلك ، بدا أن كل شيء يحدث في خطوات بطيئة . المنحنى الذى أمامها ، والسيارة تنحرف يميناً ويساراً ، والشجرة ، اصطدام السيارة بالشجرة واندفاعها هى خارج السيارة ، واندفعت خارج السيارة ، ولكنها لم تصب بأذى . نهضت فسمعت أمها ، وهى حبيسة داخل السيارة ، تصرخ قائلة : " أخرجينى من هنا ، ساعدينى ، ساعدينى ! " .

فوقفت تراقب السيارة حتى انفجرت .

" كراهية ؟ هل تريد أن تسمع المزيد ؟ " .

قال والتر مايتّنغ : " يجب أن يكون هذا قراراً جماعياً فإن ابنتى موهوبة محترفة ، وليست هاوية . إنها تفعل ذلك كإرضاء له . لا يمكننا أن نخذلها ... يجب أن يكون القرار جماعياً . إما أن نعطى له صورة ابنتى ، أو لا نعطيه أى صورة على الإطلاق " .

ركنت سيارتها على جانب الطريق ، وتركت محرك السيارة دائراً . وشاهدت والتر مايتنغ يعبر الطريق متجهاً نحو المرآب الذى تركن فيه سيارتها . حركت ذراع السرعات ، وضغطت على البنزين . وفى اللحظة الأخيرة ، سمع صوت السيارة تتجه نحوه ، فاستدار . رأت على وجهه التعبيرات التى ظهرت من جراء اصطدام السيارة به ، وقذفها لجسمه المتكسر جانباً ، وواصلت القيادة . لم يكن هناك شاهد على ذلك . وكان الله فى عونها !

" هذه هى الكراهية ، يا دكتور ! هذه هى الكراهية الحقيقية " . أنصت الدكتور كيلر إلى روايتها ، شاعراً بالرهبة

والرجفة تسريان فى جسده من جراء ما تكنه داخلها من كراهية . قام بإلغاء المواعيد لباقى اليوم . واحتاج أن يظل بمفرده .

فى الصباح التالى ، عندما ذهب الدكتور كيلر إلى حجرتها الخاصة . كانت أليت هى المسيطرة على آشلى فى هذه اللحظة .

سألته أليت : " لماذا تفعل هذا بى يا دكتور كيلر ؟ دعنى أخرج من هنا " .

طمأنها الدكتور كيلر قائلاً : " سأفعل . أخبرينى عن تونى ماذا أخبرتك ؟ " .

" قالت إننا يجب أن نهرب من هنا لنقتل والدنا " .

ظهرت تونى وقالت : " طاب صباحك يا دكتور . إننا بخير الآن . فلماذا لا تسمح لنا بالخروج ؟ " .

نظر الدكتور كيلر إلى عينيها ، ورأى فيهما قاتلاً عديم الشاعر .

* * *

تنهد الدكتور أوتو لويزون : " إننى شديد الأسف لما حدث يا جيلبرت . لقد كان كل شيء يسير على ما يرام " .

" حتى الآن ، لا أستطيع أن أتفهم حال آشلى " .

" هل يعنى ذلك أن تبدأ العلاج من جديد ؟ " .

فكر الدكتور كيلر ، ثم قال : " ليس الأمر هكذا يا أوتو . لقد وصلنا إلى نقطة تلاقى الشخصيات الثلاث ، وقد عرفت كل منهن الأخرى . وهذا يعد انتصاراً هائلاً فى حد ذاته " .

" الخطوة التالية كانت متمثلة فى إدماج الشخصيات الثلاث . يجب أن أجد طريقة لذلك " .

" لولا هذا القال العقيم ... " .

" لقد كان من حسن الحظ أن تطلع تونى على هذا المقال " .
نظر إليه أوتو فى دهشة ، : " حسن الحظ ؟ " .
" نعم ، لأننا أدركنا كم الكراهية التى بداخلها وبإمكاننا الآن التعامل معها . سأقوم بتجربة ما ، إذا كانت مجدية ، فسوف نكون فى موقف جيد . وإذا لم تجد ـ توقف ثم أضاف بهدوء ـ أعتقد أن آشلى ستضطر للبقاء هنا لباقى حياتها " .
" وماذا تريد أن تفعل ؟ " .
" أعتقد أنها لفكرة سيئة بالنسبة لآشلى أن ترى أباها مرة أخرى ، ولكننى سأستأجر خدمة تجميع قصاصات الجرائد المحلية ، وسأطلب منهم أن يرسلوا إلينا كل مقال يظهر عن الدكتور باترسون " .
قال الدكتور لوينزون : " وما الغرض من هذا ؟ " .
" سوف أريها لتونى . وبالتالى ، فإن الكراهية التى بداخلها ستحرق نفسها ، وبهذه الطريقة ، يمكننى مراقبتها ، والسيطرة عليها " .
" سيستغرق هذا وقتاً طويلاً يا جيلبرت " .
" عاماً على الأقل ، وربما أكثر . ولكنها الفرصة الوحيدة المتاحة أمام آشلى " .

بعد خمسة أيام ، كانت آشلى هى الخاسرة . عندما دخل الدكتور كيلر إلى حجرتها الخاصة ، قالت آشلى : " طاب صباحك يا جيلبرت . إننى أعتذر عن كل ما حدث " .

" إننى سعيد لذلك ، يا آشلى . سنحاول إخراج كل مشاعرنا الدفينة " . أشار إلى الحارس ليفك عنها القيود التى فى رجليها وفى يديها .
وقفت آشلى ودلكت رسغيها : " لم يكن هذا مريحاً على الإطلاق " ، ثم سارا فى الممر خارج الغرفة ، وقالت : " تونى غاضبة للغاية " .
" نعم ، ولكننى سأتغلب على غضبها ، وهذه هى خطتى ... " .

كان هناك ثلاثة أو أربعة مقالات عن الدكتور ، ستيفن باترسون كل شهر وقد ذكرت أحد هذه المقالات : " سوف يزف الدكتور باترسون إلى فيكتوريا فى حفل كبير فى لونج آيلاند يوم الجمعة . سوف يحضر جميع زملائه ... " .
أصابت تونى نوبة هيسترية شديدة عندما أراها الدكتور هذا الخبر .
" لن تستمر هذه الزيجة طويلاً " .
" لماذا تقولين هذا يا تونى ؟ " .
" لأنه سيموت قريباً " .

" استقال الدكتور ستيفن باترسون من مستشفى سانت جون ، وسوف يرأس قسم جراحة القلب فى مستشفى مانهتن ميثوديست ... " .
" إذن يمكنه اغتصاب كل الفتيات الصغيرات هناك " . قالت تونى ذلك بصراخها المعهود .

" حصل الدكتور ستيفن باترسون على " جائزة لاسكر " لعمله فى مجال الطب ، كما تم تكريمه فى البيت الأبيض ... " .

قالت تونى : " بل كان يستحق الإعدام ، هذا الوغد " .

تلقت تونى كل المقالات التى صدرت عن أبيها ، وبمرور الوقت ، ومع كل موضوع جديد ، كانت ثورة الغضب العارم لدى تونى تهدأ شيئاً فشيئاً ، كان يبدو الأمر كما لو أن المشاعر تخمد ، فتحولت من الكراهية إلى الغضب ، وفى النهاية إلى القبول بالأمر الواقع .

كان هناك معلومة فى صفحة العقارات : " الدكتور باترسون وزوجته الجديدة سينتقلان إلى منزلهما الجديد فى مانهاتن ، ولكنهما يخططان لشراء منزل آخر فى هامبتونس وسيقضيان إجازة الصيف هناك مع ابنتهما كاترينا " .

أخذت تونى تبكى وتقول : " كيف استطاع أن يفعل ذلك بنا ؟ " .

" هل تشعرين بأن هذه الطفلة قد حلت مكانك يا تونى ؟ " .

" لا أعرف ، إننى ... إننى مرتبكة ، وتداخلت لدىّ الأمور " .

مر عام آخر . تلقت آشلى الجلسات العلاجية لثلاث مرات أسبوعياً . مارست أليت هواية الرسم تقريباً كل يوم ، ولكن تونى رفضت الغناء أو عزف البيانو .

وفى إجازة العيد ، أظهر الدكتور كيلر مقالاً آخر لتونى : كانت هناك صورة لأبيها مع فيكتوريا وكاترينا ، وكان الخبر يقول :

" تحتفل عائلة باترسون بالعيد فى هامبتونس " .

قالت تونى بحزن : " لقد اعتدنا قضاء إجازة العيد معاً . وكان عادة ما يعطينى هدايا رائعة " . فنظرت إلى الدكتور كيلر ، وقالت : " إنه ليس سيئاً للغاية ، بجانب كونه ... أنت تعرف ... كان أباً جيداً . أعتقد أنه بالفعل يحبنى " .

كان ذلك علامة على التقدم السريع فى حالتها .

فى أحد الأيام ، وبينما كان الدكتور كيلر يمر على حجرة الأنشطة الترفيهية ، سمع تونى تغنى ، وتعزف البيانو . ولدهشته ، دخل الغرفة ، وراقبها . كانت مندمجة تماماً فى الموسيقى .

فى اليوم التالى ، عقد الدكتور كيلر جلسة مع تونى .

" طال بأبيك العمر يا تونى . كيف ستشعرين عندما يموت " .

" إننى ، إننى لا أريده أن يموت . أعرف أننى قلت الكثير من الأشياء العنيفة ، لكننى قلتها لأننى كنت غاضبة بسببه " .

" وهل مازلت تشعرين بالغضب ؟ " . فكرت فى ذلك : " إننى لست غاضبة ، إننى متعبة " .

" أعتقد أنك كنت على صواب . لقد شعرت بأن الفتاة الصغيرة ستحل مكانى " ، ثم نظرت إلى الدكتور كيلر ، وقالت : " لقد كنت مشوشة ، ولكن أبى من حقه أن تكون له حياته الخاصة ، وكذلك آشلى لها الحق فى أن تكون لها حياتها الخاصة " .

ابتسم الدكتور كيلر . " إننا نسير فى المسار الصحيح " .

تحدث ثلاثتهن بحرية الآن .

قال الدكتور كيلر : " آشلي ، كنت بحاجة إلى تونى وأليت ، لأنك لم تستطيعى تحمل الألم . كيف تشعرين تجاه أبيك الآن ؟ " .

سادت فترة صمت قصيرة ، ثم قالت بهدوء : " لا يمكنني أن أنسى أبداً ما فعله معي ، ولكنني يمكنني أن أسامحه . يجب أن ألقى بالماضي خلفي ، وأبدأ مستقبلاً جديداً " .

" وحتى يحدث هذا . يجب أن تصبحى كياناً واحداً مرة أخرى . كيف تشعرين بشأن ذلك يا أليت ؟ " .

" إذا ما أصبحت أنا آشلي ، فهل يمكنني مواصلة الرسم ؟ " .

" بالطبع يمكنك " .

" حسناً ، عندئذ ، وهو كذلك " .

" وأنت ، يا تونى " .

" هل سأظل قادرة على الغناء وعزف البيانو ؟ " .

قال لها : " نعم " .

" إذن ، لم لا ؟ " .

" آشلي ؟ " .

" إنني مستعدة لأن نكون جميعاً واحداً . إنني ... إنني أريد أن أشكرهما على مساعدتهما لي عندما كنت بحاجة إليهما " .

" مع كل حبي " .

قالت أليت : " وأنا كذلك " .

حان وقت الخطوة الأخيرة : الاندماج ، التكامل . " حسناً ، سأقوم بوضعك تحت تأثير التنويم المغناطيسي الآن ، يا آشلي ، أريدك أن تودعي أليت ، وتونى " .

أخذت آشلي نفساً عميقاً ، وقالت : " وداعاً يا تونى ، وداعاً يا أليت " .

" وداعاً يا آشلي " .

" اعتني بنفسك يا آشلي " .

بعد عشر دقائق ، كانت آشلي خاضعة لتنويم مغناطيسي عميق .

" لم يعد هناك أى شيء يدعو لخوفك يا آشلي . لقد اختفت جميع مشاكلك . إنك الآن قادرة على التعامل مع حياتك الخاصة بدون مساعدة أو دعم ، ولن يكون هناك أى تجارب مريرة على الإطلاق . إنك الآن قادرة على مواجهة أى شيء يحدث . هل توافقينني الرأى ؟ " .

" نعم ، إنني على استعداد لمواجهة مستقبلي " .

" رائع . تونى ؟ " .

ما من إجابة .

" تونى ؟ " .

ما من إجابة .

" أليت ؟ " .

صمت .

" أليت ؟ " .

صمت .

" إنهما قد رحلتا يا آشلي ، إنك الآن شخصية واحدة متكاملة يا آشلي ، وقد تماثلت للعلاج تماماً " .

رأى وجه آشلي يشرق ويغير .

" ستستيقظين الآن يا آشلي عندما أعد ثلاثة : واحد ... اثنان ... ثلاثة ... " .

فتحت آشلي عينيها ، وعلى وجهها ابتسامة جميلة ، رقيقة .

" لقد حدث ... أليس كذلك ؟ " .

أومأ برأسه : " بلى ، حدث " .

كانت في سعادة بالغة : " إنني حرة . آه أشكرك يا جيلبرت ! إنني أشعر ... أشعر كما لو أنني كنت خلف ستار مظلم فظيع ، والآن تمت إزالة هذا الستار " .

أمسك دكتور كيلر يدها ، وقال : " لا يمكنني أن أخبرك بمدى سعادتي . سنقوم بعمل بعض الاختبارات الكثيرة في خلال الشهور القليلة التالية ، وإذا كانت نتائجها ناجحة ، فإننا سنسمح لك بمغادرة المستشفى والذهاب إلى منزلك . سأقوم بالسماح لك بالعلاج من الخارج .

أومأت آشلي ، ولم تستطع التحدث من فرط مشاعر الفرح والسعادة التي كانت تعتريها .

الفصل الثامن والعشرون

خلال الشهور القليلة التالية أحضر أوتو لويزون ثلاثة أطباء نفسيين لفحص آشلي ، واستخدموا جميعاً العلاج بالتنويم المغناطيسي ، وأميتال الصوديوم أو مصل الحقيقة .

" مرحباً آشلي ، أنا الدكتور مونتفورت ، وأريد أن أطرح عليك بعض الأسئلة . كيف تشعرين إزاء نفسك ؟ " .

" أشعر بالسعادة يا دكتور . كما لو أنني قد تغلبت على مرض طويل " .

" هل تعتقدين أنك إنسانة سيئة ؟ " .

" لا . أعرف أن بعض الأشياء السيئة قد حدثت ، ولكنني لا أظن أنني المسئولة عنها " .

" هل تكرهين أي شخص ؟ " .

" لا " .

" ووالدك ؟ هل تكرهينه ؟ " .

" كنت أكرهه من قبل ، ولكنى لم أعد أكرهه الآن . لا أعتقد أنه كان بإمكانه أن يمنع نفسه مما فعله . إننى الآن فقط أتمنى أن يكون على خير حال " .

" هل ترغبين فى رؤيته مرة أخرى ؟ " .

" أعتقد أنه من الأفضل ألا أراه ثانية ؛ فهو يحيا حياته الخاصة ، وكذلك أريد أن أبدأ حياة جديدة خاصة بى " .

" آشلى ؟ " .

" نعم " .

" أنا الدكتور ، فوجن . أريد التحدث إليك قليلاً " .

" حسناً " .

" هل تذكرين تونى وأليت ؟ " .

" بالطبع ولكنهما رحلتا الآن " .

" كيف تشعرين إزاءهما ؟ " .

" فى البداية ، شعرت بالخوف الشديد ، ولكن الآن أعرف أننى كنت بحاجة إليهما . إننى ممتنة لهما كثيراً " .

" هل تنامين جيداً أثناء الليل ؟ " .

" الآن ، نعم " .

" أطلعينى على أحلامك " .

" اعتادت الأحلام المزعجة أن تراودنى ، كان هناك شىء ما دائماً ما يطاردنى ، حيث كنت أرى أن هناك من كان يحاول أن يقتلنى " .

" هل مازالت تراودك تلك الأحلام ؟ " .

" لا ، أحلامى الآن آمنة للغاية ، إننى أرى ألواناً زاهية وأناساً يبتسمون . فى الليلة السابقة ، حلمت بأننى فى منتجع للتزحلق على الجليد ، وكنت أتزحلق بين التحتيات . كان حلماً رائعاً . لم يعد الإحساس بالبرودة يضايقنى الآن " .

" بمَ تشعرين إزاء والدك ؟ " .

" أريده أن يكون سعيداً ، وأريد أن أكون سعيدة " .

" آشلى ؟ " .

" نعم " .

" أنا الدكتور هولترهوف " .

" مرحباً بك يا دكتور " .

" إنهم لم يخبرونى كم أنت جميلة . هل تعتقدين أنك جميلة ؟ " .

" أعتقد أننى جذابة ... " .

" سمعت أن لك صوتاً جميلاً . هل تعتقدين ذلك ؟ " .

" إننى لم أتدرب على الغناء ، ولكن نعم " . ابتسمت ثم واصلت قائلة : " يمكننى الغناء فى أثناء العزف " .

" ويقولون لى إنك ترسمين . هل أنت ماهرة فى ذلك ؟ " .

" كهاوية ، أعتقد أننى جيدة . نعم " .

كان يتفحصها بتأمل : " هل تواجهين أية مشكلات تريدين التحدث معى بشأنها ؟ " .

" ليست هناك أية مشكلات ، لقد شفيت تماماً " .

" كيف تشعرين بشأن مغادرتك لهذا المكان ، وخروجك إلى العالم الخارجى ؟ " .

" لقد فكرت كثيراً فى ذلك . إنه شيء مخيف ، ولكنه فى نفس الوقت مثير " .

" هل تعتقدين أن الخوف سيتملك منك خارج المستشفى ؟ " .

" لا . أريد تشكيل حياتى الخاصة . إننى أجيد التعامل مع أجهزة الكمبيوتر . لا يمكننى العودة إلى شركتى التى كنت أعمل فيها ، ولكننى على ثقة بأنه يمكننى الحصول على وظيفة فى أى شركة أخرى " .

أومأ الدكتور هولترهوف : " أشكرك يا آشلى ، لقد سعدت جداً بالحديث إليك " .

وعقد كل من الدكتور مونتفورت والدكتور فوجن ، والدكتور هولترهوف والدكتور كيلر اجتماعاً مع الدكتور أوتو لويزون فى غرفة مكتبه ؛ حيث قام بدراسة التقارير التى كتبوها عن حالة آشلى ، وبعد أن انتهى من ذلك ، نظر إلى الدكتور كيلر ، وابتسم إليه ، وقال :

" تهانينا ، فجميع هذه التقارير إيجابية . لقد أنجزت عملاً رائعاً " .

" إنها امرأة رائعة ، وفريدة للغاية يا أوتو . إننى سعيد لأنها ستسترجع حياتها الطبيعية مرة أخرى " .

" هل قبلت التردد علينا كمريضة من الخارج عندما تغادر المستشفى ؟ " .

" بكل تأكيد " .

أومأ أوتو لويزون : " حسناً جداً ، سأقوم بإعداد مستندات خروجها " ، ثم التفت نحو الأطباء الآخرين ، وقال لهم : " أشكركم جميعاً أيها السادة ؛ إننى أقدر مساندتكم " .

الفصل التاسع والعشرون

وبعد يومين ، تم استدعاء آشلى إلى مكتب الدكتور أوتو لويزون ، وكان الدكتور كيلر حاضراً . ستخرج آشلى من المستشفى وتعود إلى منزلها فى كوبرتينو ، حيث يمكنها تلقى العلاج بانتظام ، وكذلك حضور جلسات التقييم من قبل الأطباء النفسيين الذين ستحددهم المحكمة .

قال الدكتور لويزون : " حسناً ، اليوم يا آشلى . هل أنت سعيدة ؟ " .

قالت آشلى : " إننى سعيدة ، إننى ... خائفة ، إننى ... لا أعرف . أشعر كأننى طير أطلق سراحه ، أشعر كأننى أطير " . وكان على وجهها علامات السعادة البالغة . قال الدكتور كيلر : " إننى سعيد لخروجك ، ولكننى ... سأفتقدك كثيراً " .

أمسكت آشلى بيده ، وقالت بنبرة يعلوها الدفء : " سأفتقدك أيضاً يا كيلر . لا أعرف كيف ... يمكننى أن أشكرك " ، لقد ملأت عينيها الدموع . " لقد أعدت إلىّ حياتى من جديد " .

التفتت إلى الدكتور لويزون : " عندما أعود إلى كاليفورنيا ، سأحصل على وظيفة فى إحدى شركات الكمبيوتر ، وهناك سأطلعك دائماً على كل ما يحدث ، وكيف تسير إجراءات العلاج من خارج المستشفى . أريد أن أتأكد أن ما حدث من قبل لن يحدث لى مرة أخرى أبداً " .

" لا أعتقد أن هناك ما يدعو إلى القلق يا آشلى " ، هكذا طمأنها الدكتور لويزون .

عندما غادرت المكان ، التفت الدكتور لويزون إلى جيلبرت كيلر قائلاً : " يعوضنا ذلك عن الكثير من الحالات التى لم تنجح . أليس كذلك يا جيلبرت ؟ " .

كان ذلك يوماً مشمساً من أيام شهر يونيو ، وكانت آشلى سائرة فى ماديسون أفينيو فى مدينة نيويورك ، وقد جعلت ابتسامتها الرقيقة الناس من حولها تلتفت إليها ، إنها لم تكن من قبل فى مثل هذه السعادة ، لقد فكرت فى الحياة الرائعة أمامها ، وكل ما قد حدث لها . كان من المحتمل أن تحدث لها نهاية مروعة ، ولكن تلك هى النهاية السعيدة التى تضرعت إلى الله من أجلها .

وصلت إلى محطة بينسلفانيا ، وكانت أكثر محطات سكك الحديد فى أمريكا ازدحاماً ، ففيها مجموعة كبيرة من الغرف والممرات سيئة التهوية ولا يبدو منظرها مقبولاً . كانت المحطة مزدحمة ، فلكرت آشلى محدثة نفسها : لدى كل شخص قصة شيقة

يمكن أن يحكيها ؛ فالجميع سيذهبون إلى أماكن مختلفة ، ويعيشون حياتهم الخاصة . والآن ، سأحيا حياتى الخاصة أيضاً .

اشترت تذكرة من إحدى الماكينات ، وبدأ قطارها يغادر المحطة ، ففكرت قائلة : إننى سعيدة لاكتشاف كل هذه الأشياء .

ركبت القطار ، وجلست فى مقعدها . كانت مفعمة بالإثارة بشأن ما سوف يحدث . اهتز القطار ثم بدأت سرعته تزداد شيئاً فشيئاً . إننى فى طريقى أخيراً ، واتجه القطار نحو هامبتون ، ثم بدأت تغنى بهدوء :

" حول شجيرة توت نضرة ،
القرد يطارد سنجاباً .
يظن القرد في ذلك متعة ،
لكن يهرب ذلك السنجاب ... " .